تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

تحقيق

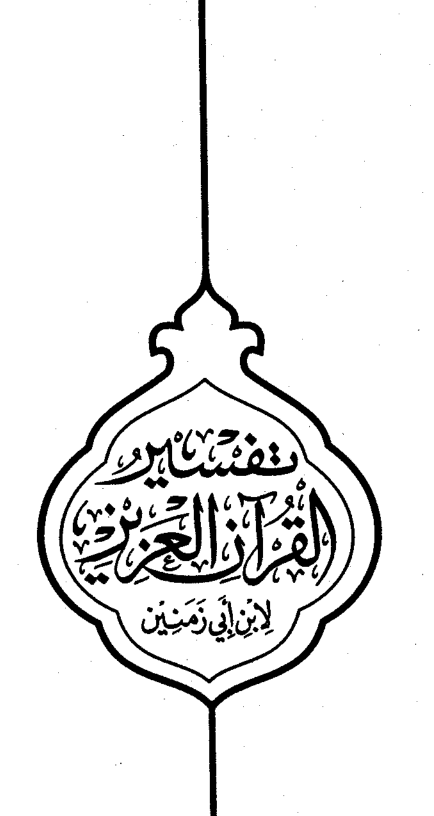
أبي عبد الله حسين بن عكاشة
محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الثالث

الإسراء - الأحزاب

الناشر
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر
خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا
ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة
اسم الكتاب : تفسير القرآن العزيز
تأليف : أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين
تحقيق : حسين بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز
رقم الإيداع: ١٧٧٧٦/ ٢٠٠١
الترقيم الدولي: 977-5704-69-3
الطبعة : الأولى
سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر


تفسير
القرآن العزيز
لابن أبي زمنين



تفسير سورة سبحان، وهي مكّية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾

قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ يعني: محمدًا عليه السلام ﴿ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ يعني: بيت المقدس.

﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني: ما أراه اللَّه ليلة أسري به.

قال محمدٌ: معنى (أسري به) أي: سيّره؛ ولا يكون السُّرى إلا ليلًا، وفيه لغتان: سرى وأَسْرَى[(١)].

يحيى: [عن حماد][(٢)] عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت؛ إذ أُتيت فشُق النحر فاستخرج القلب، فغُسل بماء زمزم، ثمّ أعيد مكانه، ثم أتيت بدابة أبيض، يقال له: البُراق؛ فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذنين، يقع خطوه عند منتهى طرفه، فَحُمِلْتُ عليه، فسار بي نحو بيت المقدس فإذا مناد ينادي عن يمين

---

(١) يقال: سرى يَسرِي سُرًى ومَسْرًى. ولغة أهل الحجاز (أسرى) وجاء القرآن باللغتين جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾، وبقوله: ﴿والليل إذا يسر﴾. لسان العرب، مختار الصحاح (سرى).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة البقرة؛ فقد أورد المؤلف هناك هذا الحديث مختصرًا، واللَّه أعلم.

الطريق: يا محمد، على رِسْلِك اسْلُكْ[١]، يا محمد، على رسلك اسلك، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رسلك اسلُكْ، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك[٢]، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم إذا أنا بامرأةٍ على قارعة الطريق-أحسبه قال: حسناء- (حمْلًا)[٣] عليها من كل الحلي والزينة، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، فمضيت ولم أعرج عليها، حتى انتهيت إلى بيت المقدس، فأوثقت الدابة بالحلقة التي توثق بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناءين: إناء من لبن، وإناءٍ من خمر، فتناولت اللبن، فقال: أصبت الفطرة، ثم قال لي جبريل: يا محمد، ما رأيت في رحلتك هذه؟ قال: سمعت مناديًا ينادي عن يمين الطريق: يا محمد، على رسلك اسلك (ل١٨٠) يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك قال: فما صنعت، قلت: مضيت ولم أعرج عليه. قال: ذاك داعية اليهود؛ أما إنك لو عرَّجْتَ عليه، لتهودت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك. قال: فما صنعت؟ قال: مضيتُ ولم أعرج عليه. قال: ذاك داعية النصارى؛ أما إنك لو عرجت عليه لتنصَّرت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بامرأة -أحسبه قال: حسناء- (حمْلًا)[٣] عليها من كل الحلي

(١) كذا ضبطت في الأصل، وفي مصادر التخريج: أسألك.
(٢) كذا في الأصل، تكررت هذه الجملة أربع مرات، ولعل الرابعة زائدة، والله أعلم.
(٣) هكذا في الأصل، ولعل صوابها :تحمل أو حاملة. والله أعلم.

والزينة، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرج عليها. قال: تلك الدنيا؛ إما أنك لو عرَّجت عليها لمِلْتَ إلى الدنيا. ثم أُتينا بالمعراج؛ فإذا أحسن ما خلق اللَّه، فقعدنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى سماء الدنيا، وعليها ملكٌ يقال له: إسماعيل جُنْدُه سبعون ألف ملك، جند كل ملك سبعون ألف ملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[١]. فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قَدْ بُعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولَنِعْمَ المجيء جاء. ففتح لنا فأتيت على آدم، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم. فرّحب بي، ودعا لي بخير. قال: وإذا الأرواح تعرض عليه؛ فإذا مرّ به روح مؤمن، قال: روح طيب وريح طيبة، [وإذا][٢] مرّ به روح كافر قال: روح خبيث وريحٌ خبيثة! قال: ثم مضيتُ فإذا أنا بأخاوين[٣] عليها لحومٌ منتنة، وأخاوين عليها لحومٌ طيبة، وإذا رجالٌ ينهشون اللحوم المنتنة، ويدعون اللحوم الطيبة. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الزُّناة؛ يدعون الحلال ويتبعون الحرام. قال: ثم مضيت فإذا برجالٍ تُفَكُّ ألحيتُهُمْ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار، فيقذفونها في أفواههم، فتخرج من أدبارهم. قال: قلت: من هؤلاء

---

(١) المدثر: ٣١.

(٢) في الأصل: (فإذا).

(٣) واحدها: خِوان -بالكسر- وهو الذي يؤكل عليه مُعرَّب، والضم لغة فيه؛ نقلها الفارابي. قال: والكسر أفصح. ويجمع أيضًا على: أَخْونة، وخون. لسان العرب، مختار الصحاح (خون).

يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون في بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا﴾(١)؛ ثم مضيت فإذا أنا بقومٍ يقطع من لحومهم بدمائهم فيضفزونها(٢) ولهم جؤارٌ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الهمَّازون اللمَّازون. ثم تلا هذه الآية: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾(٣) وإذا أنا بنسوةٍ معلقاتٍ بثُديهنَّ -وأحسبه قال: وإذا حيَّاتٌ وعقاربُ تنهشُهُنَّ- فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الظُّؤرَة(٤) يقتلن أولادهنَّ. قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق جمعٌ إلى النار يعرضون عليها غدُوًّا وعشيًّا؛ فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقومن الساعة؛ لما يرون من عذاب اللَّه، وإذا أنا برجال بطونهم، كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم وبطونهم، يأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثردًا، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء أكلةُ الربا. ثم تلا هذه الآية: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾(٥) ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوَ قَدْ بُعِثَ إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، وإنه لنعم المجيء جاء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بابني الخالة: (ل١٨١) يحيى وعيسى،

---

(١) النساء: ١٠ .

(٢) أي: يدفعونها في أفواههم، ويلقمونها إياهم، يقال: ضفزت البعير إذا علفته الضفائز، وهي اللقم الكبار، الواحدة: ضفيزة. النهاية (٣/ ٩٤).

(٣) الحجرات: ١٢ .

(٤) جمع ظِئر، وهي المرضعة غير ولدها، ويطلق على زوجها أيضًا، أي على المذكر والمؤنث، ويجمع أيضًا على أَظْؤُر وأَظْآر.

(٥) البقرة: ٢٧٥ .

فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا؛ فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أُعطي شطر الحُسن. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بُعث [إليه][(١)] قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون وإذا بلحيته شطران: شطر أبيض وشطر أسود، فقلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا المحبَّب في قومه، وأكثر من رأيت تبعًا. قال: فرحَّب بي ودعا لي بخير. قال: ثم عُرِجَ بنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا؛ فإذا أنا بموسى، وإذا هو رجلٌ أشعر. فقلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا أخوك موسى. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير، قال: فمضيت، فسمعت موسى يقول: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على اللّه، وهذا أكرم على اللّه مني. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟

---

(١) في الأصل: عليه.

قال: محمد؟ قيل: أو قد بعث إليه، قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا فأتيت على إبراهيم وإذا هو مستند إلى البيت المعمور. ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة. قلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلمت عليه؛ فرحب بي ودعا لي بخير. وإذا أمتي عنده شطران: شطرٌ عليهم ثيابٌ بيض، وشطر عليهم ثيابٌ رُمْدٌ؛ فدخل أصحاب الثياب البيض، واحتبس الآخرون. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! فقال: هؤلاء الذين خلطوا عملًا صالحًا وعملًا سيئًا، وكل على خير، ثم قيل: هذه منزلتك ومنزلة أمتك، ثم تلا هذه الآية: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[١] قال: ثم انتهينا إلى السِّدرة المنتهى؛ فإذا هي أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة من ورقها لو غُطِّيت بها هذه الأمة لغطتهم، ثم انفجر من تحتها السلسبيل، ثم انفجر من السلسبيل نهران: نهر الرحمة، ونهر الكوثر، فاغتسلت من نهر الرحمة فغفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى إنه ليجري في الجنة؛ فإذا طيرها كالبخت؟ قال: ونظرت إلى جارية، فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة. قال: ثم نظرت إلى النار، (فإذا)[٢] عذاب ربي لشديد لا تقوم له الحجارة ولا الحديد، قال: ثم رجعت إلى السدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله ما غشى، ووقع على كل ورقة ملك، وأيدها الله بأيده، وفرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فرجعت إلى موسى، فقال: ماذا فرض عليك ربك؟ فقلت: فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاةً. فقال: (ل١٨٢) ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛

---

(١) آل عمران: ٦٨ .

(٢) في الأصل: (فإذا إن).

فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، فرجعت إلى ربي فقلت: أي ربي حُط عن أمتي؛ فإن أمتي لا تطيق ذلك، فحطَّ عني خمسًا. قال: فرجعت إلى موسى فقال لي: ما فرض عليك ربك؟ قلت: حط عني خمسًا، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فرجعت إلى ربي فحطَّ عني خمسًا قال: فلم أزل أختلف ما بين ربي وموسى حتى قال: يا محمد، لا تبديل؛ إنه لا يبدَّل القول لدي، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ لكلِّ صلاة عشرٌ، فتلك خمسون صلاة، قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. قلت: قد راجعته حتى استحييت»[1].

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده -كما في إتحاف الخيرة (١/ ١٤٧-١٥٠رقم١٤٦)- عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٦٥-٣٧٠) والطبري في تفسيره (١٥/ ١١-١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٩٠-٣٩٦)- ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥٠٩-٥١٦)- والبغوي في تفسيره (١/ ٣٤١) والأصبهاني -كما في الترغيب والترهيب (٣/ ٩)- من طرق عن أبي هارون العبدي.
وضعفه البيهقي، وقال المنذري في الترغيب (٣/ ٩): رواه الأصبهاني أيضًا من طريق أبي هارون العبدي، واسمه: عمارة بن جوين، وهو واهٍ.
وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦): هذا حديث غريب عجيب، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكًا.
وذكر ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣)أن فيه غرابة ونكارةً، وأن أبا هارون العبدي اسمه: عمارة ابن جوين، مضعف عند الأئمة.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١/ ١٥٠): هذا حديث مداره على أبي هارون العبدي، وهو ضعيف.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥٨) لابن المنذر وابن مردويه أيضًا.
وروى الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٧٠) وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٦١رقم٤٠٢) من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد «أن النبي ﷺ حين عرج به قال: إن في السماء لملكًا يقال: له إسماعيل، على سبعين ألف ملك، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك» فقط. =

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ يعني: لمن آمن به ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ يعني: ربًّا؛ في تفسير بعضهم ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي: يا ذرية؛ لذلك انتصب[1].

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أعلمناهم ﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوًّا كبيرًا﴾ يعني: لَتَقْهَرُنَّ قهرًا شديدًا ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني: أولى العقوبتين ﴿بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ قال قتادة: عوقب القوم على علوهم وفسادهم، فَبُعِثَ عليهم في الأولى جالوت الخزري، فسبى وقتل وجاسوا خلال الديار.

= قال الهيثمي في المجمع (١/ ٨١): رواه الطبراني في الصغير، وفيه أبو هارون، واسمه عمارة بن جوين، وهو ضعيف جدًّا.

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من: البحر (٦/ ٢-٣)، الدر المصون (٤/ ٣٧٠).

قال محمد: معنى (جاسوا): طافوا؛ الجَوْسُ طلب الشيء باستقصاء[١].

﴿وكان وعدًا مفعولًا﴾ كائنًا ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرًا﴾ أي: عددًا؛ ففعل ذلك بهم في زمان داود يوم طالوت.

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني: آخر العقوبتين ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ وهي تقرأ (ليَسُوءَ) أي: ليسوءَ اللَّه وجوهكم[٢] ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني: بيت المقدس ﴿كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرًا﴾ أي: وليفسدوا ما غلبوا عليه إفسادًا؛ يقال: إن إفسادهم الثاني: قتل يحيى بن زكريا، فبعث اللَّه عليهم بختنصر، عدا به عليهم؛ فخرَّب بيت المقدس، وسبى وقتل منهم سبعين ألفًا.

﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ قال قتادة: فعاد اللَّه بعائدته[٣] قال: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ عليكم بالعقوبة، قال الحسن: (أعاده)[٤] عليهم بمحمد؛ فأذلَّهم بالجزية.

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا﴾ قال قتادة: يعني: سجنًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ

---

(١) يقال: جاس يجوس جوسًا، ومثله: اجتاس. لسان العرب (جوس).

(٢) وهي قراءة ابن عامر وحمزة وأبي بكر عن عاصم، وانفرد أبو زرعة في (الحجَّة) بذكر الكسائي. ينظر: السبعة (٣٧٨)، والنشر (٢/ ٣٠٦) الحجة لأبي زرعة (٣٩٧)، الدر المصون (٤/ ٣٧٣).

(٣) العائدة: العطف والمنفعة؛ يقال: فلان ذو صفح وعائدة؛ أي: ذو عفو وتعطُّف. لسان العرب، مختار الصحاح (عود).

(٤) في الأصل: (عاده)، والمراد: أعاد العذاب والعقوبة.

لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾

﴿إن هذا القرآن يهدي﴾ أي: يدعو ﴿للتي هي أقوم﴾ أي: أصوب.

﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ يقول: يدعو بالشر على نفسه وعلى ولده وماله؛ كما يدعو بالخير؛ ولو استجاب اللَّه له لأهلكه.

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ يقال: محيَ من ضوء القمر من مائة جزء تسعة وتسعون جزءًا وبقي جزءٌ واحد ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ أي: منيرة ﴿لتبتغوا فضلًا من ربكم﴾ يعني: بالنهار ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بالليل والنهار ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾ تفسير الحسن: فصلنا الليل من النهار، وفصلنا النهار من الليل، والشمس من القمر، والقمر من الشمس.

قال محمدٌ: (كل)[١] منصوب بمعنى: وفصلنا كل شيءٍ فصلناه[٢].

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا

---

(١) في الأصل: (كلًا) والصواب ما أثبتناه؛ لأن التعليق على قوله تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٦/ ١٤)، الدر المصون (٤/ ٣٧٦).

أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال الحسن: يعني: عمله.

قال محمدٌ: المعنى: ألزمناه حَظَّه من الخير والشر، وإنما قيل للحظ من الخير والشر: طائر؛ لقول العرب: جرى له طائر باليُمْنِ، وجرى بالشر، والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك في عنقي حتى أخرج منه؛ (ل١٨٣)فخاطبهم الله بما يستعملونه.

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ قال قتادة: سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئًا في الدنيا.

قال محمدٌ: (حسيبًا) تمييزٌ[١]؛ وهو في قول بعضهم بمعنى: محاسب[٢].

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول: لا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ.

قال محمدٌ: وأصل الوزر: الحملُ، وكذلك الإثم وزرٌ؛ لأنه ثقلٌ على صاحبه[٣].

﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا﴾ تفسير الحسن: لا يعذب قومًا بالاستئصال حتى يحتج عليهم بالرسل .

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ تفسير قتادة: أكثرنا جبابرتها،

(١) ينظر: البحر (٦/ ١٥)، الدر المصون (٤/ ٣٧٧).
(٢) أي: فعيل بمعنى فاعل، وهذا كثير في الكلام.
(٣) ينظر: لسان العرب (وزر).
(٤) قرأ العامة (أَمَرنا) بالقصر والتخفيف. وقرأ (آمَرنا) بالمد علي بن أبي طالب وابن أبي إسحاق وأبو رجاء وغيرهم ورويت هذه القراءة عن نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم من السبعة. ينظر : السبعة (٣٧٩)، والنشر (٢/ ٣٠٦)، الدر المصون (٤/ ٣٧٩).

وكان الحسن يقرؤها: (آمَرْنا)[١] وهو من الكثرة أيضًا. قال قتادة: (أَمَرنا) مخفَّفة على تقدير: فعلنا، وقراءة الحسن (آمَرْنا) ممدودة الألف.

قال يحيى: وكان ابن عباس يقرؤها (أمَّرْنا) بالتثقيل من قِبَلِ الإمارة[٢].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا، لا يؤمن بالآخرة ﴿عجلنا له...﴾ إلى قوله: ﴿مدحورًا﴾ أي: مبعدًا من رحمة الله ﴿كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء...﴾ يعني: المؤمنين والمشركين إلى قوله: ﴿محظورًا﴾ أي: ممنوعًا.

قال محمدٌ: (كلًّا) منصوب بـ(نُمِدُّ) و(هؤلاء) بدل من (كل) المعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء.

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الدنيا ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا﴾.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ

---

(١) وهي قراءة علي أيضًا وأبي عثمان النهدي، ورويت عن عاصم وأبي عمرو من السبعة. ينظر: السبعة (٣٧٩) الدر المصون (٤/ ٣٧٩).

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿لا تجعل مع اللَّه إلهًا آخر فتقعد مذمومًا﴾ في نقمة اللَّه ﴿مخذولًا﴾ في عذاب اللَّه .

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحسانًا؛ يعني: برًّا ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ تفسير الحسن: يقول: إن بلغا عندك الكبر أو أحدهما، فوليت منهما ما وليا منك في صغرك فوجدت منهما ريحًا تؤذيك؛ فلا تقل لهما: أفٍّ.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: لا تقل لهما ما فيه أدنى تبرُّم.

﴿ولا تنهرهما﴾ لا تغلظ لهما القول﴿وقل لهما قولًا كريمًا﴾ أي: لينًا سهلًا ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي: لا تمتنع من شيءٍ أحباه ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾ هذا إذا كانا مسلمين، وإذا كانا كافرين فلا تقل: رب ارحمهما.

يحيى: عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحولٍ؛ «أن رسول اللَّه ﷺ أوصى بعض أهله فكان فيما أوصاه: أطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده (٤٦٢رقم١٥٩٤) وأبو يعلى -كما في إتحاف الخيرة (٣/ ٤١٢رقم٣/٣٠٠٢)- والبيهقي في سننه (٧/ ٣٠٤) وغيرهم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن أم أيمن رضي الله عنها .
وقال البيهقي: في هذا إرسال بين مكحول وأم أيمن. =

مالك كله؛ فافعل»[(١)].

يحيى: عن المعلى، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن محمد بن المنكدر، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحدًا[(٢)] فواحدٌ، ومن أصبح مسخطًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومَن أمسى مثل ذلك،

= ورواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٥٨رقم٧٩٥٦) عن معاذ بن جبل.
قال المنذري في الترغيب (١/ ٣٨٣): رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس بإسناده في المتابعات.
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن واقد، ضعفه البخاري وجماعة، وقال الصوري: كان صدوقًا.
وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٨٨): وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول: «أوصاني خليلي رسول اللَّه ﷺ: أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل» ولكن في إسناديهما ضعف، واللَّه أعلم.

(١) أي: وإن كان أحد الأبوين.

(٢) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/ ٣٥رقم٢٠١٢٨) عن معمر عن أبان عن سعد بن مسعود أو غيره عن ابن عباس به.
ورواه هناد في الزهد (٢/ ٤٨٥رقم٤٨٦رقم٩٩٣) من طريق أبي سنان سعيد بن سنان عن رجل عن ابن عباس به.
ورواه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٠٦رقم٧٩١٦)- ومن طريق ابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ٣٦٥) من طريق عبد اللَّه بن يحيى السرخسي عن سعيد بن يعقوب الطلقاني عن عبد اللَّه بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن عطاء عن ابن عباس.
قال العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٢٣٦): رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، ولا يصح. اهـ .
وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٤/ ٣٧٣) في ترجمة عبد اللَّه بن يحيى السرخسي، وقال: رجاله ثقات أثبات غير هذا الرجل؛ فهو آفته. اهـ.
ورواه أبو خيثمة زهير بن حرب عن شبابة عن المغيرة بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس به.
وسئل عنه أبو زرعة فقال: المغيرة لم يسمع من عطاء شيئًا، وهو مرسل. علل الحديث لابن أبي حاتم (٢/ ٢١١رقم٢١٢٣). =

وإن كان واحدًا فواحد؛ وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه»[١].

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ من بر الوالدين ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ الأوَّاب: الراجع عن ذنبه.

﴿وآت ذا القربى حقه﴾ يعني: ما أمر الله به من صلة القرابة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ نزلت قبل أن تسمى الأصناف الذين تجب لهم الزكاة ﴿ولا تبذِّر تبذيرًا﴾ يقول: لا تنفق في غير حق ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ يعني أنفقوا له ومن [أنفق][٢] لغير الله لا يقبله الله، وإنما هو لشيطان.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ

= ورواه الدولابي في الكنى (٢/ ٢٨٣رقم٢٧٢٥) من طريق مكبر -رجل من أهل الشام- عن الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد عن ابن عباس مرفوعًا مختصرًا.
ورواه البخاري في الأدب المفرد (١٥رقم٧) والبيهقي في الشعب (٦/ ٢٠٦رقم٧٩١٦) من طريق سليمان التيمي عن سعد القيسي عن ابن عباس موقوفًا.
ورواه الدارقطني في الأفراد أطرف الأفراد (٣/ ٨٤رقم٢٠١٥).

(١) زيادة من عندي يقتضيها السياق. لعلها سقطت من الأصل.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ يعني: انتظار رزق الله ﴿فقل لهم قولًا ميسورًا﴾ يعني: أن يقول للسائل: يرزقنا الله وإياك ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قال الحسن: يقول: لا تكن [بخيلًا منوعًا][1] فيكون مثلك مثل الذي غُلَّتْ يده إلى عُنُقه (ل١٨٤) ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ فتنفق في غير برٍّ ﴿فتقعد ملومًا﴾ في عباد الله لا تستطيع أن [تسع][2] الناس ﴿محسورًا﴾ أي: قد ذهب ما في يدك.

قال محمدٌ: المحسور والحسير الذي قد بالغ في التعب والإعياء؛ المعنى: تحسرك العطية وتقطعك[3].

﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يضيق ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ يعني: الموءودة ﴿خشية إملاق﴾ يعني: الفاقة[4] ﴿إن قتلهم كان خِطْأً﴾ ذنبًا ﴿كبيرًا﴾ .

﴿ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا﴾ يعني: القود[5]، إلا أن يعفو الولي أو يرضى بالدية إن أعطيها ﴿فلا يسرف في القتل﴾ أي: لا يقتل غير قاتله ﴿إنه كان منصورًا﴾ أي: ينصره السلطان حتى يُقيدَهُ منه ﴿ولا تقربوا

---

(١) طمس في الأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير(٥/٦٧).
(٢) في الأصل: (توسع).
(٣) وهو من الفعل: حَسَر يَحسُر حسارة؛ أي: كلَّ: فهو حسير. لسان العرب (حسر).
(٤) أي: الفقر والحاجة. لسان العرب (فوق).
(٥) القود: القصاص. لسان العرب (قود).

مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ يعني: أن يوفر ماله حتى إذا بلغ أشده دُفِعَ إليه ماله إن آنس منه الرشد.

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية، اشتدت عليهم، فكانوا لا يخالطونهم في مطعم ولا نحوه؛ فأنزل اللّه بعد ذلك: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين﴾[١].

﴿وأوفوا بالعهد﴾ يعني: ما عاهدوا عليه فيما وافق الحق ﴿إن العهد كان مسئولًا﴾ يُسأل عنه الذين أعطوه ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير﴾ إذا أوفيتم الكيل، وأقمتم الوزن ﴿وأحسن تأويلًا﴾ يعني: عاقبة الآخرة. ومعنى (القسطاس): العدل[٢].

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ الآية، تفسير الحسن: لا تقف أخاك المسلم من بعده إذا مرّ بك؛ فتقول: إني رأيت هذا يفعل كذا، وسمعت هذا يقول كذا؛ لما لم تسمع ولم تر.

قال محمدٌ: أصل الكلمة من قولك: قَفَوْتُ الأثَرَ أقْفُوه قَفْوًا؛ إذا اتبعْتَه[٣] فمعنى الآية: لا تتبعنّ لسانك من القول ما ليس لك به علم؛ وهو الذي أراد الحسن.

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا﴾ يُسْأل السمع عما سمع، والبصر عما أبصر، والقلب عما عزم عليه.

قال محمدٌ: كل جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم، ومن الموات فلفظه

(١) البقرة: ٢٢٠ .

(٢) والقسطاس بضم القاف وكسرها. وقيل: معناه: الميزان. لسان العرب (قسط).

(٣) لسان العرب (قفو).

(٤) أي: يشار بها إلى العقلاء وغيرهم، وفي ذلك المعنى اللغوي تفصيل واسع. ينظر الدر المصون (٤/ ٣٩٠).

(أولئك)[١].

﴿ولا تمش في الأرض﴾ يعني: على الأرض ﴿مرحًا﴾ كما يمشي المشركون.

قال محمدٌ: أصل المرح: حركة الأَشِرِ والبَطِرِ[٢].

﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بقدمك إذا مشيت ﴿ولن تبلغ الجبال طولًا كل ذلك كان سيئه﴾ أي: خطيئته ﴿عند ربك مكروهًا﴾ .

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿ولا تجعل مع الله إلهًا آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا﴾ أي: ملومًا في نقمة الله مُبْعدًا عن الجنة في النار .

﴿أفأصفاكم﴾ أي: خصَّكم ﴿ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا﴾ على الاستفهام؛ أي: لم يفعل ذلك؛ لقولهم أن الملائكة بنات الله.

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا﴾ أي: بينا لهم، وأخبرناهم أنا أهلكنا القرون الأولى فلا ينزل بهم ما نزل بالأمم السابقة قبلهم من عذاب الله ﴿وما

---

(١) وهو أيضًا: العجب والاختيال. لسان العرب (مرح).

يزيدهم﴾ ذلك ﴿إلا نفورًا﴾ يعني: تركًا لأمر اللَّه .

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون﴾ وتقرأ بالياء والتاء[1] ﴿إذًا لابتغوا﴾ يعني: الآلهة ﴿إلى ذي العرش سبيلًا﴾ قال قتادة: يقول: إذًا لعرفوا فضله عليهم، ولابتغوا ما يقربهم إليه.

﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يقولون علوًا كبيرًا﴾ .

﴿يسبح[2] له السمٰوات السبع﴾ يعني: ومن فيهن ﴿والأرض ومن فيهن﴾ من المؤمنين ومن يسبح له من الخلق ﴿وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ كان الحسن يقول: إن الجبل يسبح؛ فإذا قطع منه شيء لم يسبح المقطوع ويسبح الأصل، وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح، وتسبح هي، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿إنه كان حليمًا غفورًا﴾ عن خلقه فلا يعجل (ل١٨٥) كَعَجَلَةِ بعضِهم على بعض (غفورًا) لهم إذا تابوا وراجعوا أنفسهم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾

(١) قرأ ابن كثير وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ينظر: السبعة(٣٨١)، والنشر (٢/ ٣٠٧)، التيسير (١٤٠) الدر المصون (٤/ ٣٩٤).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وأبو الطيب عن التمار عن رويس بالياء على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث. النشر (٢/ ٣٠٧)، إتحاف الفضلاء (٣٥٨).

﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا﴾ قال محمدٌ: قيل: إن تأويل الحجاب: منع الله إياهم من النبي عليه السلام و(مستورًا) في معنى (ساتر)(١).

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرًا﴾ الوَقْرُ: ثِقلُ السمع(٢) ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ أنه لا إله إلا هو ﴿ولوا على أدبارهم نفورًا﴾ أي: أعرضوا عنه.

﴿وإذ هم نجوى﴾ أي: يتناجون في أمر النبي عليه السلام ﴿إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورًا﴾ أي: يقول ذلك المشركون للمؤمنين، وتقرأ: (يتبعون) بالياء(٣).

قال محمدٌ: ومعنى (مسحورًا) في قول بعضهم: مخدوعًا(٤).

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا﴾ بقولهم ﴿فلا يستطيعون سبيلًا﴾ قال مجاهد: يعني: مخرجًا ﴿وقالوا أئذا كنا عظامًا ورفاتًا﴾ أي: ترابًا ﴿أئنا لمبعوثون خلقًا جديدًا﴾ على الاستفهام؛ أي: لا نُبْعَث.

قال محمدٌ: أصل (الرفات): ما ترفّت؛ أي: تفتّت(٥).

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن

(١) أي: جاء اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل؛ كما يجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول؛ مثل (ماء دافق) بمعنى: مدفوق ، وهذا كثير في اللغة.
(٢) يقال: وقرت أذنه تقِرَ وقْرًا؛ أي: ثقلت أو صمّت. لسان العرب (وقر).
(٣) لم أقف على هذه القراءة بالياء ويراجع لها البحر المحيط والمحتسب والدر المصون.
(٤) يقال: سَحَر فلانًا بالشيء سَحْرًا؛ أي: خدعه، فهو مسحور. لسان العرب (سحر).
(٥) الرُّفات: هو الحُطام والفُتات من كل ما تكسّر واندقّ. لسان العرب، المعجم الوسيط (رفت).

يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا﴾ لما قالوا: ﴿أئذا كنا عظامًا ورفاتًا...﴾ الآية.

قال اللَّه - عز وجل -: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدوركم﴾ يعني: الموت؛ يقول: إذًا لأمتُّكم، ثم بعثتكم يوم القيامة ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ خلقًا جديدًا ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أي: يحركونها تكذيبًا واستهزاءً ﴿ويقولون متى هو﴾ يعنون: البعث ﴿قل عسى أن يكون قريبًا﴾ و(عسى) من اللَّه واجبةٌ، وكل ما هو آتٍ قريب .

﴿يوم يدعوكم﴾ من قبوركم ﴿فتستجيبون بحمده﴾ قال قتادة: يعني: بمعرفته وطاعته، والاستجابة: خروجهم من قبورهم إلى الداعي صاحب الصُّور ﴿وتظنون﴾ في الآخرة ﴿إن لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلًا﴾ تصاغرت الدنيا عندهم .

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ هو أن يأمروهم بما أمرهم اللَّه به، وينهوهم عما نهاهم اللَّه عنه ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أي: يفسد ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا مبينًا﴾ بيِّن العداوة .

﴿ربكم أعلم بكم﴾ يعني: بأعمالكم؛ خاطب بهذا المشركين ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ أي: يتُب عليكم، فيمُنُّ عليكم بالإسلام ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ فبإقامتكم على الشرك ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلًا﴾ أي: حفيظًا لأعمالهم حتى يجازيهم بها.

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ تفسير الحسن: قال: كلَّم بعضهم، واتخذ بعضهم خليلًا، وأعطى بعضهم إحياء الموتى ﴿وآتينا داود زبورًا﴾ اسم الكتاب الذي أُعطَاهُ: الزبور. قال قتادة: كنا نُحدَّثُ أنه دعاءٌ علمه الله داود وتحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرامٌ، ولا فرائض ولا حدود.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا﴾ أن يحول ذلك الضُّرّ إلى غيره أهون منه.

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ يعني: القُرْبَةَ، تفسير ابن مسعود: قال: نزلت في نَفَرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجِنِّيون ولم يعلم بذلك النَّفر من العرب، قال اللَّه: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يعني: الجنِّيين الذي يعبدون هؤلاء ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب...﴾ الآية.

قال محمدٌ: (أيهم أقرب) (أيهم) رفعٌ بالابتداء، والخبر (أقرب)[1] المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، وينظرون أيهم أقرب إليه؛ أي: بالأعمال الصالحة أقرب إليه يتوسَّلون به.

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها﴾ (ل١٨٦) يخوفهم بالعذاب ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ أي: مكتوبًا.

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ إلى قومك يا محمد؛ وذلك أنهم سألوا الآيات ﴿إلا أن كذَّب بها الأولون﴾ وكنا إذا أرسلنا إلى قوم بآية فلم يؤمنوا أهلكناهم؛ فلذلك لم نرسل إليهم بالآيات؛ لأنَّ آخر كفار هذه الأمة أُخروا إلى النفخة.

قال قتادة: «إن أهل مكة قالوا للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقًّا وسرّك أن نؤمن؛ فحول لنا الصَّفا ذهبًا! فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكن إن هم لم يؤمنوا لم ينظروا، وإن شئت استأنيْتَ بقومك. قال: لا؛ بل أَسْتَأْني بقومي»[2].

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر من البحر المحيط (٦/ ٥٢) الدر المصون (٤/ ٤٠١).
(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٨)
ورواه الإمام أحمد (١/ ٢٥٨) والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٨٠ رقم ١١٢٩٠) والطبري في تفسيره (١٥/ ١٠٨) والحاكم (٢/ ٣٦٢) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٧١) وغيرهم عن ابن عباس.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (أن) الأولى نصبٌ و (أن) الثانية رفعٌ[1]؛ المعنى: ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين.

﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي: بينة ﴿فظلموا بها﴾ أي: ظلموا أنفسهم بعقرها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا﴾ يخوفهم بالآية؛ فيخبرهم أنهم إذا لم يؤمنوا عذَّبهم .

﴿وإذ قلنا لك﴾ أوحينا إليك ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ يعني: أهل مكة؛ أي: يعصمك منهم؛ فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن اللَّه الرسالة.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يعني: ما أراه اللَّه ليلة أسرى به، وليس برؤيا المنام، ولكن بالمعاينة ﴿إلا فتنة للناس﴾ للمشركين لما أخبرهم النبي ﷺ بمسيره إلى بيت المقدس، ورجوعه في ليلة كذَّب بذلك المشركون؛ فافتتنوا لذلك ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ يقول: وما جعلنا أيضًا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس. قال الحسن ومجاهد: هي شجرة الزقوم؛ لما نزلت دعا أبو جهل بتمرٍ وزُبدٍ؛ فقال: تعالوا تزقموا؛ فما نعلم الزقوم إلا هذا!

قال الحسن: وقوله: ﴿الملعونة في القرآن﴾ أي: أن أكلتها ملعونون في القرآن قال: ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الزّقوم ﴿فما يزيدهم﴾ تخويفنا إياهم بها وبغيرها ﴿إلا طغيانًا كبيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من تفسير الطبري (١٥/١٠٨)، البحر المحيط (٦/٥٣)، الدر المصون (٤/٤٠٢).

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ أي: من طين -على الاستفهام- أي: لا أسجد له. ثم ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾ وأمرتني بالسجود له ﴿لئن أخرتني[1] إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلًا﴾ تفسير الحسن: لأهلكنَّهم بالإضلال ﴿إلا قليلًا﴾ يعني: المؤمنين.

قال الحسن: وهذا القول ظنٌّ منه؛ حيث وسوس إلى آدم فلم يجد له عزمًا أي: صبرًا، قال: بنو هذا في الضعف مثله.

قال محمدٌ: تقول العرب: قد احتنكت السَّنَةُ أموالهم؛ إذا استأصلتها، واحتنك فلانٌ ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه[2].

وقوله: ﴿أرأيتك﴾ هو في معنى: أخبرني، والجواب محذوف، المعنى: أخبرني من هذا الذي كرمت عليَّ؛ لم كرّمته عليَّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟! فحذف هذا؛ لأن في الكلام دليلًا عليه[3].

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورًا﴾ قال مجاهد: يعني: وافرًا[4].

---

(١) أثبت الياء في الوصل المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب. النشر (٢/ ٣٠٩) إتحاف الفضلاء (٣٥٩).

(٢) لسان العرب (حنك).

(٣) ينظر ذلك من الدر المصون (٤/ ٤٠٣-٤٠٤)، الكتاب (١/ ٢٣٩)، البحر المحيط (٦/ ٤٤-٤٥).

(٤) أي: التعبير باسم المفعول وإرادة اسم الفاعل. وقد سبق الكلام على مثل هذا.

قال محمدٌ: يقال: وَفَرْتُ عليه ماله أفِرُه فهو موفور؛ أي: مُوَفَّرٌ[1]، ومن هذا قولُ زُهَيْرٍ[2]:-

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَفِرْهُ ومن لا يتّق الشَّتْمَ يُشْتَمِ[3]

قوله: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ تفسير الحسن: هو الدُّف والمزمارُ.

قال محمدٌ: ومعنى (استفزز): استخف[4].

﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ قال مجاهد: كلُّ راكب في معصية اللَّه فهو من خيل إبليس، وكل ماشٍ في معصية اللَّه فهو من رجل إبليس ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ تفسير مجاهد: (في الأموال) يعني: ما كان من مال بغير طاعة اللَّه، و(الأولاد) (ل١٨٧) يعني: أولاد الزنا ﴿وعدهم﴾ بالأماني؛ فإنه لا بعث ولا جنة ولا نار، وهذا وعيد من اللَّه للشيطان كقول الرجل لصاحبه: اذهب فاجهد عليَّ جُهْدَك، وليس على وجه الأمر له به[5].

قال: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى

---

(١) يقال: وَفَرْتُ لفلان المال والمتاع أَفِرُه وَفْرًا وفِرَةً: كثرتُه ووسعتُه. لسان العرب (وفر).
(٢) هو زهير بن أبي سلمى حكيم الشعراء في الجاهلية توفى (١٣ق هـ). ينظر الأعلام (٣/ ٥٢).
(٣) البيت من بحر الطويل ينظر ديوانه ، البحر المحيط (٦/ ٥٨)، روح المعاني (١٥/ ١١٠).
(٤) ومعنى (استفزَّ) أيضًا: أثار وأزعج. المعجم الوسيط (فزز).
(٥) أي أن الأمر في قوله تعالى: (وعِدْهم) ليس على بابه من الأمر الحقيقي؛ بل هو خارج عنه لغرض الوعيد والتهديد، وهذا من مباحث علوم البلاغة. ينظر في الكلام عليه مفتاح العلوم للسكاكي، تلخيص المفتاح للقزويني، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي باب الأساليب الإنشائية.

يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿إن عبادي﴾ يعني: من يلقى اللَّه مؤمنًا ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أن تضلهم ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ أي: حِرزًا ومانعًا لعباده المؤمنين.

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ أي: يجريها ﴿في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ فبرأفته ورحمته سخر لكم ذلك، والرحمةُ للكافر في هذا رحمةُ الدنيا.

﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني: الأهوال ﴿في البحر ضل من تدعون﴾يعني: ما تعبدون ﴿إلا إياه﴾ يقول: إلا إياه تدعون كقوله: ﴿بل إياه تدعون﴾[1] تعلمون أنه لا ينجيكم من الغرق إلا هو ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ عن الذي نجاكم، ورجعتم إلى شرككم ﴿وكان الإنسان كفورًا﴾ يعني: المشرك.

﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ كما خسف بقوم لوطٍ ويقارون ﴿أو يرسل عليكم حاصبًا﴾ قال قتادة: أي: حجارة من السماء يحصبكم بها كما فعل بقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلًا﴾ أي: منيعًا ولا نصيرًا ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي: مرّة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفًا من الريح﴾ يعني: الريح الشديدة ﴿فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا

---

(١) الأنعام: ٤١ .

به تبيعًا﴾ أي: أحدًا يتبعنا بذلك فينتصر لكم.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ أي: فضَّلنا بني آدم على البهائم والسباع والهوام ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ يعني: طيبات الطعام والشراب؛ فجعل رزقهم أطيب من رزق الدواب والطير والجنّ.

﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ تفسير قتادة ومجاهد: أي: بنبيِّهم.

قال محمدٌ: يجوز أن يكون نصب (يوم) على معنى: اذكر يوم ندعو كل أناسٍ[1].

﴿ولا يظلمون فتيلًا﴾ أي: قدر فتيل، والفتيلُ: الذي يكون في بطن النواة[2].

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من البحر (٦/ ٦٢)، الدر المصون (٤/ ٤٠٨).

(٢) لسان العرب (فتل).

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ تفسير قتادة: يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عمَّا عاين فيها من نعم اللَّه وخلقه وعجائبه، فيعلم أن له معادًا، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى ﴿وأضل سبيلًا﴾ أي: طريقًا.

قال محمدٌ: وهذا من عمى القلب؛ أي: هو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلًا؛ لأنه لا يجد طريقًا إلى الهداية.

﴿وإن كادوا﴾ أي: قد كادوا ﴿ليفتنونك﴾ أي: يستزلونك﴿ عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن ﴿لتفتري علينا غيره وإذًا لاتخذوك خليلًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ عصمناك ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا إذًا لأذقناك﴾ لو فعلت ﴿ضعف الحياة﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿وضعف الممات﴾ أي: عذاب الآخرة.

قال محمدٌ: المعنى: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. قال قتادة: ذكر لنا أن قومًا خلوا برسول اللَّه ﷺ ذات ليلة يكلمونه ويُفخمونه، وكان في قولهم أن قالوا: يا محمدُ، إنك تأتي بشيءٍ لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا... فما زالوا يكلمونه حتى كاد يقاربهم - يلين لهم- ثم إن اللَّه عصمه من ذلك.

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ يعني بالأرض: مكة ﴿ليخرجوك منها﴾ أي: يخرجونك منها بالقتل؛ في تفسير الحسن ﴿وإذًا لا يلبثون (خلفك)[1] إلا قليلًا﴾ يعني: بعدك حتى يستأصلهم بالعذاب لو قتلوك ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أنهم إذا قتلوا نبيهم، أهلكهم اللَّه بالعذاب.

---

(١) هكذا في الأصل؛ وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الأخوان وابن عامر وحفص ﴿خلافك﴾. ينظر: السبعة (٢٨٣) النشر (٢/ ٣٠٨)، التيسير (١٤١) الدر المصون (٤/ ٤١١).

قال محمدٌ: يجوز أن يكون نصب (ل١٨٨) (سُنة) بمعنى: أنا (سننتُ) السُّنة فيمن أرسلنا قبلك [١].

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿أقم الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿لدلوك الشمس﴾ أي: لزوالها في كبد السماء؛ يعني: صلاة الظهر والعصر ﴿إلى غسق الليل﴾ يعني: اجتماعه وظلمته؛ صلاة المغرب عند بُدُوّ الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل، وظلمته إذا غاب الشفق ﴿وقرآن الفجر﴾ وهي صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال محمد: قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ المعنى: وأقِمْ قرآن الفجر.

﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ يعني: عطيّة من اللَّه لك.

قال محمد: يقال: تهجّد الرجل إذا سهر، وهجد إذا نام[٢].

﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ وعسى من اللَّه واجبة، والمقام المحمود: الشفاعة.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن صِلَةَ بن زُفَرَ، عن حذيفة ابن اليمان قال: «يجمع اللَّه الناس يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة؛ كما

---

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (٦/ ٦٧-٦٨) الدر المصون (٤/ ٤١٢).

(٢) هذا الفعل من الأضداد. ينظر: لسان العرب (هجد).

خلقوا يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر، حتى يلجمهم العرق، ولا تكلم نفسٌ إلا بإذنه. قال: فأول من يُدعى محمد ﷺ: يا محمد، فيقول: لبيك وسَعْدَيْك والخيْر في يديك، والشر ليس إليك، والسعيد من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانك رب البيت. ثم يقال له: اشْفَعْ. قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده اللَّه»[1].

---

(١) رواه الطيالسي (٥٤رقم٤١٤) والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٨١رقم ١١٢٩٤) وابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٤٥) ومسدد ومحمد بن يحيى بن أبي عمر وأبو يعلى -كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٢٩-٢٣٠رقم ٥٧٥٠)- والبزار (٧/ ٣٢٩رقم ٢٩٢٦) والحارث بن أبي أسامة - زوائده (٣٣٨ رقم١١٣٦) - والحاكم (٢/ ٣٦٣-٣٦٤) وابن مردويه في تفسيره -كما في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٦) - وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧٨) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وقال أبو نعيم: رفعه عن أبي إسحاق جماعة.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٧٧): رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح.

وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٨/ ٣٨٧): رواته ثقات.

وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٢١٧)لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٧٦ رقم ٧٨٩)من طريق عبد اللَّه بن المختار عن أبي إسحاق به مرفوعًا.

ورواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٩ رقم ١٠٥٨) والحاكم (٤/ ٥٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعًا أيضًا.

وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه مسلم شاهدًا. المستدرك نسخة المكتبة الأزهرية الخطية (٤/ق ٢٥٥-ب) وسقط هذا الكلام من المستدرك المطبوع.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٧٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.

﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ يعني: المدينة حين هاجر إليها؛ أمره الله بهذا الدعاء ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ أي: إلى قتال أهل بَدْر، وقد كان أعلمه الله أنه سيقاتل المشركين ببدر، ويظهره عليهم.

قال محمد: من قرأ ﴿مُدْخل﴾ بضم الميم [(١)]، فهو مصدر أَدْخلته مُدْخلًا[(٢)]، ومن قرأ: (مَدْخل)[(٣)] بنصب الميم [(٤)]، فهو على أدخلته فدخل مَدْخل صدق[(٥)]. وكذلك شرح (مُخْرج) مثله [(٦)] ﴿واجعل لي من لدنك﴾ من عندك ﴿سلطانًا نصيرًا﴾ أي: حجّة بيِّنة؛ في تفسير مجاهد.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

---

(١) وهي قراءة العامة ينظر: البحر(٦/ ٧٣) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/ ٤١٥).
(٢) أي: مصدر ميمي، وليس المراد: المصدر القياسي الذي هو (إدخال).
(٣) في الأصل: مدخلًا. وهو مخالف لنص الآية.
(٤) وهي قراءة الحسن وقتادة وأبي حيوة وغيرهم. ينظر: البحر (٦/ ٧٣)، إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/ ٤١٥).
(٥) ينظر لسان العرب (دخل).
(٦) أي: بقراءة ضم الميم وفتحها. ينظر: البحر (٦/ ٧٣) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/ ٤١٥).

﴿وقل جاء الحق﴾ وهو القرآن ﴿وزهق الباطل﴾ وهو إبليس؛ هذا تفسير قتادة ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ الزهوق: الداحضُ الذاهب.

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا﴾ كلما جاء من القرآن شيء كذَّبوا به، فازدادوا فيه خسارًا إلى خسارهم.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يعني: المشرك؛ أي: أعطيناه السلامة والعافية ﴿أعرض﴾ عن اللَّه وعن عبادته ﴿ونأى بجانبه﴾ تباعد عن اللَّه مستغنيًا عنه ﴿وإذا مسه الشر﴾ الأمراض والشدائد ﴿كان يئوسًا﴾ أي: يئس أن يفرج ذلك عنه، لأنه ليست له نيّةٌ ولا حِسْبَةٌ.

﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال قتادة: يعني: على ناحيته؛ لذا يقوى المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره [(١)].

﴿ويسألونك عن الروح﴾ تفسير الكلبي: إن المشركين بعثوا رسلًا إلى المدينة، فقالوا لهم: سَلُوا اليهود عن محمد، وصِفُوا لهم نعْته وقوله، ثم ائتونا فأخبرونا. فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوا بها علماء اليهود من كل أرضٍ قد اجتمعوا فيها - لعيدٍ لهم - فسألوهم عن محمد، ونعتوا لهم نعته، فقال لهم حَبْرٌ من أحبار اليهود: إنّ هذا لنعتُ النبي الذي يُتحدَّث أن اللَّه باعثه في هذه الأرض. فقالت له رسُل قريش: إنه فقير عائلٌ يتيمٌ لم يتبعْه من قومه من أهل الرأي أحدٌ، ولا من ذوي الأسنان[(٢)] فضحك الحبْرُ. وقال: كذلك نجده. قالت له رسُلُ قريش: إنه يقول قولًا عظيمًا؛ يدعو إلى الرحمن

---

(١) وفي تفسير ابن كثير (٥/ ١١١) عند تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: على ناحيته. وقال مجاهد: على حدته وطبيعته. وقال قتادة: على نيته. وقال ابن زيد: دينه.

(٢) أي: المقدمون في أقوامهم.

باليمامة الساحر الكذاب - يعنون: مسيلمة. فقالت لهم اليهود: اذْهَبُوا (ل١٨٩) فسلوا صاحبكم عن خلالٍ ثلاثٍ؛ فإن الذي باليمامة قد عجز عنهن هما اثنان من الثلاث؛ فإنه لا يعلمهما إلا نبي، فإن أخبركم بهما فقد صدق، وأما الثالثة فلا يجترئ عليها أحدٌ، فقالت لهم رسُلُ قريش: أخبرونا بهن. فقالت لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف والرقيم - وقصُّوا عليهم قصتهم - وسلوه عن ذي القرنين - وحدِّثوهم بأمره - وسلوه عن الروح، فإن أخبركم فيه بشيءٍ، فهو كاذبٌ. فرجعت رسل قريش إليهم، فأخبروهم بذلك، فأرسلوا إلى نبي الله فلقيهم فقالوا: يا ابن عبد المطلب، إنّا سائلوك عن خلالٍ ثلاثٍ، فإن أخبرتنا بهن فأنت صادق، وإلا فلا تذكرن آلهتنا بشيءٍ. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما هن؟ قالوا: أخبرنا عن أصحاب الكهف؛ فإنا قد أخبرنا عنهم بآية بينة، وأخبرنا عن ذي القرنين؛ فإنا قد أخبرنا عنه بأمر بين، وأخبرنا عن الروح، فقال رسول الله: أنظروني حتى أنظر ما يحدث إلي فيه ربي؟ قالوا: فإنا ناظروك فيه ثلاثًا. فمكث رسول الله ثلاثة أيام لا يأتيه جبريل، ثم أتاه جبريل، فاستبشر به النبي عليه السلام وقال: يا جبريل، قد رأيت ما سأل عنه قومي ثم لم تأتني! قال له جبريل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًا﴾[1] فإذا شاء ربك أرسلني إليك. ثم قال له جبريل: إن الله قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[2]: ثم قال له: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم...﴾[3] فذكر قصتهم، وقال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين...﴾[4] فذكر قصَّته، ثم

---

(١) مريم: ٦٤ .
(٢) الإسراء: ٨٥ .
(٣) الكهف: ٩ - ٢٦ .
(٤) الكهف: ٨٣ - ٩٨ .

لقي رسول اللَّه قريشًا في آخر اليوم الثالث، فقالوا: ما أحدث إليك ربك في الذي سألناك عنه؟ فقصّه عليهم فعجبوا، وغلب عليهم الشيطان أن يصدقوه.

قال قتادة: وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا﴾ يعني به: اليهود؛ أي: أنهم لم يحيطوا بعلمه.

قال يحيى: وبلغني عن بعض التابعين؛ أنه قال: الروح خلق من خلق اللَّه لهم أيدٍ وأرجلٍ.

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن حتى لا يبقى منه شيء ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلًا﴾ أي: وليًا يمنعك من ذلك. ﴿إلا رحمة من ربك...﴾ فيها إضمارٌ يقول: وإنما أنزلناه عليك رحمة من ربك، الآية.

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾ أي: عوينًا[1].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

---

(١) المراد: مُعينًا، فهي فعيل بمعنى فاعل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (عون).

﴿ولقد صرفنا للناس﴾ أي: ضربنا لهم ﴿في هذا القرآن من كل مثل﴾.

﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا﴾ أي: عَيْنًا ببلدنا هذا ﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها﴾ خلال تلك الجنة ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا﴾ قطعًا؛ في تفسير قتادة ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا﴾ أي: عيانًا؛ في تفسير قتادة.

قال محمدٌ: (قبيلًا) مأخوذ من المقابلة[١].

﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي: من ذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في السماء ولن نؤمن لرقيك﴾ لصعودك أيضًا؛ فإن السَّحرة قد تفعل ذلك، فتأخذ بأعين الناس حتى تبدِّل ﴿حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه﴾ إلى كل إنسان بعينه، من الله إلى فلان ابن فلان وفلان ابن فلان وفلان ابن فلان أن آمنوا بمحمد؛ فإنه رسولي.

﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا﴾ أي: هل كانت الرسل تأتي فيما مضى بكتاب من الله إلى كل إنسان بعينه؟! أنتم أهون على الله من أن يفعل بكم هذا.

﴿وما منع الناس﴾ يعني: المشركين ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرًا رسولًا﴾ (ل١٩٠) على الاستفهام؛ أي: لم يبعث الله بشرًا رسولًا، فلو كان من الملائكة لآمنا به.

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ أي: قد اطمأنت بهم الدار فهي مسكنهم ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولًا﴾ ولكن فيها بشرٌ؛

---

(١) وقيل: القبيل هو الكفيل والضامن، وقيل: الجماعة. وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب (قبل).

فأرسلنا إليهم بشرًا مثلهم .

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾

﴿قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم﴾ قال محمد: المعنى: كفى الله شهيدًا، والنصب يجوز في قوله: (شهيدًا) على نوعين: إن شئت على التمييز؛ كفى الله من الشهداء، وإن شئت على الحال؛ كفى الله في حال الشهادة[1] .

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ موضع (أن) نصبٌ وقوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ موضعُ (أن) رفعٌ، المعنى: ما منعهم من الإيمان إلا قولهم[2] .

﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله. ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ قال السدي: يعني: نسوقهم بعد الحساب إلى النار ﴿على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا﴾ أما (عميًا) فعموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئًا وهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها، و(بكمًا): خرسًا؛ انقطع كلامهم حين قال: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[3] و(صُمًّا): أذهب الزفير والشَّهيقُ بسمعهم؛ فلا يسمعون معه شيئًا، وقال في آية أخرى:

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٢٦١)، الكتاب (١/ ١٧، ١٩)، شرح المفصّل لابن يعيش (١٠/ ١٠٥).

(٢) وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٤/ ٤٢٠)، البحر المحيط (٦/ ٦٧-٦٨).

(٣) المؤمنون: ١٠٨ .

﴿وهم فيها لا يسمعون﴾[١].

﴿كلما خبت زدناهم سعيرًا﴾ تفسير مجاهد: كلما طفئت أسعرت.

قال محمدٌ: خبت النار تخبو خُبُوًّا؛ إذا سكن لهبها[٢]، فإن سكن اللَّهب ولم يطفأ الجمر، قيل: خمدت تخمد خمودًا[٣]، وإن طفئت ولم يبق منها شيءٌ قيل: همدت تهمد همودًا[٤].

وقوله: (زدناهم سعيرًا) أي: نارًا تسعر تتلهّب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أو لم يروا أن اللَّه الذي خلق السمٰوات والأرض﴾ وهم يقرون أنه خلق السمٰوات والأرض ﴿قادرٌ على أن يخلق مثلهم﴾ يعني: البعث ﴿وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه﴾ لا شك فيه؛ يعني: القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ المشركون ﴿إلا كفورًا﴾ بالقيامة.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ تفسير السدي: يعني: مفاتيح الرزق ﴿إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق﴾ خشية الفاقة ﴿وكان الإنسان قتورًا﴾ بخيلًا - يخبر أنهم بخلاء؛ يعني: المشركين.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ

---

(١) الأنبياء: ١٠٠ .

(٢) يقال: خبت النار تخبو خَبْوًا وخُبُوًّا: سكنت. لسان العرب (خبو).

(٣) لسان العرب، مختار الصحاح (خمد).

(٤) لسان العرب، مختار الصحاح (همد).

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾.

﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ يقول ذلك للنبي عليه السلام ﴿فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورًا﴾ قال محمد يعني: مخدوعًا؛ في تفسير بعضهم.

﴿قال لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات؛ يقول هذا لفرعون ﴿إلا رب السمٰوات والأرض بصائر﴾ يعني: حججًا. مقرأ العامة: ﴿لقد علمتَ﴾ بفتح التاء؛ يعني: فرعون[1]؛ كقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا﴾[2] أي: مُهْلَكًا.

﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ يعني: أرض مصر؛ أي: يخرجهم منها بالقتل ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا﴾ يعني: بني إسرائيل وفرعون وقومه، (لفيفًا) جميعًا.

قال محمدٌ: اللفيف معناه في اللغة: الجماعات من قبائل شتى[3].

(١) وقرأ الكسائي (علمتُ) بضم التاء، ينظر الدر المصون (٤/ ٤٢٥).
(٢) الإسراء: ١٠٢ .
(٣) ينظر: لسان العرب (لفف).

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾

﴿وبالحق أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ تنذر الناس .

﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي: طول، ومن قرأها بالتخفيف(١)، فالمعنى: فرق فيه بين الحق والباطل، والحلال والحرام، ومن قرأها بالتثقيل(٢)، فالمعنى: فرّقه الله؛ فأنزله يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، وعامًا بعد عامٍ منجمًا يقرُّ به قلبك.

قال محمدٌ: قوله (قرآنًا) منصوبٌ بفعل مضمر؛ المعنى: وفرقناه قرآنًا(٣).

(ل١٩١) ﴿قل آمنوا به﴾ يعني: القرآن يقوله للمشركين ﴿أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قبل القرآن؛ يعني: المؤمنين من أهل الكتاب ﴿إذا

---

(١) أي: (فَرَقْنَاه) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤/ ٤٢٦).

(٢) أي: (فرّقناه) وهي قراءة ابن محيصن، وأُبيّ، وعلي، وابن عباس، وغيرهم. ينظر: البحر (٦/ ٨٧)، المحتسب (٢/ ٢٣)، إتحاف الفضلاء (٢٨٧).

(٣) وفيه توجيهات نحوية أخرى تنظر من معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٢) إعراب القرآن (٢/ ٢٦٣)، البحر (٦/ ٨٧).

يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرون للأذقان﴾ للوجوه؛ في تفسير قتادة ﴿سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولًا﴾ أي: قد كان.

قال محمدٌ: المعنى: كان وعد ربنا مفعولًا، ودخلت (إن) واللام للتوكيد[١].

و(يخرون للأذقان) يعني: الوجوه.

﴿يبكون ويزيدهم﴾ يعني: القرآن ﴿خشوعًا﴾ والخشوع: الخوف الثابت في القلب.

قال محمدٌ: (الأذقان) واحدها: ذقَنٌ؛ وهو مجمع اللَّحْيينِ؛ وهو عضوٌ من أعضاء الوجه[٢]، و(سجدًا) منصوبٌ على الحال[٣].

﴿قل ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن﴾ (...)[٤].

﴿قل ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعو﴾ يقول: أيّ الاسمين دعوتموه ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ أي: أنه هو اللّه وهو الرحمن.

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا﴾ تفسير ابن عباس: يقول: هذا في الصلاة المكتوبة لا تجعلها كلها سرًا، ولا تجعلها كلها جهرًا، وابتغ بين ذلك سبيلًا.

قال يحيى: في تفسير الكلبي «أن رسول اللّه ﷺ إذ هو بمكة كان يجتمع إليه أصحابه؛ فإذا صلى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فآذوه، وإن

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٦٠)، كشف المشكلات (٢/ ٧٣٧).
(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (ذقن).
(٣) ينظر: الدر المصون (٤/ ٤٢٨)، البحر (٦/ ٨٨).
(٤) طمس في الأصل.

خفض صوته لم يُسمع من خلفه، فأمره اللَّه أن يبتغي بين ذلك سبيلًا».

﴿وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا﴾ يتكثَّر به من القلَّة ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ خلق معه شيئًا ﴿ولم يكن له وليٌّ من الذل﴾ يتعزز به ﴿وكبره تكبيرًا﴾ أي: عظمه تعظيمًا.

* * *

تفسير سورة الكهف، وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)﴾

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه، وهو الحميد ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ يقول: لا عوج فيه ولا اختلاف ﴿لينذر بأسًا شديدًا من لدنه﴾ أي: بعذاب شديد من لدنه؛ أي: من عنده ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنًا﴾ عند الله في الجنة ﴿ماكثين فيه أبدًا﴾.

﴿ما لهم به من علم﴾ أن لله ولدًا ﴿ولا لآبائهم﴾ الذين كانوا في الشرك ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ (كلمةً) بالنصب[1]، وكان الحسن يقرؤها (كلمةٌ) بالرفع[2]؛ وتفسيرها: كبرت تلك الكلمة كلمة أن قالوا أنّ لله ولدًا.

---

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/ ٢٦٥)، البيان (٢/ ١٠٠)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير في رواية القواس عنه. ينظر: البحر (٦/ ٩٧)، المحتسب (٢/ ٢٤)، الدر المصون (٤/ ٤٣٣).

قال محمدٌ: ومن قرأها بالنصب، فهو على التمييز؛ بمعنى: كبرت مقالتهم: اتخذ اللَّه ولدًا كلمةً[١].

﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك ﴿على آثارهم﴾ أي: من بعدهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفًا﴾ أي: حزنًا عليهم.

قال محمدٌ: (أسفًا) منصوبٌ مصدرٌ في موضع الحال[٢].

﴿لنبلونهم﴾ لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملًا﴾ أي: أطوع للَّه.

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ ما على الأرض ﴿صعيدًا جرزًا﴾ قال قتادة: الجُرُز: التي ليس فيها شجرٌ ولا نبات.

قال محمدٌ: يقال: أرض جرز، وأراضون أجراز[٣]، والصعيد عند العرب: المستوي[٤].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا

---

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٨٨)، البحر (٦/ ٩٧)وينظر في توجيه هاتين القراءتين البحر (٦/ ٩٧)، الدر المصون (٤/ ٤٣٣).

(٢) ينظر الدر المصون (٤/ ٤٣٤).

(٣) يقال: جُرُزٌ، وجُرْزٌ وجَرَزٌ بمعنى. لسان العرب، مختار الصحاح (جرز).

(٤) والصعيد: التراب. وقال ثعلب: هو وجه الأرض. لسان العرب. مختار الصحاح (صعد).

لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿أم حسبت﴾ أي: أفحسبت ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا﴾ تفسير قتادة: يقول: قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك، والكهف: كهف الجبل، والرقيم: الوادي الذي فيه الكهف ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي: رزقًا. ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدًا﴾ .

قال محمدٌ: المعنى: أرشدنا إلى ما يقرب منك.

قال يحيى: كانوا قومًا قد آمنوا، وفروا بدينهم من قومهم، وكان قومهم على الكفر، وخشوا على أنفسهم القتل.

قال: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا﴾ .

قال محمدٌ: (. . .)[١] و(عددًا) منصوبٌ (ل١٩٢)على المصدر[٢]؛ أي: تُعَدُّ عدًّا.

﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا﴾ قال محمدٌ: (أمدًا) منصوبٌ على التميز؛ المعنى: لنعلم أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد[٣]، وقوله: ﴿ثم بعثناهم﴾ يعني: من نومهم، وكل شيءٍ ساكن حرّكته للتصرُّف

(١) طمس في الأصل.
(٢) ينظر: البحر (٦/ ١٠٢)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٥)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٦٣).
(٣) وفيه أقوال أخر. ينظر: الدر المصون (٤/ ٤٣٧).

فقد بعثته .

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ أي: خبرهم .

﴿وزدناهم هدى﴾ يعني: إيمانًا .

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ بالإيمان. قال محمدٌ: المعنى: ألهمناهم الصبر، وثبتنا قلوبهم .

﴿لقد قلنا إذًا شططًا﴾ قال قتادة: يعنون: جورًا .

﴿لولا﴾ هلَّا ﴿يأتون عليهم بسلطان بين﴾ بحجة بينة؛ بأن اللَّه أمرهم بعبادتهم ﴿فمن أظلم ممن افترى على اللَّه كذبًا﴾ أي: لا أحد أظلم منه .

﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا اللَّه ﴾ قال قتادة: هي في مصحف ابن مسعود (وما يعبدون من دون اللَّه)(١) وهذا تفسيرها ﴿فأْوُوا إلى الكهف﴾ أي: فانتهوا إلى الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي: يبسط لكم من رزقه؛ في تفسير السدي.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟

---

(١) وقرأ أيضًا عبد اللَّه بن مسعود: (وما يعبدون من دوننا) ينظر البحر (٦/١٠٦)، الطبري (١٥/ ١٣٨).

لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزَّاور﴾ أي: تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم﴾ أي: تتركهم ﴿ذات الشمال﴾ قال الحسن: يقول: لا تدخل الشمس كهفهم ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: في فضاء من الكهف.

قال محمدٌ: (تزَّاور) الأصل فيه: (تتزاور) فأُدغمت التاء في الزاي[1]، و(تقرضهم) أصل القرض: القطع والتفرقة[2]، والقراءة (تقرِضهم) بكسر الراء[3] وفيه لغةٌ أخرى (تقرُضهم) بالضم[4] .

﴿من يهد اللَّه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا﴾ أي: صاحبًا يُرْشِدُه.

قال محمدٌ: (المهتد) وقعت في المصحف في هذا الموضع بغير ياء[5]، ووقعت في الأعراف بالياء[6]، وحذف الياء جائزٌ في الأسماء، ولا

(١) ينظر: مجمع البيان (٣/ ٤٥٥)، البيان (٢/ ١٠٢).

(٢) وقوله تعالى: ﴿تقرضهم ذات الشمال﴾؛ أي: تُخَلِّفهم شمالًا وتُجَاوزهم وتَقْطَعهم وتتركهم عن شمالها. مختار الصحاح (قرض).

(٣) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤/ ٤٤٢).

(٤) أي: بضم الراء وليست هذه قراءةً قرآنية، إنما هي لغةٌ في (تقرضهم) ينظر لسان العرب (قرض).

(٥) وأثبت الياء وصلا المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحالين يعقوب، ووردت عن ابن شنبوذ عن قنبل. النشر (٢/ ٣١٦) وإتحاف الفضلاء (٣٦٤).

(٦) الأعراف: ١٧٨ .

يجوز في الأفعال[1].

﴿وتحسبهم أيقاظًا﴾ أي: مفتحة أعينهم ﴿وهم رقود﴾ .

قال محمدٌ: الأيقاظ: المنتبهون، والرقود: النيامُ.

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال قتادة: في رقدتهم الأولى قبل أن يموتوا.

قال أبو عياض: لهم في كل عام تقليبتان ﴿وكلبهم باسط ذراعيه [بالوصيد][2]﴾ أي: بفناء الكهف ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا﴾ .

قال محمدٌ: (فرارًا) منصوبٌ على المصدر؛ لأن معنى وليت: فررتَ[3]، و(رعبًا) منصوبٌ على التمييز[4] .

﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ وكانوا دخلوا الكهف في أول النهار، قال: فنظروا فإذا هو قد بقي من الشمس بقية، فقالوا: ﴿ أو بعض يوم﴾، ثم إنهم شكوا؛ فردوا ذلك إلى اللَّه فقالوا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ أي: بدراهمكم ﴿إلى المدينة﴾ وكانت معهم دراهم ﴿فلينظر أيها أزكى طعامًا﴾ تفسير سعيد بن جبير: أيها أحلُّ.

قال يحيى: وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله.

---

(١) ينظر: مجمع البيان (٣/ ٤٥٥) البيان (٢/ ١٠٢).
(٢) سقط من الأصل، والصواب إثباته؛ لأنه مشروحٌ بعدُ.
(٣) لسان العرب(ولي).
(٤) ينظر: البحر (٦/ ١٠٩)، التبيان (٨٤١)، مجمع البيان(٣/ ٤٥٥).

﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن﴾ يعلمن ﴿بكم أحدًا إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالحجارة ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ الكفر ﴿ولن تفلحوا إذًا أبدًا﴾ إن فعلتم .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)﴾

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي: أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان الذي أحياهم الله فيه ﴿ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ يعني: قومهم؛ كانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام، ثم إنهم اختلفوا في البعث؛ فقال بعضهم: يُبعثُ الناس في أجسادهم - وهؤلاء المؤمنون كان الملك منهم - وقال بعضهم: تُبعث الأرواح بغير أجساد؛ فبعث الله أصحاب الكهف (ل١٩٣) يُرَوْن أنها تلك الأمة الذين فروا منهم. [ودخل][(١)] المدينة وهي مدينة بالروم يقال لها: قبسوسُ[(٢)]، وأخرج الدراهم؛ ليشتري بها الطعام، فاستُنكرت الدراهم، وأخذ فذهب به إلى ملك المدينة؛ فإذا الدراهم

---

(١) في الأصل: دخل - بدون الواو - وأثبتها لربط السياق.

(٢) وفي تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٢): يقال لها: دقسوس. ولم أجد قبسوس ولا دقسوس في معجم البلدان ولا في معجم ما استعجم، والله أعلم.

دراهم الملك الذي فروا منه؛ فقالوا: هذا رجل وجد كنزًا، فلما خاف على نفسه أن يعذب أطلع على أصحابه، فقال لهم الملك: قد بيَّن اللَّه لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس ليُبْعَثون في أجسامهم، فركب الملك والناس معه؛ حتى أتوا إلى الكهف وتقدَّمهم الرجل حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتوا؛ لأنه قد كانت أتت عليهم آجالهم، فقال القوم: كيف نصنع بهؤلاء؟! ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا﴾ .

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ رؤساؤهُمْ وأشرافهم ﴿لنتخذن عليهم مسجدًا﴾ .

قال اللَّه: ﴿سيقولون﴾ سيقول أهل الكتاب: ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب﴾ قال: السدي: يعني: رميًا بقول الظن.

قال محمدٌ: المعنى يقولون ذلك ظنًّا بغير يقين. قال زُهيْر:

وما الحربُ إلا ما علمتُمْ وذُقْتُم وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ[(١)]

قوله: ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال قتادة: إلا قليلٌ من الناس، وذكر لنا أنَّ ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى اللَّه؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

قال: ﴿فلا تمار فيهم﴾ يقول اللَّه للنبي: فلا تمار أهل الكتاب في أصحاب الكهف ﴿إلا مراء ظاهرًا﴾ أي: إلا بما أخبرتك؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: المعنى: أفْتِ في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك.

﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم أحدًا﴾ من اليهود .

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو من معلَّقة زهير المشهورة. ينظر: خزانة الأدب (٣/ ٣٤٥)، حاشية يس (٢/ ٦٢)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٨٣).

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىٍءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء اللَّه﴾ يقول: إلا أن تستثني.

قال محمدٌ: المعنى: إلا أن تقول: إن شاء اللَّه؛ فأضمر القول؛ ذكره أبو عبيد.

وقوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾.

قال يحيى: «بلغنا أن اليهود لمَّا سألت رسول اللَّه عن أصحاب الكهف قال لهم رسول اللَّه ﷺ: أخبركم عنها غدًا. ولم يستثن؛ فأنزل اللَّه هذه الآية»[1].

قال الحسن: أمر ألا يقول لشيءٍ في الغيب: إني فاعلٌ ذلك غدًا، دون أن يستثني: إلا أن يشاء اللَّه، وأمِرَ أن يستثني إذا ذكر؛ فكان الحسن يقول: إذا حلف الرجل على شيءٍ وهو ذاكرٌ للاستثناء، ولم يستثن فلا ثُنيا له، وإن حلف على شيءٍ وهو ناسٍ للاستثناء فله ثُنيَاه ما دام في مجلسه ذلك تكلَّمَ أو لم يتكلَّم.

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٦٩-٢٧١) من طريق ابن إسحاق عن رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.
وهو في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق (١/ ٣٢٠-٣٢٢) بغير إسناد.

﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدًا﴾ قال محمدٌ: قيل: المعنى: عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشدِ، وأدل من قصة أصحاب الكهف.

﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ ثم أخبر ما تلك الثلاثمائة، فقال: ﴿سنين﴾.

قال محمدٌ: (سنين) عطفٌ على ثلاثمائة؛ وهذا العطف يسميه النَّحْوِيون: عطف البيان والتوكيد[1].

قوله: ﴿وازدادوا تسعًا﴾ أي: تسع سنين. تفسير قتادة: قال: هذا قول أهل الكتاب، رجع إلى أول الكلام ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم﴾ ويقولون: ﴿لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين، وازدادوا تسعًا﴾. قال قتادة: فردّ اللَّه على نبيه فقال: ﴿قل اللَّه أعلم بما لبثوا له غيب السمٰوات والأرض﴾ أي: يعلم غيب السمٰوات والأرض ﴿أبصر به وأسمع﴾ يقول: ما أبصره وما أسمعه!

قوله: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ يمنعهم من عذاب اللَّه ﴿ولا يشرك في حكمه أحدًا﴾ أي: ولا يشرك اللَّه في حكمه أحدًا.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

---

(١) إعراب القرآن (٢/ ٢٧١)، البحر(٦/ ١١٦-١١٧)، مجمع التفاسير (٤/ ١٠١)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٨).

وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا يغير في الآخرة بخلاف ما قال في الدنيا ﴿ولن تجد من دونه ملتحدًا﴾ (ل١٩٤) قال قتادة: يعني [موئلًا][1] قال: ملتحدًا؛ أي: نصيرًا؛ يقال: لحدت وألحدت بمعنى: عدلت[2].

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال قتادة: هما الصلاتان: صلاة الفجر، وصلاة العصر، وبعدهما فرضت الصلوات قبل خروج النبي من مكة إلى المدينة بسنة ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ مَحْقَرةً لهم ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾.

قال محمدٌ: ومعنى (لا تعدُ): لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم.

قال يحيى: نزلت في سلمان الفارسي وصُهيب وخبَّاب بن الأرَت وسالم مولى أبي حذيفة؛ قال المشركون للنبي عليه السلام: إن أردت أن نجالسك فاطْرُدْ عنَّا هؤلاء القوم.

---

(١) طمس بالأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٣).
(٢) لسان العرب (لحد).

يحيى: عن أشعث، عن يعلى بن عطاء، عن (عمرو)[١] بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حَطْمِ السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحًّا[٢]»[٣].

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «لأن أجالس أقوامًا يذكرون الله بعد صلاة الصبح؛ حتى تطلع الشمس أحب إلي من كل ما تطلع عليه الشمس ولأن أجالس أقوامًا يذكرون الله بعد صلاة العصر؛ حتى تغيب الشمس أحبّ إلي من أعتق ثمانية من ولد إسماعيل»[٤].

---

(١) كذا في الأصل، والحديث معروف من رواية بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو. أو عن بشر بن عاصم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، ذكره البخاري في تاريخه (٢/ ٧٧) في ترجمته بشر بن عاصم، والله أعلم.

(٢) أي: كثيرًا؛ يقال: سحُ يسُحُ سحًا. لسان العرب (سحح).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٢رقم ٥، ٨/ ٢٣٥رقم ٢) والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٣٩٤ رقم ١١١٦) من طريق هشيم عن يعلى بن عطاء موقوفًا.
قال البخاري في التاريخ (٢/ ٧٧) بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قوله في الذكر، قاله هشيم أخبرنا يعلى بن عطاء.
وقال كثير بن هشام: حدثنا أبو الربيع السمان عن يعلى بن عطاء عن بشر بن عاصم عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «ذكر الله بالغداة والعشي أفضل»اهـ.
ورواه ابن عدي في الكامل (٣/ ٥٣٤) عن الحسن بن علي العدوي، عن خراش، عن أنس ابن مالك.
وقال ابن عدي: وخراش هذا مجهول ليس بمعروف، وما أعلم حدث عنه ثقة أو صدوق إلا الضعفاء... فإذا لم يُعرف الرجل وكان مجهولا كان حديثه مثله، والعدوي هذا كنا نتهمه بوضع الحديث، وهو ظاهر في الكذب.اهـ.
وقال العراقي في تخريج الإحياء(١/ ٣٥١): رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل، وهو معروف من قول ابن عمر -كذا- كما رواه ابن عبد البر في التمهيد.

(٤) رواه الطيالسي (٢٨١رقم ٢١٠٤) وأحمد بن منيع -كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٣٧٣ رقم =

قوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ يعني: شهوته ﴿وكان أمره فرطًا﴾ يعني: تضييعًا ﴿وقل الحق من ربكم﴾ قال قتادة: يعني: القرآن.

قال محمدٌ: المعنى: وقل الذي آتيتكم به الحق من ربكم.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: من آمن دخل الجنة، ومن كفر دخل النار.

قوله: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ يعني: سورها ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ تفسير زيد بن أسلم: كَعَكَرِ[1] الزيْت.

قال محمدٌ: ما أذيب من الذهب والفضة، والصُّفر والرصاص وما أشبه ذلك فهو عند أهل اللغة: مُهْل[2].

﴿يشوي الوجوه﴾ أي: يحرقها إذا أهوى ليشربه ﴿بئس الشراب وساءت مرتفقًا﴾ أي: منزلًا ومأوى؛ وهذا وعيدٌ لمن كفر.

= ٣/٦٠٤٣)- والحارث بن أبي أسامة في مسنده- زوائد (٣١٤ رقم ١٠٥٣، ١٠٥٤)- وأبو يعلى في مسنده (٧/١٢٨-١٢٩ رقم ٤٠٨٧، ٧/ ١٥٤ رقم ٤١٢٥، ٤١٢٦)وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١٦-٣١٧ رقم ٦٧٠)والطبراني في الدعاء (٥٢٥ رقم ١٨٧٩) والبيهقي في السنن (٨/٣٨، ٧٩) وفي الشعب (١/ ٤٠٩ رقم ٥٦٠)وابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٧-٩)من طريق يزيد الرقاشي به.

قال ابن حزم في المحلى (١٠/ ٣٩٤): يزيد الرقاشي ضعيف لا يحتج به.

وقال النووي في الأذكار: روينا في كتاب ابن السني بإسناد ضعيف.

وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٨): ورجاله ثقات إلا الرقاشي، وهو يزيد بن أبان؛ فقد ضعفوه.

(١) العَكَرُ: هو دُرْدِيُّ الزيت. لسان العرب، مختار الصحاح (عكر).

(٢) وقال أبو عمرو: المهل: دردي الزيت. قال: والمهل أيضًا: القيح والصديد. لسان العرب، مختار الصحاح (مهل).

قال محمدٌ: (مرتفقًا) منصوبٌ على التمييز[١].

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى قوله: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾.

يحيى: عن ابن لهيعة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل من أهل الجنة لو بدا إِسْوَاره لغلب على ضوء الشمس»[٢].

وقال سعيد بن المسيب: ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: إِسْوارٌ من ذهب، وإِسْوارٌ من فضة، وإِسْوارٌ من لؤلؤ.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦/ ١٢١)، الدر المصون (٤/ ٤٥١).

(٢) كذا ورد هذا الحديث في الأصل عن ابن لهيعة معضلا.

ورواه الإمام أحمد (١/ ١٦٩، ١٧١) والترمذي (٤/ ٥٨٥ رقم ٢٥٣٨) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (١٢٦ رقم ٤١٦) والبزار في مسنده (٣/ ٣١٥ رقم ١١٠٩) والدورقي في مسند سعد (٢٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ٥٣ رقم ٢١٠، ٢/ ١١١ رقم٢٦٦) والبغوي في شرح السنة (١٥/ ٢١٤ رقم ٤٣٧٧)والضياء في المختارة (٣/ ٢٠٢ رقم ١٠٠٣) والمزي في تهذيب الكمال (٨/ ٤٠٨-٤٠٩)من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال: عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ.

وقال البغوي: هذا حديث غريب.

وتابع ابن لهيعة عليه الليث؛ قال الدارقطني في العلل (٤/ ٣٣٥-٣٣٦ رقم ٦٠٨) لما سئل عن هذا الحديث: يرويه يزيد بن أبي حبيب، واختلف عنه.

فرواه الليث عن يزيد عن داود بن عامر بن سعد عن أبيه عن جده. وخالفه يحيى بن أيوب؛ فرواه [عن] يزيد بن أبي حبيب عن عمر بن سعد. والأول أصح. اهـ

ولذا قال الضياء في المختارة: وما كتبت هذا الحديث من حديث ابن لهيعة إلا لقول الدارقطني: إن الليث قد رواه عن يزيد بن أبي حبيب.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٢٠٨) والبزار في مسنده (٣/ ٣١٥ رقم١١٠٩) من طريق يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمر، عن سعد.

﴿ويلبسون ثيابًا من سندس وإستبرقٍ﴾ وهما نوعان من الحرير.

قال محمد: قيل: إن السندس رقيقُ الديباج، والإستبرق ثخينه .

﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ تفسير ابن عباس: الأرائك: السُّرُرُ عليها الحجال[1].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ قال محمد: يقول: جعلنا النخل مطبقًا بهما. وقوله: ﴿مثلًا رجلين﴾ نصبهما على معنى المفعول[2]؛ أي: اضرب لهم رجلين مثلًا.

﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أطعمت ثمرتها ﴿ولمْ تظلم منه شيئًا﴾ أي: تنقص.

---

(١) واحدها: حَجَلةٌ؛ وهي بيتٌ يزيَّن بالثِّياب والأسِرَّة والسُّتور. لسان العرب، مختار الصحاح (حجل).

(٢) ينظر الدر المصون (٤/ ٤٥٤).

قال محمدٌ: قال: (آتتْ) ولمْ يقل: (آتتا)؛ لأنّ المعنى كل واحدة منهما آتت أكلها[١].

﴿وفجرنا خلالهما نهرًا﴾ أي: بينهما ﴿وكان له ثمرٌ﴾ أي: أصلٌ ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا﴾ يعني: رجالًا وناصرًا.

قال يحيى: كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالًا؛ فاقتسماه فأصاب كل واحدٍ منهما أربعة آلافِ دينار، فأما أحدهما فكان مؤمنًا فأنفق في طاعة اللَّه وقدمه لنفسه، وأما الآخر فكان كافرًا اتخذ الأرضين والضياع والدور والرقيق (. . .)[٢] فاحتاج المؤمن ولمْ يبق في يده شيء فجاء إلى أخيه يزوره، ويتعرّضُ لمعروفه، فقال أخوه: وأين ما ورثْتَ؟ قال: أقرضْتُهُ(ل١٩٥) ربي وقدَّمته لنفسي؛ فقال له أخوه: لكني اتخذتُ به لنفسي ولولدي؛ ما قد رأيت.

قال اللَّه: ﴿ودخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه﴾ يعني: بشركه ﴿قال ما أظن﴾ أي: ما أوقن ﴿أن تبيد هذه أبدًا﴾ أي: تفنى، تفسير الحسن: ليس يعني: أنها لا تفْنى فتذهب، ولكنه يعني: أنه يعيش فيها حتى يأكلها حياته﴿وما أظن﴾ أي: وما أوقن أن ﴿الساعة قائمة﴾ يجحد بالبعث ﴿ولئن رُدِدْت إلى ربي لأجدنَّ خيرًا منها﴾ أي: من جنَّتي ﴿منقلبًا﴾ في الآخرة إن كانت آخرة. قال: ﴿ودخل جنته﴾ وقال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ كانت جنةً فيها نهر، فهي جنةٌ وهي جنتان ﴿قال له صاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره. . .﴾ إلى قوله:

---

(١) ينظر البحر المحيط (٦/ ١٢٣-١٢٤)، والدر المصون (٤/ ٤٥٤).
(٢) طمس في الأصل.

﴿لكنا هو اللَّه ربي ولا أشرك بربي أحدًا﴾.

قال محمدٌ: (لكنا) كتبت - فيما ذكر أبو عُبَيْد - بالألف في المصحف الذي يقال: هو مصحف عثمان[١]. قال: وقرأها غيرُ واحدٍ مشدَّدة على حذف الألف إذا وصلوا[٢]، وأصْلُها فيما أرى (لاكنْ أنا) فالتقت النونان فأدغمتا؛ فإذا وُصِلت القراءة حذفت الألف، وثبتت في الوقف[٣]، وهذا كقولك: أن[٤] فعلت ذلك، فالألف محذوفة، فإذا سكت عليها قُلتَ: أنا - بإثبات الألف.

قال محمد: وذكر الزَّجاج أنّ من أثبت الألف في الوصل كما يثبتها في الوقف - فهو على لغة من قال: أنا فعلت، قال: وإثباتها في الوصْل شاذٌّ[٥].

﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي: فهلا إذ دخَلْت جنتك ﴿قلت ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه﴾ ثم قال: ﴿إنْ ترني[٦] أنا أقل منك مالًا وولدًا فعسى ربي أن يؤتينِ﴾ في الآخرة ﴿خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسبانًا من السماء﴾ قال السُّدي: يعني: نارًا من السماء.

---

(١) قراءة إثبات الألف وصلا ووقفًا هي لابن عامر، ونافع في رواية عنه. ينظر السبعة (٣٩١)، النشر (٢/ ٣١١)، تفسير القرطبي (١٠/ ٤٠٥).

(٢) أي قراءة (لكنَّ) بغير ألف وصلا ووقفًا وعُزيت هذه القراءة للكسائي، ولأبي عمرو أيضًا. ينظر: البحر(٦/ ١٢٨)، القرطبي (١٠/ ٤٠٤) وابن مجاهد يقول في كتاب السبعة (٣٩١): لم يختلف في الوصل أنه بالألف، وإنما اختلف في الوصل. اهـ. وقال ابن الجزري في النشر (٢/ ٣١١): ولا خلاف في إثباتها في الوقف اتباعًا للرسم. اهـ.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٤)، إعراب القرآن (٢/ ٢٧٥-٢٧٦)، البحر (٦/ ١٢٧-١٢٨).

(٤) أي: (أنا)، وحذفت الألف وصلًا.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٦٩-١٧٠)، الخصائص (٢/ ٣٣٣)، (٣/ ٩٢)، شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٦٢، ٦٤).

(٦) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب. النشر (٢/ ٣١٦) وإتحاف الفضلاء (٣٦٧).

قال محمدٌ: وقيل: ﴿حسبانًا من السماء﴾ أي: مرامي، واحدتها: حُسْبَانة[١]. ومن قرأ: (أقلَّ) بالنصب[٢] فهو مفعول ثانٍ لـ(ترى)، ودخلت (أنا) للتوكيد[٣].

قال: ﴿فتصبح صعيدًا زلقًا﴾ تفسير الحسن: يعني: ترابًا لا نبات فيه.

قال محمد: (الصعيد): المستوي، ويُسمَّى وجْهُ الأرض: صعيدًا، ولذلك يقال للتراب: صعيد[٤]؛ لأنه وجْهُ الأرض[٥]، و(الزَّلق): الذي تزِلُّ عليه الأقدام.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أو يصبح﴾ يعني: أو يصير ﴿ماؤها غورًا﴾ أي: ذاهبًا قد غار في الأرض ﴿فلن تستطيع له طلبًا﴾.

---

(١) لسان العرب (حسب).
(٢) وهي قراءة الجمهور، وقرأ عيسى بن عمر (أقلُّ) بالرفع. ينظر: الدر المصون (٤/٤٥٨).
(٣) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٥)، إعراب القرآن (٢/ ٢٧٦)، البحر (٦/ ١٢٩).
(٤) في الأصل: صعيدًا.
(٥) وهو قول ثعلب. ينظر مختار الصحاح (صعد).

قال محمدٌ: (غورًا) مصدَرٌ وضع موضع الاسم، يقال: ماءٌ غورٌ، ومياهٌ غورٌ[١].

﴿وأحيط بثمره﴾ من الليل.

قال محمدٌ: معنى (أُحيط): أُهلِك.

﴿فأصبح﴾ من الغد ﴿يقلب كفَّيه﴾ قال الحسن: يقول: يضرب إحداهما على الأخرى ندامة ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾.

قال محمدٌ: معنى (خاويةٌ على عروشها)أي: خرابٌ على سقفها، والأصل في ذلك: أن يسقط السقفُ ثم تسقط الحيطان عليها.

﴿ويقول﴾ في الآخرة ﴿يا ليتني لم أشرك بربي﴾ في الدنيا ﴿أحدًا﴾ .

﴿ولم تكن له فئةٌ﴾ أي: عشيرة ﴿ينصرونه من دون اللَّه﴾.

قال محمدٌ: قوله: ﴿فئةٌ ينصرونه﴾ ولم يقل: تنصُره[٢]؛ المعنى: ولم يكن له أقوامٌ ينصرونه.

﴿هنالك الولاية للَّه الحق﴾ تقرأ برفع (الحق) وبجره[٣]، فمن قرأها بالرفع فيقول: هنالك الولاية الحقُّ للَّه، ومن قرأها بالجر يقول: للَّه الحقِّ، والحق اسم من أسماء اللَّه؛ المعنى: هنالك يتولَّى اللَّهَ كُلُّ عبدٍ لا يبقى أحدٌ يومئذٍ إلا تولَّى اللَّهَ، فلا يقبل ذلك من المشركين.

---

(١) قيل: ماء غور؛ أي: غائر. وصف بالمصدر؛ كدرهم ضرب. لسان العرب، مختار الصحاح (غور).

(٢) لأن معنى (فئة): طائفة؛ فهي واحد في اللفظ، جمع في المعنى. والجمع: فئات، وفئون. لسان العرب ، مختار الصحاح (فيء)، (فأي).

(٣) قرأ السبعة إلا أبا عمرو، والكسائي بالجر، أما أبو عمرو و الكسائي فقد قرآ بالرفع. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٢/ ٣١١) .

قال يحيى: قال السُّدي: الولاية بالفتح.

قال محمدٌ: وقرأها حمزة والكسائي بكسر الواو، ذكره أبو عُبيْدٍ[(١)].

قوله: ﴿هو خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عقبًا﴾ أي: عاقبةً.

قال محمدٌ: (ثوابًا وعقبًا) منصوبان على التمييز[(٢)].

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾.

قال محمدٌ: يعني: اندفع في النبات، فأخذ النبات زخرفَهُ.

﴿فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾ فأخبر أن الدنيا ذاهبةٌ زائلة؛ كما ذهب ذلك النبات بعد بهجته وزينته.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات﴾ هي في تفسير الحسن: [الفرائض][(٣)] ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملًا﴾ يقول: هي جزاء ما قدموه في الدنيا (ل١٩٦) أي يثابوه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ

---

(١) قال ابن السِّكِّيت: الولاية - بالكسر -: السلطان، والولاية - بالفتح والكسر - النصرة. وقال سيبويه: الولاية - بالفتح -: المصدر، وبالكسر: الاسم. وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرآ بالكسر. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٢/ ٢٧٧)، التيسير (١٤٣).

(٢) إعراب القرآن (٢/ ٢٧٨)، البحر (٦/ ١٣١)، التبيان (٨٤٩).

(٣) مشتبهة بالأصل؛ وانظر تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٧).

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿ويوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزةً﴾ أي: مستوية ليس عليها بناء ولا عُمُد.

قال محمدٌ: يجوز النصب في قوله: (ويوم نسيِّر)[1] على معنى: واذكر يوم نُسير الجبال.

﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا﴾ يقال: أحضروا؛ فلم يغب منهم أحدٌ.

قال محمدٌ: يقال: غادرت كذا وغدَرْته؛ أي: خلَّفتُه[2].

﴿وعُرضوا على ربك صفًّا﴾ (أي: صفوفًا)[3] ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرّة﴾ أي: حُفاة عُراة غُرْلًا، يعني: غُلْفًا غير مُختَتِنين.

يحيى: عن الأزهر بن عبد الله الأزدي «أن رسول الله لما قرأ هذه الآية قالت عائشة: يا سوءتاه لك يا ابنة أبي بكر! فقال رسول الله: الناس يومئذٍ أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض؛ إن أول من يُكسى إبراهيم خليل الله»[4]

---

(١) ينظر البحر المحيط (٦/ ١٣٤)، الدر المصون (٤/ ٤٦١).

(٢) لسان العرب (غدر).

(٣) مكرر في الأصل.

(٤) روى البخاري (١١/ ٣٨٥ رقم٦٥٢٧) ومسلم (٤/ ٥٠٠ رقم٢٨٥٩) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: تحشرون حفاة عراة غرلا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».
وروى البخاري (١١/ ٣٨٥ رقم ٦٥٢٦) ومسلم (٤/ ٢١٩٤ رقم ٢٨٦٠) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة: إبراهيم الخليل».

من حديث يحيى بن محمد.

﴿بل زعمتم﴾ يقول للمشركين ﴿أن لن نجعل لكم موعدًا﴾ يعني: أن لن تُبعثوا.

﴿ووضع الكتاب﴾ يعني: ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا ﴿فترى المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿مشفقين﴾ أي: خائفين ﴿مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا﴾ في كتبهم ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾.

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ قال الحسن: وهو أول الجن؛ كما أنّ آدم من الإنس؛ وهو أول الإنس. وتفسير قتادة: كان من الجن قَبِيلٌ[1] من الملائكة؛ يقال لهم: الجن، وكان[2] على خزانة السماء الدنيا ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي: عصى أمره.

قال محمدٌ: الفسوق أصله: الخروجُ؛ تقول العرب: فسقت الرُّطَبة؛ إذا خرجت من قشْرها[3].

﴿أفتتخذونه وذريته﴾ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى الشرك ﴿أولياء من دوني﴾.

﴿بئس للظالمين بدلًا﴾ أي: بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم طاعة إبليس.

---

(١) القبيل: الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدًا من قوم شتى، ويطلق على الأتباع. لسان العرب، مختار الصحاح(قبل).

(٢) أي: إبليس.

(٣) قال ابن الأعرابي: لم يُسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم: فاسق. قال: وهذا عجب، وهو كلام عربي. لسان العرب، مختار الصحاح (فسق).

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾﴾

﴿ما أشهدتهم خلق السمٰوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات اللَّه؛ أي: ما أشهدتهم شيئًا من ذلك ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدًا﴾ أي: أعوانًا ﴿وجعلنا بينهم﴾ يعني: وصلهم الذي كان في الدنيا ﴿مَوْبقًا﴾ أي: مَهْلَكًا؛ في تفسير بعضهم.

قال محمدٌ: يقال: وبِق الرّجل يوبَق وَبَقًا، وأوْبقه اللَّه؛ أي: أهلكه(١).

﴿ورأى المجرمون﴾ المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أي: علموا ﴿أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا﴾ أي: معْدِلًا إلى غيرها.

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: ضربنا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثلٍ﴾ .

قال محمدٌ: المعنى: ولقد بيَّنا للناس من كل مثل يحتاجون إليه .

﴿وكان الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿أكثر شيءٍ جدلًا﴾.

---

(١) هذا الفعل فيه لغات: وَبِق يَبِق وبوقًا، ويقال: وَبَق يَبِق وبوقًا، ويقال: وَبِق يَوْبَق وَبَقًا؛ كله بمعنى. لسان العرب ، مختار الصحاح (وبق).

قال محمد: هو كقوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾.

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾ من شركهم ﴿إلا أن تأتيهم سُنَّةُ الأولين﴾ يعني: ما عذَّب اللَّه به الأمم السالفة ﴿أو يأتيهم العذاب قبلًا﴾ عيانًا.

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليُدحضوا به الحقّ﴾ أي: ليُذهبُوه - فيما يظنون - ولا يقدرون على ذلك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن ذكِّر بآيات ربه فأعرض عنها﴾ أي: لم يؤمن بها؛ أي: لا أحد أظلم منه.

﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرًا﴾ وهو الصمم عن الهدى ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدًا﴾ يعني: الذين يموتون على شركهم.

﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ يعني: لمن آمن.

﴿بل لهم موعدٌ لن يجدوا من دونه موئلًا﴾ قال الحسن: ملجأ.

قال محمدٌ: يقال: وأل فلان إلى كذا؛ إذا لجأ، ويقال: لا وألتْ نفسك؛ أي: لا نجت، وفلان موائل؛ أي: (مُبَادر)[1] لينجُوَ، ومن هذا قول الشاعر:

[لا واءلت نفسك خليتها للعامريين ولم تُكْلَمِ][2]

(ل١٩٧) قوله: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: أشركوا وجحدوا رسلهم ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي: لعذابهم ﴿موعدًا﴾ أجلًا ووقتًا.

قال محمدٌ: من قرأ: (لمُهْلَكهم) بضم الميم وفتح اللام[3] -فهو مصدر أهْلَكه إهلاكًا ومُهْلكًا[4]. ومن قرأ: (لمَهْلَكِهم) بنصب الميم واللام[5]؛ أراد هلكوا مَهْلَكًا[6].

﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ وهو يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي: لا أزول ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ يعني: حيث التقيا. قال قتادة: يعني: بحر فارس والروم ﴿أو أمضي حقبًا﴾ الحقب: سبعون سنة، وقيل: ثمانون[7].

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (وأل).

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل، واستدركته من تفسير الطبري (١٥/ ٢٦٦) وتفسير القرطبي (١١/ ٨) وهو يناسب المعنى المتقدم. ينظر لسان العرب(وأل).

(٣) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا. ينظر: التيسير (١٤٤) النشر (٢/ ٣١١) الدر المصون (٤/ ٤٦٧).

(٤) (إهلاكًا) مصدر قياسي، و(مُهْلكًا) مصدر ميمي.

(٥) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام. ينظر إتحاف الفضلاء (٢٩٢)، السبعة (٣٩٣) الدر المصون (٤/ ٤٦٧).

(٦) يقال: هَلَكَ الشيء يهْلِكُ هَلاكًا وهُلُوكًا ومَهْلِكًا بفتح اللام وكسرها وضمها. لسان العرب (هلك).

(٧) وقيل غير ذلك، تنظر هذه الأقوال من ابن كثير (٥/ ١٧٠)، الدر المصون (٤/ ٤٦٩).

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله﴾ يعني: الحوت ﴿في البحر سربًا﴾.

قال محمدٌ: سربًا يعني: مذهبًا ومسلكًا؛ وهو مصدرٌ[1]؛ المعنى: نسيا حوتهما؛ فجعل الحوت طريقه في البحر، ثمّ بيَّن كيف ذلك؛ فكأنه قال: سرب يَسْرُبُ سَرَبًا[2].

---

(١) أي: مصدر وضع موضع الاسم.

(٢) وقيل: سَرَب يَسْرُب سُرُوبًا. وقيل: السَّرَبَ بيتٌ في الأرض. لسان العرب، مختار الصحاح (سرب).

قال يحيى: ذُكر لنا أن موسى لما قطع البحر وأنجاه اللَّه من آل فرعون جمع بني إسرائيل فخطبهم، فقال: أنتم اليوم خيرُ أهل الأرض وأعلمهم، قد أهلك اللَّه عدوكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة، قال: فقيل له: إن ها هنا رجلًا هو أعلم منك، فانطلق هو وفتاه يوشع يطلبانه وتزودا سمكة مملوحة في مكتل[1] لهما، وقيل لهما: إذا نسيتما بعض ما معكما لقيتما رجلًا عالمًا يقال له: خَضِرٌ.

قال يحيى: وذكر بعضهم أن موسى وفتاه لمَّا أويا إلى الصخرة على ساحل البحر، باتا فيها، وكان عندها عيْنُ ماءٍ؛ فأكلا نصف الحوت وبقي نصفه، فأدنى فتاه المكتل من العين، فأصاب الماء الحوت، فعاد فانسرب، ودخل في البحر، ومضى موسى وفتاه ﴿فلما جاوزوا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا﴾ أي: شدة ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبًا﴾ موسى تعجب من أثر الحوت في البحر ﴿قال ذلك ما كنا نبغي﴾[2] أي: ذلك حيث أُمِرْتُ أن أجد خَضِرًا. ﴿فارتدا على آثارهما قصصًا﴾ أي: رجعا حتى أتيا الصخرة.

قال محمدٌ: المعنى: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقُصَّان الأثر قصصًا.

قال: فاتَّبعا الأثر في البحر، وكان الحوت حيث مرَّ جعل يضرب بذنبه يمينًا وشمالًا في البحر، فجعل كل شيءٍ يضربه الحوت بذنبه يَيْبَسُ، فصار كهيئة طريق في البحر، فاتَّبعا أثره، حتى إذا خرجا إلى جزيرة فإذا هما بالخضر في

---

(١) هو شِبْه الزِّنْبيل يَسَعُ خمسة عشر صاعًا. مختار الصحاح (كتل).

(٢) أثبت الياء وصلًا المدنيان وأبو عمرو والكسائي، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب، وقرأ الباقون بغير ياء. النشر (٢/٣١٦) وإتحاف الفضلاء (٣٦٩).

روضةٍ يصلي، فأتياه من خلفه، فسلم عليه موسى، فأنكر الخضر التسليم في ذلك الموضع، فرفع رأسه فإذا هو بموسى فعرفه. فقال: وعليك السلام يا نبيَّ بني إسرائيل، فقال موسى: وما يدريك أني نَبِيُّ بني إسرائيل؟ قال: أدراني بذلك الذي أدراك بي ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدًا قال إنك أن تستطيع معي صبرًا﴾.

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾ موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرًا﴾ أي: عظيمًا من المنكر ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾ وكان موسى ينكر الظلم، قال له موسى: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ يعني: ذهب مني ذكره ﴿ولا ترهقني من أمري عسرًا﴾.

قال محمدٌ: (ترهقني) معناه: تُعَنِّتني[1]؛ أي: عاملني باليُسْر لا بالعُسْر. ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا فقتله قال أقتلت نفسًا (زاكيةً)[2]﴾ أي: لم تُذْنِبْ ﴿بغير نفسٍ لقد جئت شيئًا نكرًا﴾ .

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

(١) وقيل: أرهقه عُسْرًا: كلَّفه إياه، يقال: لا ترهقني لا أرهقك اللَّه، أي: لا تعسرني لا أعسرك اللَّه. مختار الصحاح (رهق).

(٢) هكذا في الأصل: زاكيةً. وهي قراءة نافع وابن كثير، وأبي عمرو. ينظر: السبعة (٣٩٥)، النشر (٢/ ٣١٣)، التيسير (١٤٤).

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿قال ألمْ أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا﴾ ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا﴾ أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض﴾ أي: يسقط (. . .) [1].

قال محمد: الجدار (. . .)[1] (ل١٩٨) يكون هذا على التشبيه، ومثل هذا مستفيضٌ في كلام العرب وأشعارها؛ قال الرَّاعي:

في مَهْمَهٍ قلقت به هاماتُها ‏ ‏ ‏ ‏ قلق الفُئُوس إذا أَرَدْن نُصُولَا[2]

قوْله: ﴿قال لو شئت﴾ موسى قاله ﴿لاتخذت عليه أجرًا﴾ أي: ما يكفينا اليوم ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ .

قال محمدٌ: المعنى: هذا فراق اتصالنا .

﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم﴾ أي: أمامهم ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصْبًا﴾ وهي في بعض القراءة

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر ديوان الراعي (٢٢٢)، والطبري (١٥/ ١٨٧)، والقرطبي (١١/ ٢٦) والشطر الأول مطموس من الأصل، وأثبته من ديوانه.

(كل سفينة صالحة)[١]. قال محمدٌ: يكون «وراء» بمعنى: بعْد[٢]، وهو قوله ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾[٣] ومنه قول النابغة:

حَلَفْتُ فلمْ أتْرُكْ لنفسك رِيبةً ... وليس وَرَاءَ اللَّهِ للمرءِ مَذْهَبُ[٤]

أي: ليس بعد مذاهب اللَّه للمَرْءِ مذهبٌ.

وتكون بمعنى: أمام[٥]، ومن هذا قول القائل:

أَتُوعِدُني وَرَاءَ بَنِي رِيَاحِ ... كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ عَنِّي[٦]

يريد أمام[٧] بني رياحِ.

قوله: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ قال قتادة: وفي بعض القراءة: (فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين)[٨].

﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا﴾.

---

(١) وهي قراءة أبيّ، وابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير. ينظر: البحر (٦/ ١٥٤)، القرطبي (١١/ ٣٤).

(٢) وراء يكون بمعنى (خلْف)، وبمعنى (قدّام)، وهو من الأضداد • لسان العرب، ومختار الصحاح (ورى)•

(٣) إبراهيم: ١٧.

(٤) البيت من بحر الطويل، ينظر ديوانه (٥٥)، القرطبي (٨/ ٢٦٦).

(٥) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (ورى).

(٦) البيت لجرير، وهو من بحر الوافر، ينظر: خزانة الأدب (٨/ ٧) وفيه: لتقصرن يداك دوني.
وقال صاحب الخزانة: ورياح - بكسر الراء بعدها مثناة تحتية - هو رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٧) وقال البغدادي في خزانته (٨/ ٨): ووراء بمعنى خلف.

(٨) وهي قراءة ابن العباس وأبيّ. ووردت القراءة في الأصل معكوسة أي: (وكان أبواه مؤمنين وكان كافرًا) وهذه ليست قراءة. ينظر البحر (٦/ ١٥٤، ١٥٥)

قال محمدٌ: ومعنى يرهقهما: أي: يحملهما على الرَّهق وهو الجهل[١].

﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاةً﴾ في التقوى ﴿وأقرب رحمًا﴾ أي: برًّا؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: الرُّحْمُ في اللغة: العطفُ والرحمة[٢].

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ قال الحسن وقتادة: أي: مالٌ ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما. . .﴾ إلى قوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: إنّما فعلته عن أمر اللَّه ﴿ذلك تأويل﴾ تفسير ﴿ما لم تسطع عليه صبرًا﴾.

قال محمدٌ: الأشدُّ يختلف؛ فأشدّ الغلامِ أن يشتد خلقُه ويتناهى في النبات[٣]؛ يقال: ذلك ثماني عشرة سنةً[٤] وأشُدُّ الرجُلِ: الاكتهالُ، وأن يشتد رأيه وعقله وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة[٥].

ونصبت (رحمةً) أي: فعلنا ذلك رحمةً[٦]، ويجوز أن يكون على المصدر بمعنى رحمهما بذلك رحمة[٧].

قال يحيى: بلغني أنهما لم يتفرقا حتى بعث اللَّه طائرًا؛ فطار إلى المشرق

---

(١) يقال: أرهقه طغيانًا؛ أي: أغشاه إياه. مختار الصحاح (رهق).
(٢) وهو الرُّحُم أيضًا، لسان العرب (رحم).
(٣) أي: في النمو والقوة.
(٤) وفي مختار الصحاح (شدد): ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. أي: بلوغ الأشد في هذه السن.
(٥) لسان العرب ، مختار الصحاح (شدد).
(٦) أي: النصب على المفعول لأجله، وفيه توجيهات نحوية أخرى تنظر من الدر المصون (٤/ ٤٧٩).
(٧) أي: النصب على المفعول المطلق.ينظر الدر المصون (٤/ ٤٧٩).

ثم طار إلى المغرب، ثم طار نحو السماء ثم هبط إلى البحر، فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران، فقال الخضر لموسى: أتعلم ما يقول هذا الطائر؟ يقول: ورب المشرق ورب المغرب، ورب السماء السابعة، ورب الأرض السابعة، ما علمُك يا خضرُ وعلم موسى في علم اللَّه إلا قدر هذا الماء الذي تناولته من البحر في البحر.

وذُكِر لنا أن نبي اللَّه قال: إنما سُمِّيَ الخَضر؛ لأنه قعد على قَرْدَدٍ[1] بيضاء فاهتزتْ به خضراء.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

قال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرًا﴾ يعني: خبرًا ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيءٍ سببًا﴾ قال قتادة: يعني: علمه

---

(١) وهو الموضع المرتفع من للأرض، ويقال للأرض المستوية أيضًا: قردد. النهاية (قرد). قلت: والمشهور «على فروة بيضاء» كما رواه البخاري (٦/ ٤٩٩ رقم ٣٤٠٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، والفروة: الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات. النهاية (فروة).

الذي أُعْطِيَ؛ بلغنا أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها ﴿فأتبع سببًا﴾ قال قتادة: يعني منازل الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ وهي تقرأ: (حامية)[١] قال ابن أبي مُلَيْكة: اختلف ابن عباسٍ وعمرو بن العاص؛ فقال ابن عباس: (حمئة)[٢] وقال عمرو بن العاص: (حامية)، فجعلا بينهما كعبًا الحَبْر؛ فقال كعبٌ: نجدها في التوراةِ: تغرب في ماءٍ وطين؛ كما قال ابن عباسٍ.

يحيى: ومن قرأ: (حامية) فالمعنى: أي: ذات حَمأة؛ تقول: حَمِئت البئر فهي حمِئَة[٣] إذا صارت [فيها الحمأة فتكدرت وتغيَّر رائحتها][٤]

(ل١٩٩) ﴿ووجد عندها قومًا قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ يعني: القتل ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسنًا﴾ يعني: العفو، في تفسير السُّدي، قال: فحكَّموه فحكم بينهم ﴿قال أما من ظلم﴾ يعني: من أشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ يعني: القتل ﴿ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا﴾ عظيمًا في الآخرة ﴿وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحسنى﴾ تفسير مجاهد: الحسنى هي: لا إله إلا اللَّه، والجزاء: الجنة.

وقال السدي: فله جزاءً الحسنى؛ يعني: العفو.

قال محمدٌ: لم يبين يحيى كيف كانت قراءة السدي والذي يدل عليه تفسيره

---

(١) وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم من السبعة، ووردت القراءة في الأصل (حامئة) بالهمزة، ينظر السبعة (٣٩٨)، النشر (٢/ ٣١٤)، التيسير (١٤٥).

(٢) وهي قراءة باقي السبعة. ينظر المراجع السابقة.

(٣) حَمِئَتْ تَحْمَأُ حَمْئًا، وهو حَمِئ، وهي حَمِئَةٌ. لسان العرب (حمأ).

(٤) ما بين المعقوفين مطموس من الأصل، والمثبت من لســان العرب والمعجم الوسيط (حمأ).

أنه كان يقرؤها: (فله جزاءً)[١] بالنصب والتنوين، وكذلك قرأها غير واحدٍ؛ المعنى: فله الحسنى جزاء على التقديم والتأخير، و(جزاءً) مصدر في موضع الحال؛ فله الحسنى مجزيًا بها جزاءً[٢].

﴿وسنقول له من أمرنا يُسرًا﴾ أي: معروفًا.

﴿ثم أتبع سببًا﴾ يعني: طرُق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا في مكانٍ لا يستقر عليهم البناء، وأنهم يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا في معايشهم وحروثهم ﴿قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا﴾ أي: هكذا كان ما قصّ من أمر ذي القرنين ﴿ثم أتبع سببًا﴾ طرق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ قال قتادة: هما جبلان ﴿وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا﴾ يعني: كلام غيرهم، وهي تقرأ على وجهٍ آخر: ﴿لا يكادون يُفْقِهون قولًا﴾[٣] أي: لا يفقه أحدٌ كلامهم.

﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون: (جزاءُ الحسنى) بالرفع دون تنوين. ينظر السبعة (٣٩٨)، النشر (٢/ ٣١٥) الدر المصون (٤/ ٤٨٠).

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٩)، إعراب القرآن (٢/ ٢٩٢)، مجمع البيان (٣/ ٤٩١).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي من السّبعة، وقرأ الباقون (يَفْقَهُون). ينظر: السبعة (٣٩٩)، النشر (٢/ ٣١٥).

عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي: قاتلون الناس في الأرض؛ يعني: أرض الإسلام ﴿فهل نجعل لك خرجًا﴾ أي: جُعْلًا[1]. ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا قال ما مكني فيه ربي خيرٌ﴾ من جُعلِكم.

قال محمدٌ: من قرأ (مكَّنِّي)[2] فالمعنى: مكنني، إلا أنه أدغم النون في النون؛ لاجتماع النونين، ومن قرأ (مكَّنَنِي)[3] بإظهار النونين، فذلك جائزٌ؛ لأنهما من كلمتين: الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر[4].

﴿فأعينوني بقوةٍ﴾ يعني: عددًا من الرجال ﴿أجعل بينكم وبينهم ردمًا﴾.

قال محمدٌ: الرَّدمُ في اللغة: أكثر من السُّد؛ لأنَّ الرَّدمَ ما جعل بعضه على بعض؛ يقال: ثوب مُرَدَّم؛ إذا كان قد رُقع رُقعَة فوق رقعة[5]، ويقال لكل ما كان مسدودًا خِلْقَةً: سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ بالفتح، وقد قيل: إنهما لغتان بمعنًى واحدٍ: سُدٌّ، وسَدٌّ؛ بالفتح والضم[6].

---

(١) وهو ما جعل للإنسان من شيء على فعل. وكذا الجِعَالة والجَعِيلة. لسان العرب ، مختار الصحاح (جعل).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير. ينظر: الحجة (٢٣٢)، النشر (٢/ ٣١٥).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وحده. ينظر السبعة (٤٠٠)، التيسير (١٤٦).

(٤) ينظر الدر المصون (٤/ ٤٨٢).

(٥) لسان العرب ، القاموس المحيط (ردم).

(٦) وقيل: السَّد -بالفتح والضم-: الجبل والحاجز. وقال بعضهم: السُّد - بالضم -: ما كان من خلق اللّٰه، وبالفتح: ما كان من عمل بني آدم. لسان العرب ، مختار الصحاح (سدد).

﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصّدفيْن﴾ يعني: رأس الجبلين؛ في تفسير مجاهد؛ أي: سَدَّ ما بيْنَهما ﴿قال انفخوا﴾ أي: على الحديد ﴿حتى إذا جعله نارًا﴾ يعني: أحماه بالنار ﴿قال آتوني﴾ أعطوني ﴿أفرغ عليه قطرًا﴾ فيها تقديم: أعطوني(١) قطرًا أفرغ عليه، والقِطْر: النحاسُ(٢)؛ فجعل أساسه الحديد، وجعل ملاطه النحاسَ.

قال محمدٌ: الملاطُ: هو الطين الذي يُجْعل في البناء ما بين كل صفَّين(٣).

﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أي: يظهروا عليه من فوقه ﴿وما استطاعوا له نقبًا﴾ من أسفله ﴿قال هذا رحمةٌ من ربي فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني: خروجهم ﴿جعله﴾ يعني: السُّدَّ ﴿دكًا﴾ (٤) قال قتادة: أي: يتعفر بعضه على بعض، وتقرأ على وجْهٍ آخر: «دكَّاء»(٥) ممدودة؛ أي: جعله أرضًا مستوية.

يحيى: عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن يَأْجُوج ومأجوج يخرقونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس (ل٢٠٠) قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا؛ فيعيده اللَّه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدَّتُهُمْ وأراد اللَّه أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاعَ الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا - إن شاء اللَّه - فيغدون إليه وهو كهيئته حين تركوه،

---

(١) أي: والتقدير: أعطوني. . . . إلخ.

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (قطر).

(٣) وفي المعجم الوسيط: يُجْعل بين كل لبنتين أو آجُرَّتين أو حجرين. ينظر: المعجم الوسيط (ملط).

(٤) هكذا في «الأصل» دكًا. وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي وعاصمًا ينظر: السبعة (٤٠٢). التيسير (١٤٦).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم. ينظر: النشر (٢/ ٢٧١) الحجة (١٦٣، ٢٣٣).

فيخرقونه، فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعَلوْنا أهل السماء! فيبعث اللَّه عليهم نغفًا [1] في أقفائهم فيقتلهم بها» [2].

---

(١) النَّغَفُ: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، مفرده: نَغَفَةٌ: لسان العرب ، مختار الصحاح (نغف).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٦/ ١٢٠٥-١٢٠٦ رقم ٦٦٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥١٠-٥١١) وابن ماجه (٢/ ١٣٦٤-١٣٦٥ رقم ٤٠٨٠) والطبري في تفسيره (١٦/ ٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥١١) والترمذي (٥/ ٢٩٣-٢٩٤ رقم ٣١٥٣) وابن حبان (١٥/ ٢٤٢-٢٤٣ رقم ٦٨٢٩) والحاكم (٤/ ٤٨٨) من طريق قتادة به
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجاه.
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٠٨): وإسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار؛ فإنه كان كثيرًا ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة؛ فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه، واللَّه أعلم. ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه، ومن نكارة هذا المرفوع؛ قول الإمام أحمد. حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها أم حبيبة، عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان: أربع نسوة - قالت: «استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا اللَّه، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا. وحلق، قلت: يا رسول اللَّه، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث» هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث الزهري. اهـ.
وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ١١٦): ورجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة مدلس، وقد رواه بعضهم عنه فأدخل بينهما واسطة، أخرجه ابن مردويه، لكن وقع التصريح في رواية سليمان التيمي عن قتادة بأن أبا رافع حدثه، وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه ابن ماجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «حدث أبو رافع» وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه عبد بن حميد من طريق عاصم عن أبي صالح عنه، لكنه موقوف اهـ

قال يحيى: وسُئِلَ علي بن أبي طالب عن ذي القرنين؛ فقال: كان عبْدًا صالحًا دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه، فضربوه على قرنه فقتلوه، فأحياه اللَّه، ثم دعا قومه أيضًا، فضربوه على قرنه فقتلوه فأحياه اللَّه، فَسُمِّي: ذا القرنين.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني: يوم يخرجون من السُّد ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا﴾ والصور: قرن ينفخ فيه صاحب الصور.

﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ كانت على أعينهم غشاوة الكفر ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعًا﴾ أي: لا يسمعون الهدى بقلوبهم.

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يعني: من عبد الملائكة، يقول: أفحسبوا أن تتولَّاهم الملائكة على ذلك؟ أي: لا يتولَّوْنهم؛ وليس بهذا أمرتهم، إنما أمرتهم أن يعبدوني لا يشركون بي شيئًا ﴿إنا أعتدنا﴾ أعددنا ﴿جهنم للكافرين نزلًا﴾ أي: منزلًا.

قال محمدٌ: يقال: أعتدت لفلان كذا؛ أي: اتخذته عتادًا له، والعتاد أصله: ما اتخذ ليمكث فيه.

﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا﴾ هم أهل الكتاب .

﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا﴾ هي مثل قوله: ﴿ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾[١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جناتُ الفردوس نزلًا﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة قال: «الفردوس جبلٌ في الجنة تنفجر منه أنهار الجنة»[٢].

﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولًا﴾ أي: تحولًا.

قال محمدٌ: يقال: قد حال من مكانه حِوَلًا[٣].

﴿قل لو كان البحر مدادًا﴾ القلم يستمد منه للكتاب[٤] ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لعلم ربي ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾

---

(١) المؤمنون: ١٠٣ .

(٢) روى البخاري (٦/ ١٤ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة -أراه قال: وفوقه عرش الرحمن- ومنه تفجر أنهار الجنة».

(٣) يقال: حَال يَحول حَوْلًا -أي: تحوَّل. وقيل: الحِوَل مصدر، وقيل: هو اسم بمعنى التنقُّل من موضع إلى موضع. لسان العرب، مختار الصحاح (حول).

(٤) أي: للكتابة. يقال: كتب يكتُب كَتْبًا وكتَابًا وكتابةً. لسان العرب (كتب).

أي: آخر مثله من باب المدد[١].

قال محمدٌ: (مددًا) منصوب على التمييز[٢].

﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إلهٌ واحد﴾ وذلك أن المشركين قالوا له: ما أنت إلا بشرٌ مثلنا. فقال اللَّه: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي: يخاف البعث ﴿فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ أي: يخلص له العمل.

يحيى: عن الفرات بن سلمان، عن عبد الكريم الجزري، عن طاوس، أن رجلًا قال: «يا رسول اللَّه، إني رجلٌ أقف المواقف أُريدُ وجه اللَّه، وأُحب أن يُرى مكاني! فلم يردّ عليه رسول اللَّه ﷺ شيئًا، فنزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه...﴾ إلى آخرها»[٣].

* * *

(١) أي: العون والمساعدة. قال أبو زيد: مددنا القوم: صِرْنا مَدَدًا لهم، أما المداد فهو النِّقْس؛ أي: الحبر اللازم للكتابة. لسان العرب ، مختار الصحاح (مدد).

(٢) ينظر البحر المحيط (٦/ ١٦٩)، الدر المصون (٤/ ٤٨٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١٤) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١١٢) - من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري به.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٨٠): لابن أبي الدنيا في الإخلاص والطبراني والحاكم أيضًا.

تفسير سورة مريم وهي مكية كُلُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

قوله: ﴿كهيعص﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره، غير أنّ قومًا من أصحاب النبي عليه السلام كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال يحيى: [ثم ابتدأ][1] الكلام فقال: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يقول: ذكره لزكريا رحمة منه له ﴿إذ نادى ربه نداءً خفيًّا﴾ (ل٢٠١) أي: سرًّا ﴿قال رب إني وهن العظم مني﴾ أي: ضعف ﴿واشتعل الرأس شيبًا﴾.

---

(١) في الأصل: غير أنه بدأ. والمثبت من «ر»

قال محمدٌ: (شيًا) منصوب على التمييز[١].

﴿ولم أكن بدعائك رب شقيًا﴾ أي: لم أزل بدعائي إياك سعيدًا ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني: العصبة الذين [يرثوني][٢] ﴿من ورائي﴾ من بعدي؛ فأراد أن يكون من صُلْبه من يرث ماله؛ في تفسير قتادة ﴿وكانت امرأتي عاقرًا﴾ أي: لم تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿وليًا﴾ يعني: ولدًا ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ أي: يرث ملكهم وسلطانهم؛ كانت امرأة زكريا من ولد يعقوب ليس يعني: يعقوب الأكبر؛ يعقوب دونه.

قال محمدٌ: من قرأ (يرثني ويرث) بالرفع[٣] جعله كالنعت للوليّ؛ المعنى: هب لي الذي يرثني.

ومن قرأها بالجزم[٤] (يرثْني ويرثْ من آل) فعلى جواب الأمر.

﴿اسمه يحيى﴾ قال قتادة: أحياه اللَّه بالإيمان ﴿لم نجعل له من قبل سميًا﴾ قال قتادة: أي: لم يُسمَّ أحدٌ قبله يحيى ﴿قال رب أنَّى يكون لي غلامٌ﴾ من أين يكون لي ولد ﴿وقد بلغت من الكبر عتيًا﴾ أي: (يُبْسًا)[٥].

قال محمدٌ: يقال لكل شيءٍ قد يبس: عتا يَعْتُو عُتيًا[٦]، وعُتُوًا.

﴿قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين﴾ قال له الملك: ﴿كذلك قال ربك هو

---

(١) إعراب القرآن (٢/ ٣٠١)، مجمع البيان (٣/ ٥٠٣)، البحر (٦/ ١٧٣).
(٢) في الأصل: يرثونه. والمثبت من «ر».
(٣) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو والكسائي. ينظر: السبعة (٤٠٧)، التيسير (١٤٨)، النشر (٢/ ٣١٧).
(٤) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي. ينظر المراجع السابقة.
(٥) في «ر»: يأسًا.
(٦) بضمِّ العين وكسرها لغتان. لسان العرب ، مختار الصحاح (عتو).

علي هينٌ﴾ أعطيك هذا الولد؛ وهو كلام موصولٌ أخبر به الملك عن الله ﴿قال﴾ زكريا: ﴿رب اجعل لي آية﴾ علامة ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا﴾ يعني: صحيحًا لا يمنعك الكلام مرضٌ. قال قتادة: إنما عوقب؛ لأنه سأل الآية بعد ما (شافهته الملائكة)[1] وبشرته بيحيى، فَأُخِذَ عليه لسانه[2]، فجعل لا يبين الكلام ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ يعني: المسجد ﴿فأوحى إليهم﴾ أشار إليهم ﴿أن سبحوا بُكرة وعشيًّا﴾ أي: صلوا لله بالغداة والعشي.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ أي: بجدٍّ ومواظبة ﴿وآتيناه الحكم صبيًّا﴾ يعني: الفهم والعقل.

قال يحيى: بلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان: يا يحيى تعال نلعب. فيقول: ليس للعب خُلقْنا!

﴿وحنانًا من لدنًا﴾ أي: أعطيناه رحمة من عندنا.

قال محمدٌ: الحنان أصله: العَطْفُ والرحمة؛ ومنه قول الشاعر:

فقالت حَنَانٌ ما أتى بك ها هنا ... أذو نَسَبٍ أمْ أنت بالحَيِّ عَارِفُ[3]؟

---

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: أُمسِك.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لمنذر بن درهم الكلبي. ينظر تخريجه في الكتاب (١/ ٣٢٠)، المقتضب (٣/ ٢٢٥)، شرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٨)، همع الهوامع (١/ ١٨٩)، لسان العرب، تهذيب اللغة (حنن).

قوله: (حنانٌ)؛ أي: أمرنا حنانٌ: عطفٌ ورحمةٌ[١].

﴿وزكاة﴾ قال قتادة: الزكاة: العمل الصالح ﴿وكان تقيًا﴾.

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أصاب ذَنبًا أوْ همَّ به، غير يحيى بن زكريا لمْ يُصِبْ ذَنبًا، ولمْ يَهمَّ به»[٢].

﴿وبرًا بوالديْه﴾ أي: مطيعًا لهما ﴿ولم يكنْ جبارًا عصيًا﴾ أي: مستكبرًا عن عبادة اللَّه ﴿وسلامٌ عليه يوم ولد﴾ يعني: حين ولد ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حيًا﴾ يوم القيامة .

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ

---

(١) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٥) عن معمر عن قتادة عن الحسن مرفوعًا .
ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩١) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٨٦) وابن عساكر في تاريخه (٦٤/ ١٩٣ - ١٩٤) من طريق حبيب بن الشهيد ويونس بن عبيد وحميد عن الحسن.
وللحديث طرق عن عدة من الصحابة موصولاً مرفوعًا وموقوفًا، وعن عدة من التابعين مرسلاً، وأسانيدها فيها مقال، انظر: تاريخ دمشق (٦٤/ ١٧٣- ١٧٤ ، ١٩٢ - ١٩٥) والدر المنثور (٢/ ٢٤ - ٢٥) وتخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٠) فقد ذكرنا طرقًا منها هناك، والله أعلم.

بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

﴿واذكُر في الكتاب﴾ يقول للنبي: اقْرأ عليهم أمْرَ مريم ﴿إذ انتبذت﴾ يعني: إذِ انفردت ﴿من أهلها مكانًا شرقيًا. . .﴾ إلى قوله: ﴿تقيًا﴾ كان زكريا كفل مريم، وكانت أختها تحته، وكانت تكون في المحراب، فلما أدركت، كانت إذا حاضتْ أخرجها إلى منزله إلى أختها، وإذا طهرت رجعت إلى المحراب، فطهرت مرة، فلما فرغت من غُسْلها قعدت في مشرفة[1] في ناحية الدار، وعلَّقت عليها [ثوبًا][2] سُتْرةً؛ فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع في صورة آدمى، فلما رأته قالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا﴾ قال الحسن: تقول: إن كنت تقيًا للَّه فاجْتنبني ﴿قال إنما أنا رسول ربك ليهَب[3] لك غلامًا زكيًا﴾ أي: صالحًا ﴿قالت أني يكون﴾ من أين يكون ﴿لي غلامٌ ولَمْ يمسسني بشرٌ﴾ أي: يجامعني زوجٌ ﴿ولم أك بغيًا﴾ (ل٢٠٢) أي: زانية ﴿قال كذلك قال ربك هو عليَّ هينٌ﴾ أن أخلقه ﴿ولنجعله آية للنَّاس ورحمةً منا﴾ أي: لمن قبل دينه ﴿وكان أمرًا مقضيًا﴾ يعني: كان عيسى أمرًا من اللَّه مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه يكون. فأخذ جبريل جيبها بأصبعه فنفخ فيه، فصار إلى بطْنها ، فحملت. قال الحسن: حملته تسعة أشهر في بطنها

---

(١) أي: شُرْفة.

(٢) سقط من «ر».

(٣) كذا بالأصل؛ وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش، واختلفت الرواية عن قالون. وقرأ الباقون (لأهب). ينظر: النشر (٢/ ٣١٧).

﴿فانتبذت به مكانًا قصيًّا﴾ أي: انفردت به في مكان شاسعٍ ﴿فأجاءها المخاض﴾ قال مجاهد: يعني: ألجأها.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة من: المجيء؛ يقال: (جاءت بي)[(١)] الحاجة إليك، وأَجاءتْني الحاجةُ إليك[(٢)]؛ قال زُهَيْر[(٣)]:

وجارٍ سارَ مُعْتمدًا عليكم أَجاءَتْهُ المخافةُ والرّجاءُ[(٤)]

والمخاض: دُنو الولادة، يقال: مُخِضَتِ المرأةُ ومَخِضَتْ[(٥)].

﴿قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسْيًا منسيًّا﴾ قال قتادة: تعني شيئًا لا يُعْرَف، ولا يُذْكر؛ قالت هذا مما خَشِيَتْ من الفضيحة.

قال محمدٌ: النَّسْيُ في كلام العرب أصْلُه الشَّيءُ الحقير؛ الذي إذا أُلْقي نُسِيَ غَفْلةً عنه[(٦)].

﴿فناداها من تحتها﴾ قال قتادة: كنا نُحَدَّث أنه جبريل.

قال يحيى: وقال بعضهم: ﴿فناداها مَنْ تحتها﴾ يعني: عيسى.

قال محمدٌ: لم يبين لنا [يحيى][(٧)] كيف القراءة في قوله: (من تحتها) وذكر

---

(١) في «ر»: جئت في الحاجة إليك.
(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (جيء).
(٣) هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة الشاعر المشهور من المعمرين، مات عن مائة وعشرين عامًا، تنظر ترجمته في المعمرين لأبي حاتم السجستاني (٨٣)، الشعر والشعراء (١٣٧).
(٤) البيت من بحر الوافر، وهو لزهير بن أبي سلمى، ينظر ديوانه، شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٠٢)، مجاز القرآن (٢/ ٤)، البحر (٦/ ١٨٢).
(٥) مخضت المرأة مَخَاضًا فهى ماخض. لسان العرب (مخض).
(٦) وقيل: النَّسْيُ: ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها. لسان العرب ، مختار الصحاح (نسي).
(٧) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

أبو عبيدٍ: أنها تقرأ (مِنْ تحتِها) بكسر الميم والتاء التي بعد الحاء، وتقرأ أيضًا بفتحهما[١]؛ فمن قرأ بالكسر؛ فتأويلها: أن جبريل ناداها، ومن قرأها بالفتح فتأويلها: عيسى هو الذي ناداها[٢].

﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريًّا﴾ السَّرِيُّ: الجدْوَلُ، وهو النهْرُ الصغير[٣] ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رُطَبًا جنيًّا﴾ أي: حين اجتُنِيَ، وكان الجذع يابسًا.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فكُلي واشربي وقري عينًا﴾.

---

(١) قرأ الأخوان ونافع وحفص عن عاصم بكسر الميم والتاء، وقرأ الباقون بفتح الميم والتاء. ينظر: البحر المحيط (٦/ ١٦٩)، الدر المصون (٤/ ٤٩٩) والنشر (٢/ ٣١٨).

(٢) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٤/ ٤٩٩).

(٣) لسان العرب، مختار الصحاح (سرى).

قال محمدٌ: يقال: قررتُ به عينًا أَقَرُّ - بفتح القاف - في المستقبل[١] قُرورًا، وقررتُ في المكان أَقِرُّ بكسر القاف[٢]، و(عينًا) منصوب على التمييز[٣].

﴿فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا﴾ أي: صمْتًا ﴿فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾ أذن لها في هذا الكلام، وكانت آية جعلها اللَّه لها يومئذ.

قال محمدٌ: يقال للممسك عن الطعام أو الكلام: صائِمٌ[٤].

﴿لقد جئت شيئًا فريًا﴾ أي: عظيمًا.

قال محمدٌ: يقال: فلانٌ يفري الفريَّ إذا عمل عملًا أو قال قولًا فبالغ فيه؛ كان في خير أو شرٍّ[٥]، وأنشد بعضهم:

ألا رُبَّ من يدعو صديقًا ولو ترى ... مَقَالَتَهُ بالغيب سَاءَكَ مَا يَفْرِي[٦]

قوله: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ﴾ أي: ما كان زانيًا. قال قتادة: ليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر كان يسمّى هارون الصالح المحبَّب في عشيرته، المعنى: يا شبيهة هارون في عبادته وفضله.

﴿فأشارت إليه﴾ بيدها قال قتادة: أَمَرتْهم بكلامه ﴿قالوا كيف نكلم﴾ أي:

---

(١) أي: في الفعل المضارع.

(٢) يقال: قَرَرْتُ به عينًا أقِرُّ، وقَررْتُ به عينًا أَقَرُّ قُرّةً وقُرورًا. ويقال: قَرِرْت في المكان وبالمكان أَقَرُّ قَرارًا. وقَرَرْتُ أيضًا أَقِرُّ قَرَارًا وقُرُورًا. لسان العرب ، مختار الصحاح (قرر).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٦)، إعراب القرآن (٢/ ٣١١)، مجمع البيان (٣/ ٥١٠).

(٤) قال أبو عبيدة: كل مُمْسِك عن طعام أو كلام أو سَيْر فهو صائم. لسان العرب، مختار الصحاح (صوم).

(٥) يقال: فَرَى يَفْرِي فَرْيًا والاسم: الفِرْية، لسان العرب، مختار الصحاح (فرى).

(٦) البيت من بحر الطويل. ينظر البيان والتبيين (١/ ٥٨٩).

كيف نكلم ﴿من كان﴾ أي: من هو ﴿من المهد صبيًّا﴾ والمهد: الحِجْر؛ في تفسير قتادة.

﴿وجعلني مباركًا أينما كنت﴾ يقول: جعلني معلّمًا مؤدّبًا ﴿ولم يجعلني جبارًا﴾ أي: مستكبرًا عن عبادة اللَّه ﴿والسلام عليَّ يوم ولدت...﴾ الآية، ولمْ يتكلم بعد ذلك بشيءٍ حتى بلغ مبلغ الغلمان ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ قال الحسن: الحق: هو اللَّه.

قال محمدٌ: من قرأ (قوْلُ) بالرفع[1]؛ فالمعنى: هو قول الحق[2].

﴿الذي فيه يمترون﴾ قال قتادة: امترت فيه اليهود والنصارى؛ أمّا اليهود؛ فزعموا أنه ساحرٌ كذابٌ، وأمّا النصارى فزعموا أنه ابن اللَّه وثالث ثلاثة [وإله][3] ﴿ما كان للَّه أن يتخذ من ولدٍ سبحانه﴾ (ل٢٠٣) ينزه نفسه عما يقولون ﴿إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [يعني: عيسى][3] كان في عِلْمِه أن يكون من غير أبٍ.

قال محمدٌ: قوله: ﴿أن يتخذ من ولد﴾ المعنى: أن يتخذ ولدًا ومِنْ مؤكدة[4].

﴿وإنّ اللَّه ربي وربكم ...﴾ الآية، هذا قول عيسى لهم ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني: النصارى؛ فتجادلوا في عيسى؛ فقالت فرقةٌ: هو ابن اللَّه، وقالت فرقةٌ: إنّ اللَّه هو المسيح ابن مريم، وقالت فرقةٌ: اللَّه إلهٌ، وعيسى إلهٌ، ومريم إله.

---

(١) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن كثير، والكسائي. ينظر: الدر المصون (٤/ ٥٠٥)، السبعة (٤٠٩)، التيسير (١٤٩)، النشر (٢/ ٣١٨).

(٢) وينظر توجيه الرفع من البحر (٦/ ١٨٩)، مجمع البيان (٣/ ٥١٣).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣١٥)، مجمع البيان (٣/ ٥١٣)، البيان (٢/ ١٢٦).

قال اللَّه: ﴿فويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ وذلك يوم القيامة يقول: ما أسمعهم يومئذٍ وما أبصرهم؛ سمعوا حين لَمْ ينفعْهم السَّمْعُ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

﴿وأنذرهم يوم الحسْرة إذ قضى الأمر﴾ يعني: إذ وجب العذاب فوقع بأهل النار.

يحيى: عن صاحبٍ له، عن سفيان(١)، عن سلمة بن كُهَيْل، عن أبي الزعراء، عن عبد اللَّه بن مسعود؛ أنه ذكر حديثًا في البعْث؛ قال: «فليس من نفسٍ إلا وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنة وبيْتٍ في النار. قال: وهو يوم الحسرة، فيرى أهلُ النار البيت الذي في الجنة، قال: ثم يقال لهم: لو عملْتُم؛ فتأخذهم الحَسْرةُ، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار، قال: فيقال لهم: لولا أن منَّ اللَّه عليكم»(٢).

---

(١) في «ر»: سعيد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٧٥ - ٦٧٧ رقم ١٨٣) عن ابن نمير، ورواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣١٤ - ٣١٦) من طريق أبي نعيم، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٩٦ - ٤٩٨) من طريق الحسين بن حفص؛ ثلاثتهم عن سفيان به في حديث طويل. =

﴿وهمْ في غفْلةٍ﴾ في الدنيا؛ وهذا كلام مستقبلٌ ﴿وهم لا يؤمنون﴾ .

﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿وإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة .

(1)(﴿واذكُرْ في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اقرأه عليهم ﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبُد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ يعني: الأصنام ﴿يا أبت لا تعبدُ الشيطان﴾ أي: إن عبادة الوثن عبادةُ الشيطان.

﴿يا أبت إني أخاف أن يمسَّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا﴾ أيْ: إذا نزل بك العذابُ لم تقبل توبتك، ومَا لم ينزل بك فتوبتك مقبولة إن تُبْتَ.

قال محمدٌ: (يا أبت) الوقف عليه بالهاء: (يا أبَهْ) الهاء عوضٌ من ياء الإضافة(2).

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وقال العقيلي: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في حديث الناس. حدثني آدم قال: سمعت البخاري قال: عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكندي كوفي، سمع ابن مسعود، سمع منه سلمة بن كهيل في الشفاعة، ولا يتابع على حديثه.

(1) من أول هنا سقط من «ر».

(2) ويقال: يا أَبَتِ ويا أبَتَ لُغتان، ومن فتح أراد النُّدبة فحذف. لسان العرب ، مختار الصحاح (أبو).

لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾

﴿قال أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أن تعبدها ﴿لئن لمْ تنته﴾ عن شتمها وذمِّها ﴿لأرجمنك﴾ أي: بالحجارة فلأقتُلنك بها.

وقال السدي: معنى (لأرجمنَّك): لأشتمنك.

قال محمدٌ: تقول العرب: فلانٌ يرمَى فلانًا، وفلانٌ يرجم فلانًا؛ بمعنًى واحدٍ؛ يريدون الشتم(١).

﴿واهجرني مليًّا﴾ يعني: طويلًا ﴿قال سلام عليك﴾ إبراهيم يقوله، قال الحسن: هذه كلمة حِلْمٍ ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًّا﴾.

قال الكلبي: يعني: رحيمًا، وقال بعضُهم: لطيفًا.

قال محمدٌ: حَفِيَ فلانٌ بفلان حِفوةً وحِفَاوةً؛ إذا برَّه وألطفه(٢).

﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا﴾ أي: عسى أن أسْعَد به ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب...﴾ إلى قوله: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا﴾ أي: رفيعًا؛ يعني: الثناء عليهم من بعدهم .

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ

---

(١) يقال: رَجَمه يَرْجُمه رَجْمًا، فهو رجيم ومرجوم. لسان العرب (رجم).

(٢) يقال: حَفِي - بالكسر - حِفْوةً وحِفْية وحِفَاية وحَفَاءً فهو حَافٍ؛ أي: صار يمشي بلا خُفٍّ ولا نعل.

ويقال: حَفِي - بالكسر - حَفَاوة فهو حَفِيٌّ؛ أي: بالغ في إكرامه وإلطافه. لسان العرب ، مختار الصحاح (حفي).

وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أيمن الجبل ﴿وقرَّبناه نجيًّا﴾ يعني: حين كلمه.

قال محمدٌ: (نجيًّا) يعني: مناجيًا[1].

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا﴾ جعله اللَّه له وزيرًا، وأشركه معه في الرسالة)[2].

﴿إنه كان صادق الوعد﴾.

يحيى: عن أبان العطار «أن إسماعيل وعد رجلًا موعدًا؛ فجاء للموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حَوْلًا ينتظره».

﴿وكان عند ربه مرضيًّا﴾ أي: قد رضي عنه [إذ ابتلاه بالذبح][3] ﴿ورفعناه مكانًا عليًّا﴾ قال مجاهد: لَمْ يمتْ إدريس، بل رفع كما رُفِع عيسى.

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ

(١) أي: فعيل بمعنى فاعل. والجمع: أَنْجية. قال الأخفش: وقد يكون النجي جماعة كالصِّديق؛ قال اللَّه ﴿خلصوا نجيًّا﴾ وقال الفراء: وقد يكون النجي اسمًا ومصدرًا. لسان العرب ، مختار الصحاح (نجو).

(٢) نهاية السقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾

﴿أولئك الذين أنعم اللَّه عليهم﴾ بالنبوة ﴿من ذرية آدم وممن حملنا مع نوحٍ﴾ وكان إدريس من ولد آدم قبل نوحٍ، وكان إبراهيم من ذرية نوحٍ قال: ﴿ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل﴾ وهو يعقوب ﴿وممن هدينا﴾ للإيمان ﴿واجتبينا﴾ للنبوة؛ يعني: اخترنا ﴿إذا تتلى عليهم آياتُ الرحمن خروا سُجَّدًا وبكيًّا﴾ جمع: (باكٍ)[1] (ل٢٠٤) ﴿فخلف من بعدهم خلفٌ﴾ قال قتادة: يعني: اليهود ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾ تفسير ابن مسعودٍ (غيًّا): وادٍ في جهنم، وقد مضى تفسير (الخلف) في سورة الأعراف[2] ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا﴾ ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ الغيب: الآخرة؛ في قول الحسن المعنى: وعدهم في الدنيا الجنة في الآخرة.

قال محمدٌ: وتقرأ: (جناتُ) بالرفع[3] على معنى: هي جناتُ عدْنٍ ﴿إنه كان وعْدُه مأتيًّا﴾ قال محمدٌ: يعني: آتيًا؛ وهو مفعولٌ من الإتيان؛ في معنى فاعل[4] .

---

(١) لسان العرب (بكى) وفي «ر»: بكّاء.
(٢) الأعراف: ١٦٩ .
(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٢٠)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٠)، البحر (٦/ ٢٠١).
(٤) وهو قول الفراء. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٠)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٠).

﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ أي: باطلًا ﴿إلا سلامًا﴾ أي: إلا خيرًا ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًّا﴾ أي: وفي كل ساعةٍ؛ في تفسير قتادة، والبُكْرة والعشيُّ ساعتان من الساعات، وليس ثَمَّ ليلٌ(١). وقال مجاهدٌ: ليس فيها بكرة ولا عَشيٌّ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا.

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ تفسير قتادة: قال: «هذا قول جبريل حين احتبس عن النبي عليه السلام في بعضِ الوحي؛ فقال له نبي الله: ما جئت حتى اشتقت إليك؛ فقال جبريل: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا﴾»(٢) يعني: من أمر الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا؛ أي: إذا كنا في الآخرة. ﴿وما بين ذلك﴾ قال الكلبي: يعني: البرزخ؛ ما بين النَّفْختين.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) والمراد بذلك الدار الآخرة في جنات عدن.

(٢) رواه الطبري (١٦/ ١٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٠) والطبري (١٦/ ١٠٣) من طريق معمر عن قتادة نحوه.
وروى البخاري (٦/ ٣٥٢ رقم ٣٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا...﴾ الآية».

﴿هل تعلمُ له سميًّا﴾ أي: مِثلًا؛ أي: أنك لا تَعْلمُه، و(سميًّا) هو من: المُسَامَاة[١] ﴿ويقول الإنسان أئِذا ما مت لسوف أخرج حيًّا﴾ هو المشرك يكذب بالبعْث. قال اللَّه ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئًا﴾ فالذي خلقه، ولم يك شيئًا قادرٌ على أن يبعثه يوم القيامة، ثم أقسم بنفسه؛ فقال: ﴿فو ربك لنحشرنهم﴾ يعني: المشركين ﴿والشياطين﴾ الذين دعتهم إلى عبادة الأوثان ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيًّا﴾ قال قتادة: يعني: على ركبهم.

قال محمدٌ: (جثيًّا) جمع (جاثٍ)[٢]، وهو نَصْبٌ على الحال[٣].

﴿ثم لننزعن من كل شيعةٍ﴾ يعني: من كل أمة ﴿أيهم أشدُ على الرحمن عتيًّا﴾.

قال محمدٌ: (أيهم) بالرفع، وهي أكثر القراءة؛ على معنى: الذين يقال لهم: أيهم أشدُ[٤]. قيل: المعنى - واللَّه أعلم -: فإنه يبدأ بالتعذيب بأشدهم عتيًّا، ثم الذي يليه ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليًّا﴾ يعني: الذين يَصْلَوْنها ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًّا﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد اللَّه بن مسعودٍ في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: «الصراط على جهنم مثل حدِّ السَّيف، والملائكة معهم كَلَالِيبُ من حديد كلما وقع رجلٌ اختطفوه؛ فيمر الصف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجْوَدِ

(١) ينظر: مجمع البيان (٣/ ٥٢٠)، البيان (٢/ ١٢٩)، البحر (٦/ ٢٠٤)، لسان العرب (سمو).
(٢) لسان العرب (جثو).
(٣) ينظر الدر المصون (٤/ ٥١٦).
(٤) ينظر: البيان (٢/ ١٣٠ - ١٣١)، البحر (٦/ ٢٠٨)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٢ - ٥٢٣).

الخيل، والرابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون: اللَّهم سلِّمْ سلِّمْ»[١].

وتفسير الحسن: ﴿إلا واردها﴾ إلا داخلها، فيجعلها اللَّه على المؤمنين بردًا وسلامًا؛ كما جعلها على إبراهيم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أيُّ الفريقين﴾ نحن أو أنتم؟ ﴿خيرٌ مقامًا وأحسن نديًّا﴾ المقام: المسكن، والنَّدِيُّ: المجلس.

قال قتادة: رأوا أصحاب النبي في عيشهم خشونة، فقالوا لهم ذلك.

قال اللَّه: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثاثًا﴾ أي: متاعًا ﴿ورئيًا﴾ أي: منظرًا؛ في قراءة من قرأها مهموزة، ومن قرأها بغير همزٍ (وريًّا)[٢] فهو من

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ١١٠) وآدم بن أبي إياس في تفسيره - كما في التخويف من النار (ص١٩٧) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٥ - ٣٧٦) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠٨) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.
وروي هذا الحديث عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا، انظر التخويف من النار (١٩٦ - ١٩٧) والدر المنثور (٤/ ٣٠٨).

(٢) ترك الهمز قالون عن نافع وابن عامر. السبعة (٤١١ - ٤١٢) التيسير (١٤٩).

قِبَل الرِّوَاء[١]، وإنما عيش الناس بالمطر تُنْبِتُ زروعهم، وتعيش ماشيتهم[٢] ﴿قل من كان في الضلالة﴾ هذا الذي يموت على ضلالته ﴿فليمدد له الرحمن مدًّا﴾ هذا دعاءٌ أمرَ اللَّه النبي أن يدعُوَ به؛ (ل٢٠٥) المعنى: فأمدَّ له الرحمن مدًّا.

﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة﴾ يعني: إما العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، أو العذاب الأكبر؛ لم يبعث اللَّه نبيًّا إلا وهو يحذِّر أمته عذاب اللَّه في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

قال محمدٌ: (العذاب) و(السَّاعة) منصوبان على معنى البدل[٣] من [ما][٤] يوعدون؛ المعنى: إذا رأوا العذاب أو رأوا الساعة، قال: فيسلمون عند ذلك.

﴿من هو شرٌّ مكانًا﴾ أهم المؤمنون ﴿وأضعف جندًا﴾ في النصرة والمنْعَة؛ أي: ليس لهم أحدٌ يمنعهم من عذاب اللَّه ﴿ويزيد اللَّه الذين اهتدوا هدى﴾ يعني: يزيدهم إيمانًا ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال الحسن: هي الفرائض ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا﴾ جزاءً في الآخرة ﴿وخيرٌ مردًّا﴾ يعني: خيرٌ عاقبة من أعمال الكفار.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ

---

(١) وقيل: بل هو من الرِّي ضد العطش. الدر المصون (٤/ ٥٢٠).
(٢) من هنا بدأ سقط آخر من «ر».
(٣) ينظر: البحر (٦/ ٢١٢)، إعراب القرآن (٢/ ٣٢٦)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٥).
(٤) في «الأصل»: مما.

بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدًا﴾ أي: في الآخرة ﴿أطّلع الغيب﴾ على الاستفهام؛ أي: علم ما فيه؛ أي: لمْ يطّلعْ ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ أيْ: لم يفعَلْ، والعهْدُ: التوحيدُ؛ في تفسير بعضهم.

﴿كلًا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدًّا﴾ هو كقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا﴾[1].

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: نرثه ماله وولده الذي قال ﴿ويأتينا فردًا﴾ لا شيء معه.

يحيى: عن صاحب له، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروق، عن خبّاب بن الأرتّ قال: «كنت قَيْنًا[2] في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل حتى اجتمعت لي عنده دراهم؛ فأتيته أتقاضاه فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمدٍ، فقلت: والله لا أكفر بمحمدٍ؛ حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لمبعوثٌ؟! قلت: نعم. قال: فسيكون لي ثَمّ مالٌ وولدٌ فأقضيك، فأتيت النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: ﴿ويأتينا فردًا﴾»[3].

﴿واتخذوا من دون الله آلهةً ليكونوا لهم عزًّا﴾ هو كقوله: ﴿واتخذوا من

---

(١) النبأ: ٣٠ .

(٢) القَيْن هو الحدّاد، وهو أيضًا: العَبْد. والجمع: قُيُون: لسان العرب (قين).

(٣) رواه البخاري (٤/ ٣٧٢ رقم ٢٠٩١)، ومسلم (٤/ ٢١٥٣ رقم ٢٧٩٥) من طريق الأعمش به.

دون اللَّه آلهة لعلهم ينصرون﴾(١) وإنما يرجون منفعة أَوْثَانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة.

قال اللَّه: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ في الآخرة ﴿ويكونون عليهم ضدًّا﴾ [قرناء في النار](٢) المعنى: يلعنُ بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض؛ في تفسير قتادة .

﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا﴾ قال قتادة: يعني: تزعجهم إزعاجًا في معصية اللَّه.

﴿فلا تعجل عليهم﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إنما نَعُدُّ لهم عدًّا﴾ يعني: الأجل. قال سعيد بن جبير: كتب في أول الصحيفة أجلُه، ثم يكتب أسفل من ذلك ذَهَبَ يوم كذا، وذهب يوم كذا؛ حتى يأتي على أجله)(٣).

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا﴾.

يحيى: بلغني عن جُوَيبر، عن الضحاك بن مزاحم، عن الحارث، عن علي «أنه سأل رسول اللَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: هل يكون الوافدُ إلا الرَّاكب؟ فقال: والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم اسْتُقْبِلوا بنُوقٍ بيض لها أجنحة عليها رِحَائل الذهب، كل خطوة منها مدّ البصر»(٤).

---

(١) يس: ٧٤ .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من ابن كثير (٥/ ٢٥٧).

(٣) نهاية السقط من «ر».

(٤) جويبر بن سعيد متروك؛ وقد اختلف عليه فيه:
فرواه عمرو بن هاشم الجنبي عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس «سأل عليُّ بن أبي طالب رسولَ اللَّه ﷺ. . .» فذكره.
خرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٤٥).
ورواه إسماعيل بن زياد عن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي. =

قال محمدٌ: الوفد في كلام العرب: الرُّكبان المكرمون، واحدهم: وافدٌ[١]

﴿ونسوق المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿إلى جهنم وردًا﴾ أي: عطاشًا.

قال محمدٌ: (وِرْدًا﴾ أصْلُه في اللغة: الجماعة يردون الماء[٢].

﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ قال بعضهم العهد: التَّوحيد.

= خرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٨ رقم ٢٨١).

ورواه العقيلي في الضعفاء (١/ ٨٦) من طريق إسماعيل بن عبيد اللَّه بن سلمان، عن أبيه، عن الضحاك، عن الحارث، عن علي.

وقال العقيلي: حديث غير محفوظ.

ورواه عبد اللَّه بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/ ١٥٥) وفي زوائد فضائل الصحابة رقم (١٢٢٨) وهناد في الزهد (٨٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١١٩) والطبري في التفسير (١٦/ ١٢٦) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤١) - والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٧) وابن مردويه والواحدي في تفسيريهما - كما في تخريج الكشاف (٢/ ٣٣٨) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٩ - ١٣٠ رقم ٢٨١) والبيهقي في الشعب (٢/ ٢١٢ رقم ٣٥٢) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي موقوفًا.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل عبد الرحمن هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان، وضعفوه.

ورواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث عن عباد بن يعقوب الرواجني، عن محمد بن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق به مرفوعًا.

ثم قال: لم يرفعه عن ابن فضيل إلا عباد. اهـ تخريج الكشاف (٢/ ٣٣٩).

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤١) - عن أبي معاذ البصري عن علي مرفوعًا مطولاً.

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثًا غريبًا جدًّا مرفوعًا عن علي. . . فذكره ثم قال: هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي ﷺ بنحوه، وهو أشبه بالصحة ، واللَّه أعلم.

(١) ويُجْمع الوَفْد على: أَوْفَاد، ووُفُود. لسان العرب (وفد).

(٢) وهو ضدُّ الصَّدَر. مختار الصحاح (ورد).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)﴾

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جئتم شيئًا إدًّا﴾ قال (مجاهد)[١]: يعني: عظيمًا ﴿يكاد[٢] السمٰوات يتفطرن منه﴾ أي: يتشققن منه ﴿وتنشقُّ الأرض وتخر الجبال هدًّا﴾ أي: سقوطًا ﴿أن دَعَوْا﴾ بأن دعوا ﴿للرحمن ولدًا﴾ قال قتادة: بلغنا أن كعبًا قال: غضبت الملائكة، وسُعِّرت جهنم حين قالوا ما قالوا.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا﴾ قال قتادة: يعني: في قلوب أهل الإيمان.

(ل٢٠٦) **يحيى**: عن مندل بن علي، عن سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّه إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل، فقال: إني أحبُّ فلانًا فأحبَّه. قال: فينادي جبريل: (يا أهل السماء)[٣] إن اللَّه

(١) في «ر»: محمد.
(٢) قرأ نافع والكسائي ﴿يكاد﴾ بالياء على التذكير، وقرأ الباقون ﴿تكاد﴾ بالتاء على التأنيث. النشر (٢/ ٣١٩) وإتحاف الفضلاء (٣٨٠).
(٣) في «ر»: في أهل السمٰوات.

يحب فلانًا؛ فأحبوه. قال: ثم يُوضع له القبول - يعني: المودة - في الأرض»[1] قال سُهَيْل: وأحْسبُه ذكر البغض مثل ذلك.

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن ﴿بلسانك﴾ يا محمد ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالجنة ﴿وتنذر به﴾ بالنار ﴿قومًا لدًا﴾ أي: ذوي لَدَدٍ وخصومَةٍ؛ يعني: قريشًا ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿من قرن هل تحسُّ منهم من أحدٍ﴾ أي: هل ترى ﴿أو تسمع لهم ركزًا﴾ يعني: صوتًا؟ أي: إنك لا ترى منهم أحدًا، ولا تسمع لهم صوتًا.

قال محمدٌ: الرِّكْزُ في اللغة: الصَّوْتُ الخفيُّ[2].

* * *

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣٠ - ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٧) من طريق سهيل بن أبي صالح به.
ورواه البخاري (٤٦٩/١٣ رقم ٧٤٨٥) من طريق عبد الله بن دينار عن أبي صالح به.
ورواه البخاري (٦/ ٣٥٠ رقم ٣٢٠٩ ، ٤٧٦/١٠ رقم ٦٦٤٠) من طريق نافع عن أبي هريرة.

(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (ركز).

تفسير سورة طه وهي مكيّة كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

قوله: ﴿طه﴾ قال الحسن: يعني: يا رجُلُ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبي: إنه شقيٌّ ﴿إلا تذكرةً لمن يخشى﴾ يقول: إنما (أنزله)[١] تذكرةً لمن يخشى اللَّه، وأما الكافر فلم يقبل التذكرة ﴿تنزيلًا﴾ (أي: أنزّله تنزيلًا)[٢] ﴿ممَّن خلق الأرض والسمٰوات العلا﴾ يعني: نفْسَهُ.

قال محمدٌ: (العلا) جمع: العُليَا؛ يقال: سماءٌ عُلْيا، وسمٰوات عُلَا[٣].

﴿له ما في السمٰوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ قال أبو رجاء العُطَاردي: الثرى: الأرض التي تحت الماء التي يستقر عليها؛ فهو يعلم ما تحت ذلك الثَّرى ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السِّر وأخفى﴾ قال قتادة: السِّرُّ: ما حدثت به نفْسَك، وأخفى منه: ما هو كائن مِمَّا لم تحدث به نفْسك.

﴿له الأسماء الحسنى﴾ للَّه تسعةٌ وتسعون اسمًا .

---

(١) في «ر»: أنزلناه.
(٢) سقط من «ر».
(٣) لسان العرب (علو)، الدر المصون (٥/ ٧).

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى نارًا﴾ أي: عند نفسه (وإنما كانت نورًا)[١] ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست نارًا﴾ أي: رأيت ﴿لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدًى﴾ يعني: هُدَاة يهدونه الطريق.

قال محمدٌ: القَبَسُ: ما أخذته في رأس عودٍ من النار، أو في رأس فَتِيلة[٢].

قال: ﴿فلما أتاها﴾ أي: النار التي ظنها نارًا ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾.

قال محمدٌ: تقرأ: (أني) بالفتح والكَسْر[٣]؛ الفتح على معنى: نودي بأني، والكسْر بمعنى: نودي: يا موسى، فقال اللَّه له: ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ قال قتادة: كانتا من جلد حمارٍ ميت فخلعهما ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ المقدس: المبارك، وطوى: اسْمُ الوادي.

قال محمدٌ: القراءة عند أهل المدينة بضم أوله بغير تنوين[٤].

---

(١) سقط من «ر».

(٢) وهي الذُّبالة. مختار الصحاح (فتل).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح على تقدير الباء؛ أي: بأني، وقرأ الباقون بالكسر. ينظر: النشر (٢/٣١٩ - ٣٢٠)، الدر المصون (٥/٩).

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر (طُوًى) بضم الطاء والتنوين، والباقون بضمها من غير تنوين، وروي عن الحسن والأعمش بكسر الطاء منونًا، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منونة. ينظر النشر (٢/٣١٩) الإتحاف (٣٦٥)، البحر (٦/٢٣١)، الدر المصون (٥/٩).

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وأنا اخترتك﴾ أي: لرسالتي ولكلامي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك ﴿وأقم الصلاةَ لذكري﴾ في تفسير مجاهد: إذا صلَّى العبد ذكر اللَّه ﴿إن الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿آتية أكاد أخفيها﴾ قال قتادة: هي في قراءة أُبي: (أكاد أخفيها من نفسي)[1] ﴿لتجزى كل نفسٍ بما تسعى﴾ يقول: إنما تجيء الساعة لتجزى كل نفس بما تعمل.

﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ .

﴿فترْدَى﴾ أي: تهلك .

﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ سأله عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى: ﴿هي عصاي أتوَكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمي﴾ قال قتادة: كان يَخْبط[2] بها ورق الشجر.

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ قال قتادة: يعني: حَوَائج.

(١) ينظر البحر (٦/ ٢٣٣)، الدر المصون (٥/ ١١).
(٢) أي: يضرب. لسان العرب (خبط).

قال محمدٌ: واحد المآرب: مَأْرُبة، ومأرَبَة أيضًا[١].

﴿فألقاها فإذا هي حيَّة تسعى﴾ أي: تزحف على بَطْنها بِسُرْعةٍ.

﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي: هيئتها الأولى؛ يعني: عصا ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ قال مجاهد: أمَره أن يدخل كفَّه تحت عضده (ل٢٠٧) ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ قال قتادة: يعني: من غير برص[٢].

قال الحسن: أخرجها - واللَّه - كأنها مصباح، فعلم موسى أن قد لقي ربَّهُ.

﴿آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ كانت اليد أكبر من العصا.

قال محمدٌ: (آيةً) بالنَّصب على معنى: نريك آيةً أخرى[٣].

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ دعا أن يشرح صدره للإيمان.

﴿ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي﴾ ففعل اللَّه به ذلك، وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون وهو صغير فهمَّ بقتله، وقال: هذا عدوٌّ لي! فقالت له امرأته: إن هذا صغيرٌ لا يعقل؛ فإن أردت أن تعلم ذلك، فادعُ بتمرةٍ وجمرةٍ، فاعرضهما عليه، فأُتي بتمرةٍ وجمرةٍ فعرضهما

---

(١) ونقل الفارابي: (مَأرِبَة) أيضًا بالكَسْر، وبابه طرب. ينظر مختار الصحاح (أرب).

(٢) هو بياض يصيب الجلد. المعجم الوسيط (برص).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٣٦)، مجمع البيان (٤/ ٧)، البيان (٢/ ١٤١).

عليه، فتناول الجمرة فألقاها في فيه، فمنها كانت [تلك][(١)] العُقْدة في لسانه.

قال محمدٌ: يعني بالعقدة: رُتَّة[(٢)].

﴿واجعل لي وزيرًا من أهلي﴾ أيْ: عوينًا من أهلي ﴿هارون أخي اشدُدْ به أزري﴾ أي: ظهري.

قال محمدٌ: يقال: أزرت فلانًا على الأمر؛ أي: قويْته عليه، فأما وازرته: فصرت له وزيرًا[(٣)].

﴿وأشركه في أمري﴾ دعاء من موسى لربه أن يشركه في أمره.

﴿قال قد أوتيت سؤلك﴾ أي: ما سألت ﴿يا موسى﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الرُّتَّة - بضم الراء -: العُجْمة في الكلام، ورجل بيِّن الرَّتَتِ، وفي لسانه رُتَّة؛ أي: عجمة. لسان العرب، مختار الصحاح (رتت).

(٣) الأزْر: القوة، والوزْر: الثِّقل، ومنه الوزير؛ لأنه يحمل عنه وِزْره؛ أي: ثقله. لسان العرب، مختار الصحاح (أزر)، (وزر).

مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فذكَّره النعمة الأولى - يعني: قوله: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ شيء قذف في قلبها أُلْهِمَتْهُ، وليس بوحي نبوة ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ أي: اجعليه ﴿فاقذفيه في اليم﴾ في البحر ﴿فلْيلْقِه اليم بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوّ له﴾ يعني: فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ قال قتادة: ألقى اللَّه عليه محبَّةً منهُ، فأحبوه حين رأوه ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي: ولتُغذَّى بمرأى مني.

﴿هل أدلكم على من يكْفُله﴾ أي: يضمُّه. قالوا: نعم. فجاءت بأمه، فقَبِلَ ثديها.

﴿وقتلت نفسًا﴾ يعني: القبطي الذي كان قتله خطأً ﴿فنجيناك من الغم﴾ قال الحسن: يعني: من الخوف؛ فلم يصل إليك القومُ، وغفرنا لك ذلك الذنب ﴿وفتنَّاك فتونًا﴾ أي: ابتليناك ابتلاءً؛ الابتلاء والاختبار بمعنى واحدٍ ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ أقام بِمَدْيَن عشرين سنة ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ أي: على موعد؛ في تفسير مجاهد.

﴿واصطنعتك لنفسي﴾ اخترتك.

﴿ولا تنيا في ذكري﴾ أي: لا تضعفا في الدعاء إليَّ ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ كفر ﴿فقولا له قولًا لينًا﴾ سمعتُ بعض الكوفيين يقول في تفسير ذلك: كَنِّياه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ قال السُّدي: الألف ها هنا

صلة[١] يقول: لعله يتذكَّر ويخشى.

قال محمدٌ: (لعلَّ) في اللغة معناها: الترجِّي والطمعُ[٢]، فالمعنى: اذهبا على رجائكما وطمَعِكُمَا؛ وقد علم اللَّه - عز وجل - أنه لا يتذكَّر ولا يخشى.

﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أي: يعجل علينا عقوبة منه ﴿أو أن يطغى﴾ فيقتلنا ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ يقول: ليس بالذي يصل إلى قتلكما.

﴿فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم﴾ كان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ العصا واليد ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾.

قال يحيى: كان النبي عليه السلام إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من اتبع الهدى»[٣].

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا

---

(١) يريد: أن (أو) بمعنى الواو في معنى الجمع، وانظر في دلالتها على معنى الواو - مغني اللبيب (١/ ٧٥).

(٢) أصل (لعل) في اللغة أنها كلمة شَكٍّ، وأصلها: (عَلَّ)، واللام في أولها زائدة، وانظر في الكلام عليها مغني اللبيب (١/ ٣١٥ - ٣١٨).

(٣) رواه البخاري (١/ ٤٢ - ٤٤ رقم ٧) ومسلم (٤/ ١٣٩٣ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه في حديث هرقل الطويل.

﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى﴾ قال الكلبي: أعطاه شكله، أعطى الرجل المرأة، والجمل الناقة، والذكر الأنثى ﴿ثم هدى﴾ عرَّفه كيف يأتيها ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ المعنى: دعاه موسى إلى الإيمان بالبعث، فقال له فرعون: فما بال القرون الأولى قد هلكت فلم تُبْعَثْ ﴿قال علمها عند ربي في كتابٍ لا يضلُّ ربي ولا ينسى﴾ لا يضله (ل٢٠٨) فيذهب، ولا ينسى ما فيه ؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: من قرأ (يَضِل) بفتح الياء[1]، فهو من قولك: ضللت الشيء أضلهُ؛ إذا جعلته في مكان لمْ تدرِ أين هو[2].

ومن قرأ (يُضِل) بضم الياء[3]، فهو من قولك: أضْللتُ الشيء، ومعنى أضللته: أضعْتُه[4].

﴿الذي جعل لكم الأرض مهدًا﴾ أي: بساطًا ﴿وسلك لكم فيها سبلًا﴾ أي: جعل لكم فيها طُرُقًا ﴿وأنزل من السَّماء ماءً فأخرجْنا به أزواجًا﴾ أَصْنَافًا ﴿من نباتٍ شتى﴾ أي: مختلف، فالذي ينبت هذه الأزواجَ الشَّتَّى قادرٌ على أن يبعثكم بعد الموت.

---

(١) وهي قراءة العامة.

(٢) يقال: ضَلِلْتُ الشيءَ أَضِلُّه ضَلالًا وضَلَالة؛ وهي لغة أهل العالية، أما لغة أهل نجد، وهي الفصيحة: ضَلَلْتُ أَضِلُّ. مختار الصحاح (ضلل) ومعاني الفراء (٢/ ١٨١).

(٣) وهي قراءة الحسن وقتادة والجحدري وغيرهم. ينظر: الإتحاف (٣٦٧) مختصر ابن خالويه (٨٧)، الدر المصون (٥/ ٢٧).

(٤) وقال ابن السكيت: أضْلَلْت بعيري؛ إذا ذهب منك، وضَلَلْت المسجد والدار؛ إذا لم تعرف موضعهما. لسان العرب ، مختار الصحاح (ضلل) وينظر الإملاء (١/ ١٢٢).

﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى﴾ العقول.

قال محمد: واحد النهى: نُهْيَة، يقال: فلانٌ ذو نُهْيَةٍ؛ أي: ذو عقلٍ ينتهي به عن القبائح[1].

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤)﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ يعني: التسعَ.

﴿فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوى﴾ قال مجاهد: يعني: منصفًا.

قال محمدٌ: يعني: يكون النصفُ فيما بين المكانَيْن.

﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ يعني: يوم عيد كان لهم يجتمعون فيه ﴿ضحى فتولى فرعون فجمع كيده﴾ يعني: ما جمع من سَحَرة ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ أي: يستأصلكم ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي: تناظروا؛ يعني: السَّحرة

---

(١) وسمى العقل نُهْيَة؛ لأنه ينهى عن القبيح. لسان الغرب، مختار الصحاح (نهى).

﴿وأسروا النجوى﴾ أخفوا الكلام، قالت السحرة: إن كان هذا الرجل ساحرًا؛ فإنا سنغلبه، وإن يك من السماء كما زعم فله أمْرٌ .

﴿إن هذان لساحران﴾ يعني: موسى وهارون.

قال محمدٌ: قوله: ﴿هذان﴾ بالرفع؛ ذكر أبو عبيْدة أنها لُغَةٌ لكِنانة؛ يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصْب على لفظٍ واحدٍ، ولأهْل العربيَّة فيه كلام كثير، واختلافٌ يطول ذكره، غير الذي ذكر أبو عبيْدة[1].

﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي: بعيْشكم الأمثل؛ يعني: بني إسرائيل، وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا؛ يأخذون منهم الْخراج ويستعبدونهم ﴿فأجمعوا كيْدكم﴾ أي: سحركم، يقوله بعضهم لبعضٍ ﴿ثم ائتوا صفًّا﴾ أي: تعالوا جميعًا ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ غلب .

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوى واسع، يشمل القراءات القرآنية وتوجيهها. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٤٣)، البحر (٦/ ٢٥٥)، الخصائص (٣/ ٦٥)، الهمع (١/ ١٣٣).

قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ أي: أنها حياتٌ تسعى ﴿فأوجس في نفسه﴾ أضْمَر .

﴿تلقَّف[1] ما صنعوا﴾ أي: تبتلعُه بفيها .

﴿إنما صنعوا﴾ أي: أن الذي صنعوا ﴿كيْدُ ساحرٍ ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ حيث كان .

﴿إنه لكبيركم﴾ في السحر؛ أيْ: عالمكم ﴿فلأُقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿ولتعلمن أيُّنا﴾ يعني: أنا أو موسى ﴿أشدُّ عذابًا وأبقى﴾ .

﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا﴾ أي: وعلى الذي خلقنا .

﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال السُّدي يقول: افعَلْ في أمرنا ما أنت فاعل، إنما تفعل في هذه الحياة الدنيا ﴿واللَّه خيْرٌ﴾ منك يا فرعون ﴿وأبقى﴾ .

﴿إنه من يأتِ ربه مجرمًا﴾ أي: مشركًا ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ .

---

(١) وهي قراءة العامّة؛ أي: بفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ حفص وحده بإسكان اللام وفتح القاف. ينظر السبعة (٤٢٠)، التيسير (١٥٢)، النشر (٢/ ٣٢١).

﴿ومن يأته مومنًا...﴾ إلى قوله: ﴿من تزكى﴾ أي: من آمن.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا﴾ قال الحسن: أتاه جبريل على فرسٍ؛ فأمره فضرب البحر بعصاه، فصار طريقًا يبسًا.

قال محمدٌ: يعني: ذا يبسٍ.

قال يحيى: بلغني أنه صار اثني عشر طريقًا، لكل سبطٍ[1] طريقٌ.

---

(١) السِّبْط واحدًا الأسباط؛ وهم ولد الولد. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب. مختار الصحاح (سبط).

﴿لا تخاف دركًا﴾ أن يدركك فرعون ﴿ولا تخشى﴾ الغرق أمامك ﴿فأتبعهم فرعون بجنُوده﴾ قال محمدٌ: يعني: لحقهم ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ يقول: فغرقوا.

﴿وواعدناكم﴾ يعني: مواعدته لموسى ﴿جانب الطور الأيمن﴾ يعني: أيمن الجبل ﴿ونزلنا عليكم المنَّ والسَّلْوى﴾ وقد مضى تفسيره[١].

﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي: لا تعصوا اللَّه في رفع المنِّ والسَّلْوى، وكانوا أمروا ألا يأخذوا منه لغدٍ، وقد مضى تفسير هذا[١] ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي: (ل٢٠٩) فيجب ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ في النار.

﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾ مضى بالعمل الصالح حتى يموت.

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال بعضهم: يعني: السبعين الذين اختارهم؛ فذهبوا معه للميعاد ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ أي: ينتظرونني بالذي آتيهمْ به، وليس يعني أنهم يتبعونه.

﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي: ابتليناهم.

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾ أي: حزينًا شديد الحزن مع غضبه على ما صنع قومه من بعده ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا﴾ في الآخرة على التمسُّك بدينه ﴿أفطال عليكم العهد﴾ يعني: الموعد ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا...﴾ أي: بطاقتنا إلى قوله: ﴿فنسي﴾.

قال يحيى: كان وعدهم موسى أربعين ليلة، فعدوا عشرين يومًا وعشرين ليلة، فقالوا: هذه أربعون، فقد أخلفنا موسى الوعد، وكانوا استعاروا من

---

(١) البقرة: ٥٧ ، الأعراف: ١٦٠ .

آل فرعون حُليًا لهم [أظنه][1] ليوم العيد، وكانوا قد أمروا أن يسري بهم ليلًا، فكره القوم أن يردُّوا العواري[2] على آل فرعون، فيفطنوا لهم، فأسروا من الليل والعواري معهم؛ وهي الأوزار التي قالوا: ﴿حُمِّلْنا أوزارًا﴾ أي: أثقالًا، فقال لهم السامري بعد ما مضت عشرون يومًا وعشرون ليلة: إنما ابتُليتم بهذا الحلي فهاتوه. وألقى ما معه من الحُليِّ، وألقى القوم ما معهم، فصاغه عجلًا، ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فجعل يخور خُوَار[3] البقرة؛ فقال عدو اللَّه: ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ أي: نسي موسى، المعنى: أن موسى طلب هذا ولكنه (نسيه)[4] وخالفه في طريق آخر؛ قال اللَّه: ﴿أفلا يرون ألا يرجعُ إليهم قولًا﴾ يعني: العجل.

قال محمدٌ: من قرأ (ألا يرجعُ) بالرفع[5]، فالمعنى: أنه لا يرجعُ ﴿ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) واحدها: عاريّة: وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك. المعجم الوسيط (عور).
(٣) الخوار: الصِّياح. لسان العرب (خور).
(٤) في «ر»: نُبِّه.
(٥) وهي قراءة العامة، وقرأ أبو حيوة بنصب (يرجع). ينظر البحر (٦/ ٢٦٩)، الدر المصون (٥/ ٤٨).

خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: من قبل أن يرجع إليهم موسى حين اتخذوا العجل ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ يعني: العجل ﴿وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ ﴿قالوا لن نبرح ﴾ أي: لن نَزَالَ ﴿عليه عاكفين﴾ نعبده ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

﴿قال يا ابن أُمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولمْ ترقبْ قولي﴾ أي: ولم تنتظر ميعادي، وقد استخلفتك فيهم.

قال محمدٌ: من قرأ (يا ابن أُمَّ) بفتح الميم[1] وموضعها جَرٌّ فإنما ذلك؛ لأن (ابن وأُمّ) جُعِلا شيئًا واحدًا، وبُنِيا على الفتح مثل خمسة عشر[2].

﴿قال﴾ ثم أقبل موسى على السَّامري؛ فقال له: ﴿فما خطبك﴾ أي: ما حُجَّتك ﴿يا سامري قال بصُرْتُ بما لمْ يبصُروا به﴾ يعني: بني إسرائيل، وكان الذي رأى: فرس جبريل.

قال محمدٌ: يقول أهل اللغة: بَصُرَ الرجلُ يَبْصُر؛ إذا صار عليمًا بالشيءِ،

---

(١) تقدم تخريج هذه القراءة في (الأعراف: ١٥٠).
(٢) ينظر البحر (٦/ ٢٧٣)، الدر المصون (٥/ ٤٩).

وأبْصر يُبْصِر؛ إذا نظر[١].

﴿فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول﴾ يعني: من تحت حافر فرس جبريل ﴿فنبذتها﴾ أي: ألقيتها في العجل؛ يعني: حين صاغه، وكان صائغًا ﴿وكذلك سوَّلت لي نفسي﴾ أي: وقع في نفسي أني إذا ألقيتها في العجل خَارَ[٢]. قال قتادة: وكان السَّامري من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكنِ نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل ﴿قال﴾ له موسى: ﴿فاذهب فإن لك في الحياة﴾ (يعني: حياة الدنيا ﴿أن تقول لا مساس﴾ يعني: لا تخالط الناس، ولا يخالطونك)[٣] فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة، والسامرة صِنْفٌ من اليهود.

قال قتادة: يقال: السامرة حتى الآن بأرض الشام، يقولون: لا مساس[٤].

قوله: ﴿وإن لك موعدًا لن تخلفه﴾ يعني: يوم القيامة فيجزيك اللَّه فيه بأسوإ عملك ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه﴾ أي: صِرْت عليه ﴿عاكفًا﴾ على عبادته (ل٢١٠) ﴿لنحرقنه ثم لننسفنَّه﴾.

محمدٌ: النَّسْف: التَّذْرية[٥].

قال الكلبي: ذبحه موسى، ثم أحْرقه بالنار، ثم ذراه في البحر.

﴿وسع كل شيءٍ﴾ قال قتادة: ملأ ربي كل شيءٍ ﴿علمًا﴾ يقول: لا يكون

---

(١) بَصُر يَبْصُر بُصْرًا؛ أي: عَلم، فهو بصير. وأَبْصَر يُبْصِر إبْصارًا؛ أي: رأى فهو مُبْصِر. لسان العرب ، مختار الصحاح (بصر).

(٢) أي: صاح. لسان العرب (خور).

(٣) سقط من «ر».

(٤) وقيل: المعنى: لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ. مختار الصحاح: (مسس).

(٥) لسان العرب (نسف).

شيءٍ إلا بعلم الله .

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿كذلك نقصُّ عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي: من أخبار ما قد مضى ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرًا﴾ يعني: القرآنَ ﴿من أعرض عنه﴾ عن القرآن لم يؤمن به ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وِزْرًا﴾ ثقلًا؛ يعني: الإثم ﴿خالدين فيه﴾ أي: في ثواب ذلك الوزر؛ وهي النار ﴿وساء لهم﴾ أي: وبئس لهم ﴿يوم القيامة حملًا﴾ يعني: ما يحملون على ظهورهم من الوِزْر.

قال محمد: (حملًا) منصوبٌ على التميز[1]؛ المعنى: ساء الوِزْرُ لهم يوم القيامة حِمْلًا، وسمى (الوِزْر حملًا)[2]؛ لأنّ صاحبَه يحمل به ثقلًا[3].

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ والصور: قرْنٌ ينفخ فيه صاحبُ الصور؛ فينطلق كل روح إلى جسده، تُجعل الأرواح كلها في الصور؛ فإذا نُفِخَ فيه خرجت الأرواحُ مثل النحل كل روح إلى جسده ﴿ونحشر المجرمين﴾ المشركين؛ هذا حشرٌ إلى النار ﴿يومئذٍ زرقًا﴾ أي: مسودَّة وجوهُهم ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي:

---

(١) ينظر: البحر (٦/ ٢٧٨)، الإملاء (٢/ ١٢٧)، الدر المصون (٥/ ٥٤).
(٢) في «ر»: الإثم وزرًا.
(٣) ومنه سمي الوزير؛ لأنه يَحْمِل عنه وِزْره؛ أي: ثقله. مختار الصحاح (وزر).

يتسارُّون ﴿إن لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلا عشرًا﴾ يقللون لبثهم في الدنيا.

قال محمدٌ: الخُفوتُ أصْلُه في اللغة: السُّكون؛ يقال: خفت الكلامُ وخفت الدعاء؛ إذا سكن[1].

﴿إذ يقول أمثلهم طريقة﴾ أي: أعقلهم.

قال محمدٌ: يعني: أعْقلهم عند نفسه، وأعْلمهم بما يقول.

﴿إن لبثتم﴾ أي: ما لبثتم ﴿إلا يومًا﴾ قال قتادة: هي مواطن، قالوا: إلا عشرًا، وإلا يومًا، وقالوا: ﴿لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾[2] وقال: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ يحلف المجرمون ﴿ما لبثوا غير ساعة﴾ أي: في الدنيا، وذلك لتصاغر الدنيا عندهم، وقلتها في طول الآخرة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا﴾ أي: يذريها تذرية من

---

(١) خَفَتَ الصوتُ يَخْفِتُ خُفُوتًا، أي: سكن، ومنه المُخَافتة، والتخافُت. والخَفت: إسرار المَنْطِق. مختار الصحاح (خفت).

(٢) المؤمنون: ١١٣ .

أصولها، تصير الجبال كالهباء[١] المنثور. ﴿فيذرها﴾ يعني: الأرض ﴿قاعًا صفصفًا﴾ القاع: الذي لا أثر عليه، والصَّفصف: المستوية التي ليس عليها نباتٌ ﴿لا ترى فيها عوجًا﴾ قال ابن عباس: العوج: الوادي ﴿ولا أمتًا﴾ قال مجاهد: يعني: ارتفاعًا ﴿يومئذٍ يتبعون الداعي﴾ صاحب الصور؛ أي: يسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم ﴿لا عوج له﴾ أي: لا يتعوَّجون عن إجابته يمينًا ولا شمالًا ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي: سكنتْ ﴿فلا تسمع إلا هَمْسًا﴾ قال الحسن: يعني صوت الأقدام.

قال محمدٌ: الهَمْسُ في اللغُة: الشيء الخفي[٢].

﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولًا﴾ يعني: التوحيد.

﴿يعلَمُ ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا؛ أي: إذا صاروا في الآخرة ﴿ولا يحيطون به علمًا﴾ أي: ويعلم ما لا يحيطون به علمًا؛ أي: ما لا يعلمون ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾ أي: ذلَّت، والقيُّوم: القائم على كل نفسٍ.

قال محمدٌ: يقال: عنا يَعْنُو؛ إذا خضع[٣].

﴿وقد خاب من حمل ظلمًا﴾ أي: شركًا .

---

(١) الهباء: دُقاق التراب. وقيل: هو الشيء المنبثُّ الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. لسان العرب ، مختار الصحاح (هبو).

(٢) وهَمْسُ الأقدام أَخْفَى ما يكون من صوت القَدَم، وبابه: ضرب. لسان العرب ، مختار الصحاح (همس).

(٣) عَنَا يَعْنُو عُنُوًّا: خضع وذلَّ، وهو عانٍ، وهم عُنَاة، وهُنَّ عَوَانٍ. مختار الصحاح ، القاموس المحيط (عنو).

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمنٌ فلا يخاف ظلمًا﴾ يعني: أن يُزاد عليه في سيئاته ﴿ولا هضمًا﴾ أن ينقص من حسناته .

﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي: بيّنا؛ من يعمل كذا فله كذا ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرًا﴾ تفسير السدي: المعنى: لعلهم يتقون، ويُحدث لهم ذكرًا؛ الألف ها هنا صلة[1] .

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

---

(١) يريد أن (أو) في قوله تعالى: ﴿أو يحدث﴾ بمعنى الواو؛ وينظر في دلالة (أو) على معنى الواو - مغني اللبيب (١/ ٧٥).

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيُه﴾ أي: لا تَتْلُه؛ حتى نتمه لك؛ كان النبي إذا نزل عليه الوحي يقرؤه ويُدْئِبُ[١] فيه نفْسه؛ مخافة أن ينْسَى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ يعني: ما أُمِرَ به: ألَّا يأكل من الشجرة ﴿فنسي﴾ يعني: فترك ما أُمِرَ به. ﴿ولَمْ نجدْ له عزمًا﴾ أي: صبرًا.

﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ في الدنيا، يعني: الكدّ فيها ﴿إنّ لك ألا تجوع فيها﴾ يعني: في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ كانا كُسِيًا الظُّفر ﴿وأنك لا تظمَأُ فيها﴾ أي: لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أي: لا تصيبك شَمْسٌ.

قال محمدٌ: يقال: ضَحِيَ الرجل يَضْحَى؛ إذا برز إلى الضحى، وهو حرُّ الشمس[٢].

﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (ل٢١١) يعني: جعلا يرقعانه كهَيْئة الثوب.

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ولم يبلُغ بمعصيته الكفر ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه﴾ من ذلك الذنب ﴿وهدى﴾ أي: مات على الهدى.

﴿فمن اتبع هداي﴾ يعني: رُسُلِي وكتبي ﴿فلا يضل﴾ (في الدنيا)[٣] ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ فلم يؤمن ﴿فإن له معيشةً ضنكًا﴾.

يحيى: عن عبد اللَّه بن عرادة، عن محمد بن عَمْرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: ﴿معيشةً ضنكًا﴾ «يعني: عذاب

---

(١) أي: يجدُّ ويتعب. لسان العرب (دأب).
(٢) ضَحِيَ للشمس يَضْحَى، وضَحَى يَضْحَى ضَحَاءً أي: برز لها. لسان العرب (ضحى).
(٣) سقط من «ر».

القبر»[١].

قال محمدٌ: أصل الضَّنْك في اللغة: الضيق والشدة، يقال: ضَنُك عيْشُهُ ضَنْكًا، وضَنَكًا، وقالوا: ﴿معيشة ضنكًا﴾ أي: شديدة[٢].

يحيى: عن أبي أمَيَّة، عن يونس بن خباب، عن المنهال بن عمْرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب «أن رسول اللَّه ﷺ اتبع جنازة رجل من الأنصار؛ فلما انتهى إلى قبره وجده لمْ يُلْحَدْ؛ فجَلسَ وجَلسْنا حَوْلَهُ كأنما على رءوسنا الطيْرُ وبيده عودٌ وهو ينكت به في الأرض، ثم رفع رأسَهُ فقال: اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر - قالها ثلاثًا - إن المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة، وانقطاع من الدنيا أتَتْه ملائكةٌ وجوهُهُم كالشمس بحَنُوطه وكفنه، فجلسوا بالمكان الذي يراهم (منه)[٣]؛ فإذا خرج روحه صلى عليه كل مَلَكٍ بين السماء والأرض؛ وكل مَلَك في السمٰوات، وفتحت أبوابُ السماء كل باب منها يُعْجبه أن يصعد روحُه منه، فينتهي المَلَكُ إلى ربه، فيقول: يا رب،

(١) هذا مرسل، وعبد اللَّه بن عرادة ضعفه البخاري وغيره، وقد خالفه حماد بن سلمة فرواه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موصولًا، خرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥) وفي تهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٥٠٥ رقم ٧٢٧) وابن حبان (٧/ ٣٨٨ - ٣٨٩ رقم ٣١١٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥٩ رقم ٥٧ ، ٥٨) وقال الحاكم: صحيح. كما في إتحاف المهرة (١٦/ ١/ ١٨٣ رقم ٢٠٦١٠).
وروي من طرق عن حماد بن سلمة وغيره، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مطولاً مرفوعًا وموقوفًا. خرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٦٧ - ٥٦٩ رقم ٦٧٠٣) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥ - ٢١٦) وفي تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧ رقم ٧٢٨ ، ٧٢٩) وابن حبان (٧/ ٣٨٠ - ٣٨٢ رقم ٣١١٣) والحاكم (١/ ٣٧٩ - ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١ - ٦٢ - رقم ٦٧) وغيرهم.
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤): إسناد جيد.
(٢) ينظر لسان العرب (ضنك).
(٣) في «ر»: فيه.

هذا رُوح عبْدك، فيصلى عليه اللَّه وملائكته، ويقول: ارجعوا بعبدي فأروه ماذا أعددت له من الكرامة؛ فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقتكم وفيها نعيدكم، فيُرَدّ إليه روحه حين[١] يوضع في قبره، فإنه ليَسْمَع قرع نعالِكُمْ حين تنصرفون عنه، فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: اللَّه ربي، والإسلام ديني، ومحمدٌ نبيي، فينتهرانه انتهارًا شديدًا، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: اللَّه ربي، والإسلام ديني، ومحمدٌ نبيي. فيناديه منادٍ: ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[٢] فيأتيه عملُه في صورةٍ حسنة وريح طيبة، فيقول: أبشرْ (بجنات)[٣] فيها نعيمٌ مقيم؛ فقد كنت سريعًا في طاعة اللَّه بطيئًا عن معصية اللَّه، فيقول: وأنت بشّرك اللَّه بخيرٍ فمثلُ وجهك يبشر بالخيْر، ومن أنت؟ فيقول: أنا عملك الحسن. ثم يفتح له بابٌ من أبواب النار، فيقال له: كان هذا منزلك فأبدلك اللَّه خيرًا منه، ثم يفتح له في جانب قبره فيرى منزله في الجنة، فينظر إلى ما أعدَّ اللَّه له من الكرامة فيقول: يا رب، متى تقومُ السَّاعة كي أرجع إلى أهلي ومالي؟! فيوسع عليه في قبره ويرقد. وأما الكافر فإذا كان في قُبُلٍ من الآخرة وانقطاع من الدنيا، أتته ملائكةٌ (سودُ الوجوه)[٤] بسرابيل من قطرانٍ، ومقطَّعات من نارٍ، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه، فينزعُ روحه - كما ينتزع السَّفُّود[٥] الكثير شعبه من الصوف المبتلّ - من عروقه

---

(١) في «ر»: حتى.

(٢) إبراهيم: ٢٧ .

(٣) في «ر»: حياة.

(٤) سقط من «ر».

(٥) هي الحديدة التي يُشوى بها اللحم. لسان العرب، مختار الصحاح (سفد).

وقلبه؛ فإذا خرج روحُه لعنه كل مَلَك بين السماء والأرض، وكل ملك في السمٰوات، وغلقت أبواب السمٰوات دونه، كل باب يكره أن يصعد روحه منه، فينتهي الملك إلى ربه فيقول: يا رب هذا روحُ عبْدك فلان لا تقبله أرضٌ ولا سماء! فيلعنه اللّٰه وملائكته، فيقول: ارجعوا بعبدي فأروه ماذا أعددتُ له من الهوان؛ فإني عهدت إلى عبادي أني منها خلقتكم، وفيها أعيدكم، فَتُرَدُّ[1] إليه روحُه حين يوضع في قبره، وإنه لَيَسْمَعُ قرع نعالكم حينَ تنصرفون (ل٢١٢) عنه، فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: اللّٰه ربي، والإسلام ديني، ومحمدٌ نبيي، فينتهرانه انتهارًا شديدًا، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري! فيقال له: لا دريْت، ويأتيه عملُه في صورة قبيحة وريح منتنة، فيقول: أبشر بعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشرك اللّٰه بشرٍّ فمثلُ وجهك يبشّر بالشر. ومن أنت؟! فيقول: أنا عملك الخبيث. ثم يفتح له بابٌ من أبواب الجنة، فيقال له: كان هذا منزلك لو أطعْت اللّٰه، ثم يفتح له منزله من النار، فينظر إلى ما أعده اللّٰه له من الهوان، ويقيِّض له أصمُّ أعمى، في يده مرزبةٌ[2] لو توضع على جبلٍ لصار رُفاتًا[3]، فيضربه ضرَبةً فيصير رفاتًا، ثمّ يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح منها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقليْن، وينادي منادٍ أن أفْرِشوه لَوْحَيْن من النار، فَيَفْرِش

---

(١) في «ر»: فيرد اللّٰه.

(٢) ويقال فيها أيضًا: الإرزَبّة؛ وهي التي يُكْسَر بها المَدَر. وقال صاحب مختار الصحاح: فإن قلتها بالميم - أي: المرزبة - خفّفت الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (رزب).

(٣) أي: حطامًا؛ تقول: رُفِتَ الشيء - على ما لم يُسمَّ فاعله - فهو مرفوت. مختار الصحاح (رفت).

له لَوْحَين من نار، ويضيق عليه قبره؛ حتى تختلف أضلاعه»[(١)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦) وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٨٠ - ٥٨٢ رقم ٦٧٣٧) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤/ ٢٩٦) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٥ رقم ١٧٦) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/ ٤٥٩) - والطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥) وفي تهذيب الآثار (٢/ ٤٩٧ - ٥٠٠ رقم ٧٢٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٩) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٠ رقم ٢٣، ٢٤) من طريق يونس بن خباب به.
ورواه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨) والطيالسي (١٠٢ - ١٠٣ رقم ٧٥٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٨٠ - ٣٨٢) وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩) وأبو داود (٥/ ٢٥٠ - ٢٥١ رقم ٤٧٢٠ - ٤٧٢١) والمروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ - ٤٣٣ رقم ١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية (٥٨ رقم ١١٠) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥) وفي تهذيب الآثار (٢/ ٤٩١ - ٤٩٧ رقم ٧١٨ - ٧٢١) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ١٧٥) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/ ٤٥٩) - والآجري في الشريعة (٢/ ١٩٠- ١٩٢ رقم ٩١٩ - ٩٢١) وابن منده في الإيمان (٢/ ٩٦٢ - ٩٦٤ رقم ١٠٦٤) وفي التوحيد (٣/ ٢٧٨ رقم ٨٥٠) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧ - ٣٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٦/ ١١٣٥ - ١١٣٧ رقم ٢١٤٠) والبيهقي في الشعب (٢/ ٣١٦ - ٣١٩ رقم ٣٩٠) وفي عذاب القبر (٣٧ - ٣٩ رقم ٢٠ ، ٢١، ٤٠ - ٤١ رقم ٢٥ - ٢٧، ٥٠ - ٥٢ رقم ٤٤) من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو به.
ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٠ - ٥٠١ رقم ٧٢٣) وأبو عبد الله بن منده في كتاب الروح - كما في الروح لابن القيم (ص٤٦) - والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٢١- ٣٢٢ رقم ٣٩١) من طريق عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء ورواه ابن منده من طريق مجاهد عن البراء. كما في كتاب الروح لابن القيم (ص٤٧).
وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء، ولذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة، وروي هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهم اهـ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ فقد احتجا جميعًا بالمنهال بن عمر، وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله. اهـ.
وقال أبو نعيم الأصبهاني: وأما حديث البراء؛ رواه المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، فحديث مشهور؛ رواه عن المنهال الجم الغفير، ورواه عن البراء: عديُ بن ثابت ومحمدُ بن=

قوله: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ عن حجته ﴿قال رب لم حشرتني

= عقبة وغيرهما، ورواه عن زاذان عطاءُ بن السائب. قال: وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته. انتهى، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص٢٦٨).

وقال البيهقي في الشعب: هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال البيهقي في عذاب القبر (ص٣٩): هذا حديث كبير صحيح الإسناد.

وقال المنذري في الترغيب (٤/ ٣٦٩): هذا الحديث حديث حسن، ورواه محتج بهم في الصحيح كما تقدم، وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء. كذا قال أبو موسى الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ والمنهال روى له البخاري حديثًا واحدًا، وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عمد. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب. وقال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إلي من المنهال، وزاذان ثقة مشهور ألانه بعضهم، وروى له مسلم حديثين في صحيحه . اهـ.

وقال القرطبي في التذكرة (ص١١٩): وهو حديث صحيح له طرق كثيرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٩٠): وهو حديث حسن ثابت.

وقال الذهبي في العلو (١/ ٥١٩): إسناده صالح.

وأعله ابن حزم في المحلى (١/ ٢٢) وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٧) ورد قولهما ابن القيم في تهذيب السنن (١٣/ ٩٠ - ٩٣) وفي الروح (ص٤٦) وقال في الروح: فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان، منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد.

وقال ابن القيم في الروح (ص٤٨): هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي اللَّه ثم رجوعها إلى القبر، وقول أبي محمد: لم يروه غير زاذان. فوهم منه؛ بل رواه عن البراء غير زاذان، ورواه عنه عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد، وزاذان من الثقات روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره، وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين: ثقة. وقال حميد بن هلال - وقد سُئل عنه -: هو ثقة؛ لا تسأل عن مثل هؤلاء. وقال ابن عدي: أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة . اهـ.

وقال في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٦): وهو صحيح، صححه جماعة من الحفاظ.

وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٥٠): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

أعمى﴾ عن الحجة؛ في تفسير قتادة ﴿وقد كنت بصيرًا﴾ عالمًا بحجتي في الدنيا؟! وإنما علمه ذلك عند نفسه؛ أنه كان يحاجُّ في الدنيا جاحدًا لما جاءه من اللَّه. قال اللَّه: ﴿كذلك أتتك آياتنا﴾ في الدنيا ﴿فنسيتها﴾ أي: فتركتها لمْ تؤمن بها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي: تُترك في النار ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ على نفسه بالشرك(١) ﴿ولعذاب الآخرة أشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي: لا ينقطع أبدًا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿أفلم يَهْدِ لهم﴾ قال الحسن: يعني: نبين لهم؛ مُقْرأةٌ بالنون(٢) ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لمْ يؤمنوا ﴿يمشون في مساكنهم﴾ تمشى هذه الأمة في مساكنهم؛ يعني: من مضى ﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى﴾ العقول، وهم المؤمنون.

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾ ألا يعذب كفار آخر هذه الأمة إلا بالنَّفْخة ﴿لكان لزامًا﴾ أي: لألزِموا عقوبة كفرهم فأُهلِكوا جميعًا؛ لجحودهم ما جاء

---

(١) في «ر»: فأشرك.

(٢) وهي قراءة ابن عباس والسلمي وغيرهما، كما في تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٠).

به النبي ﷺ ﴿وأجلٌ مسمى﴾ فيها تقديمٌ وتأخير: ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزامًا.

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أنك ساحر، وأنك شاعرٌ، وأنك مجنون، وأنك كاهن، وأنك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ قال قتادة: يعني: صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ الظهر والعصر ﴿ومن آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿فسبح﴾ يعني: المغرب والعشاء. [قال محمد:](١) واحد الآناء إنى(٢) ﴿وأطراف النهار﴾ قال الحسن: يعني: التطوع ﴿لعلك ترضى﴾ أي: لكي ترضى في الآخرة ثواب عملك.

﴿ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا﴾ أصنافًا منهم؛ يعني: الأغنياء.

﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني: زينة ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: نختبرهم؛ أمره أن يزهد في الدنيا.

قال محمدٌ: (زهْرة) منصوبٌ بمعنى: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة(٣).

﴿ورزق ربك﴾ في الجنَّة ﴿خير﴾ من الدنيا ﴿وأبقى﴾ يقول: لا نفاد له ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أهله: أُمَّته ﴿لا نسألك رزقًا﴾ أن ترزق نفسك ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي: لأهل التقوى، والعاقبة: الجنة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قال الأخفش: واحدها: إِنًى؛ مثل: مِعًى. وقيل: واحدها: إِنْوٌ وإِنْيٌ؛ يقال: مضى من الليل: إِنْوان، وإِنْيان.
ينظر: لسان العرب ، مختار الصحاح (أنى).

(٣) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٦٢)، البحر (٦/ ٢٩١)، البيان (٢/ ١٥٥).

أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلّا ﴿يأتينا بآيةٍ من ربه﴾ قال اللّه: ﴿أو لم تأتهم بينةُ﴾ قال محمدٌ: يعني: آيات ﴿ما في الصحف الأولى﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذابٍ من قبله﴾ يعني: من قبل القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا﴾ هلّا ﴿أرسلت إلينا رسولًا﴾.

﴿قل كل متربصٌ﴾ نحن وأنتم؛ كان المشركون يتربَّصون بالنبي أن يموت، وكان النبي يتربَّص بهم أن يجيئهم العذاب ﴿فستعلمون من أصحاب الصِّراط السوي﴾ يعني: الطريق المعتدل ﴿ومن اهتدى﴾ أي: فستعلمون أنّ النبي والمؤمنين كانوا على [الصراط السوي، وأنهم ماتوا على الهدى][1].

* * *

(١) سقطت من الأصل. والمثبت من «ر».

(ل٢١٣) تفسير سورة الأنبياء
وهي مكِّيَّةٌ كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ أي: أن ذلك قريب.

يحيى: عن خداش، عن أبي عامر، عن أبي عمران الجوني قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «حين بُعِثَ إليَّ بُعِث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه، وقدَّم رِجلًا وأخَّر رجلًا، ينتظر متى يؤمر ينفخ؛ ألا فاتقوا النفخة»[1].

﴿وهم في غفلةٍ﴾ يعني: المشركين عن الآخرة ﴿معرضون﴾ عن القرآن ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ﴾ يعني: القرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يسمعونه بآذانهم، ولا تقبله قلوبهم ﴿لاهيةً قلوبهم﴾ أي: غافلة[2].

قال محمدٌ: المعنى: استمعوه لاعبين لاهية قلوبهم.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/ ٧٦٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧ ، ٦/ ١٢٨٢ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

(٢) في «ر»: في غفلة.

﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أشركوا؛ يقول بعضهم لبعضٍ، وأسروا ذلك فيما بينهم ﴿هل هذا﴾ يعنون: محمدًا ﴿إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر﴾ يعنون: القرآن؛ أي: تصدقون به ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحرٌ.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعًا على معنى: هم الذين ظلموا أنفسهم، وقد يجوز أن يكون المعنى: أعني الذين ظلموا(١).

﴿قل(٢) ربي يعلم القول﴾ السرّ ﴿في السماء والأرض﴾.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام؛ يعنون: القرآن ﴿بل افتراه﴾ يعنون: محمدًا ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أُرسل الأولون﴾ كما جاء موسى وعيسى؛ فيما يزعم محمدٌ.

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠﴾

﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهُمْ يؤمنون﴾ أي: أن القوم إذا كذَّبوا رسلهم، وسألوه الآية فجاءتهم ولمْ يؤمنوا - أهلكهم الله؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم آية؛ أي: لا يؤمنون إن جاءتهم.

---

(١) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من: إعراب القرآن (٢/ ٣٦٦)، مجمع البيان (٤/ ٣٨)، البحر (٦/ ٢٩٦)، الكتاب (١/ ٢٣٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿قال﴾ بألف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ بغير ألف على الأمر. النشر (٢/ ٣٢٣) وإتحاف الفضلاء (٣٩١).

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ قال قتادة: يعني: من آمن من أهل التوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وهم لا يعلمون ﴿وما جعلناهم جسدًا﴾ يعني: النبيِّين ﴿لا يأكلون الطعام﴾ أي: ولكن جعلناهم جسدًا يأكلون الطعام؛ قال هذا لقول المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾(١).

﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا لا يموتون.

قال محمدٌ: قوله: ﴿جسدًا﴾ هو واحدٌ يُنْبِئ عن جماعة(٢)؛ المعنى: وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي أجسادٍ لا تأكل الطعام ولا تموت؛ فنجعله كذلك.

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ كانت الرسل تحذر قومها عذاب اللَّه في الدنيا والآخرة إن لَمْ يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا صدق اللَّه رسله الوعْدَ، فأنزل العذاب على قومهم.

قال: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني: النبي(٣) والمؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين.

﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا﴾ القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ فيه شرفكم - يعني: قريشًا - لمن آمن به ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين .

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ

---

(١) سورة الفرقان: ٧ .
(٢) لسان العرب (جسد).
(٣) في حاشية الأصل: (النبيِّين).

حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

(﴿وكمْ قصمنا﴾ أهلكنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾مشركة)[1] يعني: أهلها ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا.

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا؛ يعني: قبل أن يهلكوا ﴿إذا هم منها﴾ من القرية ﴿يركضون﴾ يفرون، قال اللَّه: ﴿لا تركضوا﴾ لا تفروا. ﴿وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه﴾ أي: إلى دنياكم التي أُترفتم فيها ﴿ومساكنكم لعلكم تُسْألون﴾ من دنياكم شيئًا؛ أي: لا تقدرون على ذلك، ولا يكون ذلك؛ يقال لهم هذا استهزاءً بهمْ.

﴿قالوا يا ويلنا﴾ وهذا حين جاءهم العذاب ﴿إنا كنا ظالمين﴾ قال اللَّه: ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي: فما زال ذلك قولهم؛ يعني: ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾.

﴿حتى جعلناهم حصيدًا خامدين﴾ أي: قد هلكوا وسكنوا.

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي: إنما خلقناهما (ل٢١٤) للبعث والحساب، والجنة والنار ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوًا﴾ قال الحسن: اللَّهو [المرأة][2] بلسان اليمن ﴿لاتَّخذناه من لدنا﴾ أي: من عندنا ﴿إن كنا فاعلين﴾ أي: وما كنا فاعلين وذلك أن المشركين قالوا: إنَّ الملائكة

---

(١) سقط من «ر».

(٢) طمس في الأصل والمثبت من «ر»، وينظر تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٩).

بنات اللَّه ﴿بل نقذف بالحق﴾ بالقرآن ﴿على الباطل﴾ يعني: (الشرك)[1] ﴿فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ ذاهبٌ.

قال محمدٌ: قوله: ﴿فيدمغه﴾ أي: يكسره، وأصل هذا إصابةُ الرأس والدماغ بالضرب، وهو مقتلٌ[2].

﴿ولكم الويل﴾ العذاب ﴿مما تصفون﴾ قال قتادة: لقولهم: إنَّ الملائكة بنات اللَّه.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ يعني: الملائكة. ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ أي: يعيون[3].

---

(١) في «ر»: المشركين.

(٢) يقال: دَمَغَه - من باب قطع -: شَجَّه حتى بلغت الشَّجَّة الدِّماغ، واسمها: الدَّامِغة؛ وهي عاشرة الشِّجَاج. لسان العرب ، مختار الصحاح (دمغ). وفي «ر»: مقتول.

(٣) أي: يتعبون ويملُّون. ينظر لسان العرب (عيي)، وابن كثير (٥/٣٢٩).

﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ أي: يُحْيُون الموتى؛(هذا على الاستفهام؛ أي: أنهم قد اتخذوا آلهة لا يحيون الموتى)[١].

قال محمدٌ: يقال: أنشر اللَّه الموتى فنشروا[٢].

﴿لو كان فيهما﴾ يعني: في السمٰوات والأرض ﴿آلهة إلا اللَّه﴾ غير اللَّه ﴿لفسدتا﴾ لهلكتا ﴿فسبحان اللَّه رب العرش﴾ ينزِّه نَفْسَهُ ﴿عما يصفون﴾ يقولون: ﴿لا يُسْأل عما يفعل﴾ بعباده ﴿وهمْ يُسْألون﴾ والعباد يسألهم اللَّه عن أعمالهم ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا، وهذا[٣] الاستفهام، وأشباهُهُ استفهام على معرفة .

﴿قل هاتوا برهانكم﴾ يعني: حجتكم على ما تقولون: إن اللَّه أمركم أن تتخذوا من دونه آلهة؛ أي: ليست عندهم بذلك حجَّةٌ.

﴿هذا ذكر من معي﴾ قال قتادة: يعني: القرآن ﴿وذكر من قبلي﴾ يعني: أخبار الأمم السالفة وأعمالهم؛ ليس فيها اتخاذ آلهة دون اللَّه ﴿بل أكثرهم﴾ يعني: جماعتهم ﴿لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن الحق.

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا﴾ قال قتادة: قالت اليهود: إن اللَّه صاهر إلى الجن، فكانت من بينهم الملائكة. قال اللَّه: ﴿سبحانه﴾ ينزِّه نفسه عما قالوا ﴿بل عبادٌ مكرمون﴾ يعني: الملائكة هم كرامٌ على اللَّه ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ فيقولون شيئًا لم يقبلوه عن اللَّه ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ تفسير السُّدي: يعني: يعلم ما كان قبل خلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم ﴿ولا

---

(١) سقط من «ر».

(٢) وفي مختار الصحاح(نشر) : أَنْشرهم اللَّه تعالى فَنَشَرُوا هم.

(٣) زاد بعدها في الأصل: على. وهي زيادة مقحمة.

يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ أي: لمن رضي.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه...﴾ الآية، قال قتادة: هذه في إبليس خاصّة لمّا دعا إلى عبادة نفسه، وقال الحسن: ومن يقل ذلك منهم إن قاله، ولا يقوله أحدٌ منهم؛ وكان يقول: إن إبليس لمْ يكن منهم.

﴿أو لمْ ير الذين كفروا أن السمٰوات والأرض كانتا رتقًا﴾ [قال السدي: أو لم يعلم][1] قال الحسن: يعني: مُلتزقتيْن إحداهما على الأخرى ﴿ففتقناهما﴾ يقول: فوضع الأرض، ورفع السماء.

قال محمدٌ: قوله: ﴿كانتا رتقًا﴾ لأن السمٰوات يعبر عنها بالسماء بلفظ الواحد، وكذلك الأرض[2]، ومعنى (رتقًا) أي: شيئًا واحدًا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وتجمع (السماء) على: سَمَوات، وأَسْمِيَة؛ وهي تذكَّر وتؤنَّث. أما الأرض فهي مؤنّثة، وهي اسم جنْس، وكان حق الواحدة منها أن يقال: أَرْضَة، ولكنهم لم يقولوا. وتجمع على: أَرَضات وأَرَضُون، وأَرْضُون، وأُرُوض، وآراضٍ. لسان العرب، مختار الصحاح (أرض، وسمو).

ملتحمًا[1]؛ وهو معنى قول الحسن.

﴿وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي﴾ أي: أن كل شيءٍ حي فإنما خلق من الماء.

﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تحرَّك بهم ﴿وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا﴾ يعني: أعلامًا طرقًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا الطرق ﴿وجعلنا السماء سقفًا﴾ على من تحتها ﴿محفوظًا﴾ يعني: من كل شيطانٍ رجيم. ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ أي: لا يتفكَّرون فيما يرون؛ فيعرفون أنَّ لهم معادًا فيؤمنون .

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلكٍ يسبحون﴾ أي: يَجْرُون، تفسير الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فَلْكة المغزل[2] تدور فيها، ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تَجْرِ.

﴿أفإِيْن متَّ فهم الخالدون﴾ على (ل٢١٥) الاستفهام: أفهم الخالدون؟ أي: لا يخلدون.

﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ يعني: الشدة والرخاء ﴿فتنة﴾ أي: اختبارًا.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ

(١) الرَّتْق: ضد الفَتْق، والرَّتَق مصدر قولك: امرأة رَتْقاء؛ وهي التي لا يُسْتطاع جماعها لارتتاق ذلك الموضع منها. لسان العرب ، مختار الصحاح (رتق) وفي «ر»: شيئًا واحدًا ملتئمًا.

(٢) القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه، وتُثبت الصِّنارة من فوقها، وعود المغزل من تحتها. ينظر المعجم الوسيط (فلك).

ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ يقوله للنبيِّ ﴿إن يتخذونك إلا هزوًا أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي: يعيبها ويشتمها، يقوله بعضهم لبعضٍ. قال اللَّه: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾.

﴿خلق الإنسان من عجلٍ﴾ تفسير مجاهد: خلق عَجُولًا.

قال اللَّه: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي عليه السلام من العذاب استهزاءً منهم وتكذيبًا.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ هذا قول المشركين للنبي؛ متى هذا الذي تعدنا به من أمر القيامة؟! قال اللَّه: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار . . .﴾ الآية (وفيها تقديم؛ أي: أن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفون عن وجوههم النار)[1] ﴿ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ لو يعلم الذين كفروا ﴿بل تأتيهم بغتةً﴾ يعني: القيامة ﴿فتبهتُهُم﴾ أي: تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردَّها ولا هم ينظرون﴾ يؤخَّرون.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا

(١) سقط من «ر».

هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ولقد استهزئ برسلٍ من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي: كذَّبوهم واستهزءوا بهم ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ يعني: العذاب الذي كانوا يكذبون به.

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي: هُمْ من الرحمن؛ في تفسير قتادة؛ كقوله: ﴿يحفظونه من أمر اللَّه﴾[1] أي: هم من أمر اللَّه، وهم ملائكة حَفَظَة لبني آدم ولأعمالهم، وقد مضى تفسيره[2].

﴿أمْ لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا﴾ أي: قد اتخذوا آلهة لا تمنعهم من دوننا.

قال الحسن: يعني: لا تمنعهم من اللَّه إن أراد عذابهم، وكان يقول: إنما تُعذَّب الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأصنام، ولا تُعذَّب الأصنام.

﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ يقول: لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذِّبها ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال الكلبي: يقول: ولا مَنْ عبدها منا يُجَارُون .

﴿بل متعنا هؤلاء﴾ يعني: قريشًا ﴿وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمدٌ عليه السلام ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن: أفلا يرون أن رسول اللَّه كلما بعث إلى أرض ظهر عليها؛ أي: ينقصها بالظهور عليها أرضًا فأرضًا ﴿أفهم الغالبون﴾ أي: ليسوا بالغالبين، ولكن رسول اللَّه هو الغالب .

---

(١) الرعد: ١١ .

(٢) عند تفسير سورة الرعد، الآية: ١١ .

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ بالقرآن، أنذركم به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة - يعني: المشركين ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ يعني: النداء ﴿إذا ما ينذرون﴾ والصم ها هنا: الكفار[1]؛ صموا عن الهدى ﴿ولئن مسَّتْهم نفحةٌ من عذاب ربك﴾ قال قتادة: يعني: عقوبة.

قال يحيى: يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة.

﴿ونضع الموازين القسط﴾ (يعني: العدل)[2] ﴿ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئًا﴾ لا تنقص من ثواب عملها ﴿وإن كان مثقال حبةٍ﴾ أي: وزن حبةٍ ﴿من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ قال الحسن: لا يعلم حساب مثاقيل الذَّر والخردل إلا الله، ولا يحاسب العباد إلا هو.

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ يعني: التوارة ؛ وفُرْقانها أنه فرق فيها حلالها وحرامها .

﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي: يذكر الرجل منهم ذَنْبه في الْخَلاء؛

(١) في «ر» : الكفر.
(٢) سقط من «ر».

فيستغفر الله منه.

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون من شرِّ ذلك اليوم وهم المؤمنون.

﴿وهذا ذكرٌ مباركٌ﴾ يعني: القرآن .

﴿أفأنتم له منكرون﴾ يعني: المشركين على الاستفهام؛ يعني: قد أنكرتموه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ يعني: النبوة ﴿وكنا به عالمين﴾ أنه سيبلغ عن الله الرسالة.

﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني: الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ (ل٢١٦) مقيمون على عبادتها .

﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يعني: المستهزئين .

﴿الذي فطرهُنّ﴾ خلقهن ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أنه ربكم ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم . . .﴾ الآية.

قال قتادة: [نرى][1] أنه قال ذلك حيث لا يسمعون استدعاه قومه إلى عيدٍ لهم؛ فأبى وقال: ﴿إني سقيم﴾ اعتلّ لهم بذلك، ثم قال لما ولَّوا: ﴿تالله لأكيدن أصنامكم. . .﴾ الآية.

(١) في الأصل: يريد. والمثبت من «ر».

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿فجعلهم جذاذًا﴾ أي: قطعًا؛ قطع أيديها وأرجلها، وفقأ أعينها، ونجر وجوهها ﴿إلا كبيرًا لهم﴾ للآلهة؛ يعني: أعظمها في أنفسهم، ثم أوثق الفأس في [يد][1] كبير تلك الأصنام؛ كادَهُمْ بذلك ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ أي: يبصرون فيؤمنون.

فلما رجعوا رأوا ما صُنِع بأصنامهم ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾ أي: يعيبهم ﴿يقال له إبراهيم﴾.

قال محمدٌ: (إبراهيم) رفعٌ بمعنى يقال له: يا إبراهيمُ، أو المعروف به إبراهيم[2].

﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ أنه كسرها، قال قتادة:

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر»..

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى تنظر من: الإملاء (٢/ ١٣٤) البحر (٦/ ٣٢٤)، الهمع (١/ ١٥٧)، الدر المصون (٥/ ٩٦).

كرهوا أن يأخذوه إلا ببينة، فجاءوا به فقالوا: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾.

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ قال قتادة: وهي هذه المكيدة ﴿ثم نُكثوا على رءوسهم﴾ أي: خزايا قد حجَّهم؛ فقالوا: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾.

﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللَّه﴾.

قال محمدٌ: (أفٍّ) معناه: التغليظ في القول والتبرُّم، وقيل: إن أصلها النَّتْنُ؛ فكأنه قال: نتنًا لكُمْ[1].

﴿قالوا حرقوه...﴾ الآية، قال الحسن: فجمعوا الحطب زمانًا، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار.

قال يحيى: بلغني أنهم رمَوْا به في المنجنيق؛ فكان ذلك أول ما صنع المنجنيق.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا﴾ تفسير السدي: سلامة من حر النار، ومن بَرْدها. قال قتادة: إن كعبًا قال: ما انتفع بها يومئذٍ أحدٌ من الناس، وما

---

(١) قال صاحب مختار الصحاح: يقال: أُفًا له، وأُفَّةٍ؛ أي: قَذَرًا له. وفيه ست لغات: أفَّ، أفِّ، أفُّ، أفٍّ، أفًّا، أفٌّ. مختار الصحاح (أفف).

أحرقَتْ منه إلا وَثَاقه(١).

﴿وأرادوا به كيدًا﴾ يعني: حرقهُمْ إياه ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ في النار خسروا أنفسهم وخسروا الجنة ﴿ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركْنا فيها﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿للعالمين﴾ قال السدي: يعني: جميع العالمين ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ قال الحسن: أي: عطيّةً.

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ قال قتادة: أي يُهْتدى بهم في أمر اللَّه.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولوطًا آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ يعني: النبوة ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني: أن أهلها كانوا يعملون الخبائث ﴿إنهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين﴾ مشركين.

﴿ونوحًا إذ نادى من قبل﴾ وهذا حين أُمر بالدعاء على قومه ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله﴾ قال قتادة: نُجِّي مع نوحٍ: امرأته وثلاثة بنين له ونساءُهُمْ؛ وجميعُهم ثمانية ﴿من الكرب العظيم﴾ يعني: الغرق.

قال محمدٌ: (نوحًا) منصوبٌ على معنى: اذكر نوحًا، وكذلك داود وسليمان(٢).

---

(١) هو القَيْد، وفيه لغة أخرى الوِثاق بكسر الواو. لسان العرب، المعجم الوسيط (وثق).
(٢) ينظر: الإملاء (٢/ ١٣٥)، الدر المصون (٥/ ١٠٠)، الكتاب (٢/ ١٧٠).

﴿ونصرناه﴾ يعني: نوحًا ﴿من القوم﴾ يعني: على القوم؛ في تفسير السدي.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ۝٨٢﴾

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشَتْ فيه﴾ أيْ: وقعتْ فيه ﴿غنمُ القوم﴾ النَّفْشُ بالليل[1].

قال الكلبي: إن أصحاب الحرث استعْدَوْا على أصحاب الغنم، فنظر داود ثمن الحرث، فإذا هو قريب من ثمن الغنم، فقضى بالغنم لأهل الحرث فمروا بسليمان فقال: كيف قضى فيكم (نبيُّ اللَّه)[2]؟ فأخبروه، قال لهم: [نعم][3] ما قضى، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما، فدخل أصحاب الغنم على داود؛ فأخبروه فأرْسل إلى سليمان، فقدم عليه لما حدثتني كيف رأيت فيما قضيْتُ؟ قال: تدفع الغنم إلى أهل الحرث، فينتفعون بلبنها وسمنها وأصْوافها عامهم هذا، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم فإذا

(١) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يكون النَّفْش إلا بالليل، والهَمَل يكون ليلًا ونهارًا. وقيل: نفشت الإبل والغنم؛ أي: رعت ليلًا بلا راعٍ. مختار الصحاح (نفش).
(٢) سقط من «ر».
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(بلغ)[١] مِثْلَهُ حين أُفسد قبضوا غنمهم؛ فقال له داود: نِعْم الرأي رأيت[٢].

(ل٢١٧) ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كانت جميع الجبال وجميع الطير تسبح مع داود بالغداة والعشي، ويفقه تسبيحها ﴿وكنا فاعلين﴾ أي: قد فعلنا ذلك.

قال محمدٌ: يجوز نصب (الطير) من جهتيْن: إحداهما على معنى: وسخرنا الطير، والأخرى على معنى: يسبحن مع الطير[٣].

﴿وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم﴾ يعني: دروع الحرب ﴿لتحصنكم من بأسكم﴾ يعني: القتال.

قال قتادة: كانت قبل داود صفائح، وأول من صنع هذه الحلق وسمَّرها[٤]: داود.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿ليحصنكم﴾ بالياء والتاء؛ فمن قرأ بالياء فالمعنى: ليحصنكم اللَّبوس، ومن قرأ بالتاء[٥] فكأنه على الصنعة؛ لأنها أنثى.

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ لا تؤذيه ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ يعني: أرض الشام.

﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملًا دون ذلك﴾ (سوى ذلك)[٦] الغوص، وكانوا يغوصون في البحر فيخرجون له اللؤلؤ، وقال في

---

(١) في «ر»: كان.

(٢) في «ر»: نعم ما قضيت.

(٣) ينظر الدر المصون (٥/ ١٠٢).

(٤) شدُّها بالمسمار وثبَّته بدقة فيها. لسان العرب، المعجم الوسيط (سمر).

(٥) قرأ بالياء: ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبو عمرو، وقرأ بالتاء عاصم وابن عامر. وفيها قراءات أخرى غير هاتين. ينظر: السبعة (٤٣٠)، التيسير (١٥٥)، البحر (٦/ ٣٣٢).

(٦) سقط من «ر».

آية أخرى: ﴿كل بناء وغواص﴾(١).

﴿وكنا لهم حافظين﴾ حفظهم الله عليه ألا يذهبوا ويتركوه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسّني الضُر﴾ المرض ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ قال الحسن: إن أيوب لم يبلغه شيءٌ يقوله الناسُ كان أشدَّ عليه من قولهم: لو كان نبيًا ما ابتُلي بالذي ابتلى به، فدعا اللَّه فقال: اللَّهم إن كنت تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في السر مثلها؛ فاكشف ما بي من ضرٍّ وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب اللَّه له، فوقع ساجدًا، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعُه ﴿[وآتيناه](٢) أهله ومثلهم معهم﴾ هذا مفسّر في سورة «ص»(٣) ﴿رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي: أن الذي كان ممن ابْتُلِيَ به أيُوب لم يكن من هوانه على اللَّه، ولكن اللَّه أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاءً للعابدين(٤) بعده.

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكِفْل﴾ تفسير قتادة: أن ذا الكفل لمْ يكن نبيًا، ولكنه كان عبدًا صالحًا تكفل بعمل رجلٍ صالحٍ عند موته كان يصلي للَّه كل

---

(١) ص: ٣٧ .
(٢) في الأصل و «ر»: ﴿ووهبنا له﴾ وهذا نص آية ص : ٤٣ .
(٣) عند قوله تعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا﴾ ص آية: ٤٣ .
(٤) في «ر»: للعالمين.

يوم مائة صلاة؛ فأحسن اللَّهُ عليه الثناء.

وتفسير مجاهد: أنه تكفَّل لنبي أن يقوم في قومه بعده بالعدل.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ (٨٩) فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠) وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٩١)﴾

﴿وذا النون﴾ يعني: يونس، قال قتادة وغيره: النون: الحوت.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ منصوبٌ على معنى: واذكر(١)، وكذلك قوله: ﴿وذا النون﴾.

﴿إذ ذهب مغاضبًا﴾ [لقومه](٢): ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ قال قتادة: يعني: أن لن نعاقبه بما صنع.

قال محمدٌ: أصل الكلمة: الضيق؛ كقوله: ﴿فقدر عليه رزقه﴾(٣) أي: ضيِّق، ومن هذا قولهم: فلانٌ مقدَّر عليه ومُقتَّر(٤).

---

(١) الدر المصون (٥/ ١٠٤).

(٢) في الأصل: لقوله. والمثبت من «ر».

(٣) الفجر: ١٦ .

(٤) لسان العرب ، مختار الصحاح (قدر).

﴿فنادى في الظلمات﴾ يعني: في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت...﴾ الآية.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن جده سعدٍ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «دعوةُ ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فإنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ ربَّه قط في شيءٍ إلا استجاب له»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ١٧٠) والترمذي (٥/ ٤٩٥ رقم ٣٥٠٥) والنسائي في الكبرى (٦/ ١٦٨ رقم ١٠٤٩٢) وأبو يعلى (٢/ ١١٠ - ١١١ رقم ٧٧٢) والبزار (٤/ ٢٥ رقم ١١٨٦) والطبراني في الدعاء (٥٦ رقم ١٢٤) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٥، ٢/ ٣٨٢ - ٣٨٣) والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٢١ - ٥٢٢ رقم ٦١١) والضياء في المختارة (٣/ ٢٣٣ - ٢٣٥ رقم ١٠٤٠ - ١٠٤٢) وفي العدة للكرب والشدة (٥١ رقم ٢٠) من طريق يونس بن أبي إسحاق به.

وقال الترمذي: وقد روى غير واحدٍ هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد، ولم يذكر فيه عن أبيه، وروى بعضهم عن يونس بن أبي إسحاق فقالوا: عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد، وكان يونس بن أبي إسحاق ربما ذكر في هذا الحديث عن أبيه، وربما لم يذكره.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن محمد بن سعد إلا من رواية إبراهيم بن محمد ابن سعد عن أبيه عن جده. ولا يُروى عن النبي ﷺ إلا من رواية سعد عنه، وقد رُوي عن سعدٍ من وجهين.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه النسائي (٦/ ١٦٨ رقم ١٠٤٩١) والحاكم (١/ ٥٠٥) من طريق عبيد بن محمد عن محمد بن مهاجر عن إبراهيم بن سعد به.

ورواه أبو يعلى (٢/ ٦٥ رقم ٧٠٧) والبزار (٣/ ٣٦٣ - ٣٦٤ رقم ١١٦٣) وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٠٦) والحاكم (٢/ ٥٨٤) من طريق أبي خالد الأحمر، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن مصعب بن سعد عن أبيه بنحوه.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا عن سعد عنه، وقد روي عن سعد من وجه آخر، وهذا الحديث لا نعلمه رواه عن كثير بن زيد إلا أبو خالد الأحمر، ولا روى المطلب عن أبيه - كذا - إلا هذا الحديث.

ورواه الحاكم (١/ ٥٠٥ - ٥٠٦) من طريق أحمد بن عمرو بن بكر السكسكي عن أبيه عن =

وتفسير قصة يونس (مذكور)[١] في سورة الصَّافات[٢] .

﴿وأصلحنا له زوجه﴾ قال قتادة: كانت عاقرًا؛ فجعلها اللَّه وَلُودًا ﴿ووهبنا له﴾ منها ﴿يحيى﴾.

﴿ويدعوننا رغبًا﴾ أي: طمعًا ﴿وَرَهَبًا﴾ أي: خوفًا .

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ جيْبَ درعها عن الفواحش ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ تناول جبريل بأصْبُعِه جيبها فنفخ فيه؛ فسار إلى بطنها فحملت ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني: أنها ولدته من غير رجل.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ قال قتادة: أي: دينكمْ دينًا واحدًا.

= محمد بن يزيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بنحوه.

ورواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٨٢) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بنحوه.

ورواه أبو يعلى في معجمه (٢٦٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٦ رقم ٣٤٣) وابن عدي (٦/ ٢٥٧) والضياء في العدة للكرب والشدة (٤٧ رقم ١٨) من طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن معتمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن سعد عن سعد.

وقال ابن عدي: عمرو بن الحصين مظلم الحديث.

(١) في الأصل: مذكورة.

(٢) الصافات: ١٣٩ - ١٤٨ .

قال محمدٌ: من قرأ ﴿أمتُكم﴾ بالرفع، ونصب (أمةً واحدةً)[١] - فأمتكم رفعٌ خبر (هذه)، ونصب (أُمَّةً) لمجيء النكرة بعد تمام الكلام؛ هذا قول أبي عبيدة[٢].

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: أهل الكتاب؛ أي: فرقوا دينهم الذي أمروا به، يعني: الإسلام [فدخلوا في][٣] غيره.

﴿فلا كفران لسعيه﴾ لعمله ﴿وإنا له كاتبون﴾ نحسب حسناته (ل٢١٨) حتى يُجْزَى بها الجنة.

قال محمدٌ: تقول العرب: غفرانك لاكفرانك؛ المعنى: لا نجحد[٤].

﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها﴾ أي: واجب عليها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ قال الحسن: [المعنى][٥]أنهم لا يتوبون، ولا يرجعون عن كفرهم.

وتقرأ أيضًا ﴿وحِرْم على قرية﴾[٦].

قال محمدٌ: حِرْم وحرامٌ عند أهل اللغة بمعنًى واحدٍ؛ أي: واجبٌ[٧]. قال الشاعر:

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمروفي رواية عنه ؛ فقد قرأ (أمةٌ واحدةٌ) على الرفع. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣١٢)، البحر (٦/ ٣٣٧)، المحتسب (٢/ ٦٥)، تفسير القرطبي (١١/ ٣٣٨ - ٣٣٩).

(٢) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: الدر المصون (٥/ ١٠٧).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) الكُفران والكُفر ضد الشُّكر: جحود النعمة. لسان العرب ، مختار الصحاح (كفر).

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) بكسر الحاء وإسكان الراء، من غير ألف، وهذه قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي ، ينظر السبعة (٤٣١)، النشر (٢/ ٣٢٤)، إتحاف الفضلاء (٣٩٤)، تفسير القرطبي (١١/ ٣٤٠).

(٧) ينظر في ذلك كلام ابن منظور؛ فقد استوفى هذه القراءة، ومعناها اللغوي لسان العرب (حرم)، وينظر حاشية تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٦).

فإن حرامًا لا أرى الدهر باكيًا على شَجوه إلا بكيتُ على عمروِ[١]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٩٩ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾

قوله: ﴿حتى إذا فتحت﴾ أي: أُرسلَتْ ﴿يأجوج ومأجوج وهم من كل حدَبٍ ينسلون﴾ قال قتادة: يعني: من كل أكمة[٢] يخرجون.

قال محمدٌ: النَّسلانُ في اللغة: مقاربَةُ الخَطْوِ مع الإسراع[٣].

﴿واقترب الوَعْدُ الحق﴾ يعني: النفخة الآخرة ﴿فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفروا﴾ إلى إجابة الداعي.

﴿يا ويلنا﴾ يقولون: يا ويلنا ﴿قد كنا في غفلةٍ من هذا﴾ يعنون: تكذيبهم بالساعة ﴿بل كُنَّا ظالمين﴾ لأنفسنا ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللَّه﴾ قال الحسن: يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان؛ لأنهم بعبادتهم الأوثان عابدون للشياطين ﴿حصبُ جهنم﴾ أي: يُرْمَى بهم فيها.

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن جُمانة المحاربي شاعر جاهلي، وهو من بحر الطويل.
وورد في الأصل: (فإن حرامك....إلخ) وهو غير مستقيم الوزن. ينظر لسان العرب (حرم).

(٢) الأكمة: التل، والمراد المكان المرتفع، والجمع: أَكَم وإكام وآكام. المعجم الوسيط (أكم) وفي «ر»: أكنة. والمراد: مَن كل مكان خفي يسترهم.

(٣) وهو أيضًا النَّسل والنَّسْل بمعنى العَدْوِ. لسان العرب ، القاموس المحيط (نسل).

قال محمدٌ: ﴿حصبُ جهنم﴾ ما ألقي فيها؛ تقول: حصَبْتُ فلانًا حَصْبًا بتسكين الصاد؛ أي: رميته، وما رميت فهو حَصَبٌ[١].

﴿أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ (يعني: الشياطين)[٢] ﴿وكل فيها خالدون﴾ العابدون والمعبودون ﴿لهم فيها زفيرٌ﴾ قد مضى تفسير الزفير والشهيق[٣] ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ قال ابن مسعودٍ: إذا بقي في النار من يُخَلَّدُ فيها جُعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار، ثم جعلت التوابيت في توابيت أُخر، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخر؛ فلا يرون أن أحدًا يعذب في النار غيرهم. ثم قرأ ابن مسعودٍ: ﴿لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لا يسمعون﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ يعني: الجنة ﴿أولئك عنها﴾ (يعني: النار)[٤] ﴿مُبْعَدون﴾ قال الكلبي: قام رسولُ اللَّه عليه السلام مقابل باب الكعْبة، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حَصَبُ جهنم﴾ فوجَدَ منها

---

(١) لسان العرب (حصب).
(٢) سقط من «ر».
(٣) في تفسير سورة هود عند الآية: ١٠٦ .
(٤) سقط من «ر».

أهل مكة وَجْدًا شديدًا[1]، فقال ابن الزِّبَعْرَى: يا محمدُ؛ أرأيت الآية التي قرأت آنفًا أفينا وفي آلهتنا خاصة، أمْ في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خَصَمْتُك والكعبة؛ قد عَلِمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفةً من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول اللَّه، وضحكت قريش ولجُّوا؛ فأنزل اللَّه جواب قولهم: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ يعني: عُزَيْرًا وعيسى والملائكة ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ يعني: صوتها إلى قوله: ﴿الفزعُ الأكبر﴾ قال الحسن: يعني: النفخة الآخرة ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبِشَارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول: ﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾.

﴿يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب[2]﴾ قال قتادة: يعني: كطي الصحيفة فيها الكتاب ﴿كما بدأنا أول خلقٍ نعيده﴾ قال الكَلْبي: إذا أراد أن يبعث الموتى، عاد الناس كلهم نُطَفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظَامًا ثم لحمًا، ثم ينفخ فيهم الروح، فكذلك بدأهم.

وقال ابن مسعود: يرسل اللَّه ماءً من تحت العرش منيًّا كمني الرجال فتنبت به جُسْمَانهم ولحمانهم؛ كما تنبت الأرض من الثَّرَى.

---

(١) أي: حُزْنًا شديدًا. لسان العرب (وجد).

(٢) هكذا في الأصل و«ر»: (للكتاب) وهي قراءة: ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون ﴿للكتب﴾ على الجمع.ينظر: السبعة (٤٣١)، النشر (٢/ ٣٢٥)، التيسير (١٥٥)، إتحاف الفضلاء (٣٩٥).

﴿وعدًا علينا﴾ (يعني: البدء)[١] ﴿إنا كنا فاعلين﴾ أي: نحن فاعلون.

قال محمدٌ: (وعدًا) منصوبٌ على المصدر؛ بمعنى: وعدناهم [هذا][٢] وعدًا[٣].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ولقد كتبنا في الزَّبُور﴾ قال مجاهد: يعني: الكتب: التوراة والإنجيل والقرآن ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿أن الأرض﴾ يعني: أرض الجنة ﴿يرثها عبادي الصَّالحون إن في هذا﴾ يعني: القرآن ﴿لبلاغًا﴾ إلى الجنَّة ﴿لقوم عابدين﴾ الذين يصلون [الصلوات الخمس][٤] ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (ل٢١٩) تفسير سعيد بن جبير قال: من آمن باللَّه ورسوله تمت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر باللَّه ورسوله عُوفِي مما عذِّبت به الأمم؛ وله في الآخرة عذابُ النار.

---

(١) سقط من «ر».
(٢) سقط من الأصل.
(٣) وقد سبق الكلام على مثله آنفًا؛ فلا حاجة لتكراره.
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال يحيى: [إلا أن][1] تفسير الناس أن اللّه أخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى، ثم يكون هلاكُهم بعد هذا.

﴿فقل آذنتكم على سواءٍ﴾ قال الحسن: يقول: من كذب بي فهو عندي سواء؛ أيْ: جهادكم كلكم عندي سواء.

قال محمدٌ: ومعنى (آذنتكم): أعلمتكم[2].

﴿وإن أدْري أقريبٌ أمْ بعيدٌ ما توعدون﴾ يعني: الساعة ﴿وإن أدري لعله فتنةٌ لكم﴾ تفسير الحسن يقول: وإن أدْري لعل ما أنتم عليه من السَّعة والرخاء وهو منقطعٌ زائل ﴿فتنة﴾ بليَّة لكُمْ ﴿ومتاعُ﴾ تستمتعون به؛ يعني: المشركين ﴿إلى حينٍ﴾ قال قتادة: يعني: إلى الموت.

قال محمدٌ: ومعنى (وإن أدري): وما أدري[3].

﴿قل[4] رب احكم بالحق﴾ قال الحسن: أمره اللّه أن يدعُوَ أن ينصُرَ أوليَاءه على أعدائه، فنصره اللّه عليهم ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ أي: تكذبُون.

* * *

---

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) وآذَن وتأذَّن بمعنًى مثل أَيقَن وتيقَّن. مختار الصحاح (أذن).

(٣) حيث تأتي (إن) المكسورة المخفَّفة بمعنى (ما) في النفي. انظر مغني اللبيب (١/ ٣٠).

(٤) قرأ حفص ﴿قال﴾ بالألف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر من غير ألف. النشر (٢/ ٣٢٥) وإتحاف الفضلاء (٣٩٥).

تفسير سورة الحجّ

وهي مدنية كلها إلا أربع آيات مكّيات: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي . . .﴾ إلى قوله: ﴿عذاب يومٍ عقيم﴾[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

قوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيم﴾ يعني: النفخة الآخرة ﴿يوم ترونها تذهل﴾ أي: تُعرِضُ ﴿كل مرضعةٍ عما أرضعت. . .﴾ الآية.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: «بينا رسولُ الله في مسيرٍ له قد فرّق بين أصحابه السَّيْرُ؛ إذْ رفع صوته فقال: ﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيمٌ. . .﴾ حتى انتهى إلى قوْله: ﴿ولكنَّ عذاب الله شديدٌ﴾ فلما سمعوا صوت نبيهم اغصوصبوا[2] به. فقال: هل تدرون أي يوم ذاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاكُم يوم يقول الله لآدمَ: يا آدمُ، قُمْ ابْعَثْ بعْث النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنسانًا إلى النار وواحدٌ إلى الجنة. فلما سمعوا ما قال نبيُّهم أُبْلسوا[3] حتى ما يجلى رجل منهم عن واضحة، فلما رأى ذلك في

---

(١) الآيات من (٥٢ إلى ٥٥).

(٢) أي: اجتمعوا وصاروا عصابةً واحدةً. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٤٦).

(٣) أي: أسكتوا وتحيروا. لسان العرب (بلس).

وجوههم، قال: اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالرَّقْمة[١] في ذراع الدابة، أو كالشَّامة[٢] في جنب البعير، وإنكم مع خليقتين[٣] ما كانتا مع شيءٍ قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك - يعني: ومن كفر - من بني إبليس، وتُكْمَلُ العِدَّة من المنافقين»[٤].

(١) الرقمة: هنة ناتئة تشبه الظفر في ذراع الدابة من الداخل. المعجم الوسيط (رقم).
(٢) هي العلامة في البدن يخالف لونها لون سائره. المعجم الوسيط (شيم).
(٣) أي: مخلوقين.
(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١١) وفي تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١/ ٤٠٢ رقم ٧١٠) من طريق عوف عن الحسن بنحوه.
ورواه الإمام أحمد (٤/ ٤٣٢، ٤٣٥) والحميدي (٢/ ٣٦٧ رقم ٨٣١) والطيالسي (١١٢ رقم ٨٣٥) والترمذي (٥/ ٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٣١٦٨، ٣١٦٩) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤١٠ رقم ١١٣٤٠) والطبري في تفسيره (١٧/ ١١١) وفي تهذيب الآثار (١/ ٤٠٠ - ٤٠٢ رقم ٧٠٧، ٧٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ١٤٤ رقم ٣٠٦) والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨ - ٢٩، ٢/ ٢٣٣ - ٢٣٤، ٣٨٥، ٤/ ٥٦٧) من طريق الحسن عن عمران بن حصين بنحوه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رُوي من غير وجهٍ عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.
وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بطوله، والذي عندي أنهما قد تخرجا من ذلك خشية الإرسال، وقد سمع الحسن عن عمران بن حصين، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس.
ورواه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١١) وفي تهذيب الآثار (١/ ٤٠٢ رقم ٧٠٩) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٠) - والطبراني في الكبير (١٨/ ٢١٨ رقم٥٤٦) من طريق العلاء بن زياد العدوي عن عمران بن حصين.
ورواه الطبري (١٧/ ١١١) وفي تهذيب الآثار (٢/ ٣٩٩ رقم ٧٠٦) من طريق قتادة عن صاحب له عن عمران.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣١) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٧) وأبو يعلى (٥/ ٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٣١٢٢) والطبري في تفسيره (١٧/ ١١٢) وابن خزيمة في الأهوال من صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/ ٢٥٤) - وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٠) - وابن حبان (١٦/ ٣٥٢ رقم ٧٣٥٤) والحاكم (١/ ٢٩، ٤/ ٥٦٦ - ٥٦٧) من طريق معمر عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ. =

قال محمدٌ: ومعنى قوْله: ﴿وترى الناس سُكَارى﴾ أي: ترى أنت أيها

= وقال الحاكم: هو صحيح على شرطهما جميعًا، ولم يخرجاه ولا واحد منهما.
وقال في الموضع الثاني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
ثم أسند الحاكم عن محمد بن يحيى الذهلي الإمام قوله: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن أنس، ولكن المحفوظ عندنا حديث قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ٢١٩ رقم ٧٨٢٣): رواه أبو يعلى الموصلي بسند صحيح، وأحمد بن حنبل والحاكم وصححه.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٠) والبزار - كشف الأستار (٤/ ١٨٣ - ١٨٤ رقم ٣٤٩٧) - والطبري في تهذيب الآثار (١/ ٣٩٦ رقم ١٦) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٨) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ.
وقال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.
وقال الطبري: وهذا خبر عندنا صحيح سنده، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح لعلتين:
إحداهما: أنه خبر لا يُعرف له مخرج عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ يصح إلا من هذا الوجه، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب التثبت فيه.
والثانية: أنه من نقل عكرمة عن ابن عباس، وفي نقل عكرمة عندهم نظر يجب التثبت فيه من أجله . اهـ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة، ولم يخرجاه.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٤): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة.
ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٧٨) - من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﷺ.
ورواه الطبري في تهذيب الآثار (١/ ٤٠٤ - ٤٠٥ رقم ٧١٤) عن عمر بن الخطاب ﷺ.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٧٧) لابن مردويه عن أبي موسى ﷺ بنحوه.
وروى البخاري (٦/ ٤٤٠ رقم ٣٣٤٨) ومسلم (١/ ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري ﷺ نحوه مختصرًا.
وروى البخاري (١١/ ٥٣٣ رقم ٦٦٤٢) ومسلم (١/ ٢٠٠ - ٢٠١ رقم ٢٢١) عن ابن مسعود ﷺ نحوه مختصرًا.
وروى البخاري (١١/ ٣٨٥ رقم ٦٥٢٩) عن أبي هريرة ﷺ نحوه مختصرًا أيضًا.
وروى الإمام أحمد (٦/ ٤٤١) عن أبي الدرداء ﷺ نحوه مختصرًا أيضًا.

الإنسان الناس سُكَارى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

﴿ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم﴾ يعني: المشرك يلحدُ في اللَّه، فيجعل معه إلهًا بغير علمٍ أتاه من اللَّه ﴿ويتبع كل شيطانٍ مريد﴾ أي: جريء على المعصية، والشياطين هي التي أمرتهم.

﴿كُتِبَ عليه﴾ أي: قُضى على الشيطان ﴿أنه من تولّاه﴾ اتبعه ﴿فأنه يضله﴾.

قال محمدٌ: (أنه من تولّاه) (أنه) في مَوْضعِ رفْع، (فأنه يضله) عطفٌ عليه، وموضعه رفعٌ أيضًا، وحقيقته أنها مكررة على جهة التوكيد؛ المعنى: كتب عليه أنه من تولاه أضله(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾

﴿يا أيها الناسُ إن كنتم في ريب﴾ أي: في شكٍّ ﴿من البعث فإنا خلقناكم

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٨٩)، مجمع البيان (٤/ ٧٠)، البحر (٦/ ٣٥١).

من ترابٍ﴾ وهذا خلق آدم ﴿ثم من نطفةٍ﴾ يعني: نسل آدم ﴿ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلقة﴾ تفسير مجاهد: هما جميعًا: السقط[1] مخلق وغير مخلق.

قال محمدٌ: ومعنى ﴿مخلَّقة وغير مخلَّقة﴾ أي: من الخلق من تتم مضغتُه بخلق الأعضاء، ومنهم من لا يتم اللَّه خَلْقَهُ.

﴿لنبيِّن لكم﴾ أي: خلقكم ﴿ونقر في الأرحام﴾ أرحام النساء ﴿ما نشاء إلى أجل مسمى﴾ (ل٢٢٠) يعني: منتهى الولادة.

قال محمد: تقرأ بالرفع على القطع[2] [مما قبله][3].

يحيى: عن صاحبٍ له، عن الأعمش عن [أبي وائل][4] عن عبد اللَّه بن مسعودٍ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إن خلق أحدكم يُجْمَع في بطن أمِّه نطفة أربعين يومًا، ثم يكون علقةً أربعين يومًا، ثم يكون مضغة أربعين يومًا، ثم يؤمر الملك - أو قال: يأتي الملك - فيؤمر أن يكتب أربعًا: رزقه وعمله وأثره وشقيًا أو سعيدًا»[5].

---

(١) السّقط - بكسر السين وضمها وفتحها ثلاث لغات - هو ما يسقط من الولد قبل تمامه. لسان العرب (سقط).

(٢) هكذا في الأصل، و«ر» ولعل المراد بالرفع على القطع؛ أي بالرفع على الخبرية، والتقدير: (ما نشاء إلى أجل هو مسمى). ولم أجد هذه القراءة وكل ما قيل في قراء هذا الحرف هو قراءة (مسمى) بالإمالة وقفًا، وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: الغيث للصفاقسي (٣٩٥) وإن كان المراد بالرفع على القطع قراءة نقرُّ، فهي قراءة العامة، والرفع لأنه مستأنف، وليس علة لما قبله فينصب نسقًا على ما تقدم. ينظر الدر المصون (٥/ ١٢٥). واللَّه أعلم.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) لم أجده من هذا الطريق، ورواه البخاري (١١/ ٤٨٦ رقم ٦٥٩٤) ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣) من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ.

﴿ثم نخرجكم طفلًا ثم لتبلغوا أشدكم﴾ يعني: الاحتلام.

﴿ومنكم من يتوفَّى﴾ وفيها إضمارٌ ؛ أي: يُتَوَفَّى من قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر﴾ يعني: الهرم ﴿لكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئًا﴾ أي: يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعلم شيئًا.

قال محمدٌ: (طفلًا) في معنى: أطفال[١]؛ كأن المعنى: يخرج كل واحدٍ منكم طفلًا.

وقوله: (لكي لا) هو بمعنى حتى لا[٢].

﴿وترى الأرض هامدةً﴾ قال قتادة: يعني: (غبراء)[٣] مُتَهَشِّمَةً.

قال محمدٌ: هامدة حقيقتها جافة، ومن ذلك: همودُ النار إذا طُفِئتْ فذهبتْ، وهو معنى قول قتادة.

﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت وربت﴾ وفيها تقديم، وربت للنبات؛ أي: انتفختْ، واهتزّتْ بالنبات؛ إذا أنبتت ﴿وأنبتت من كل زوجٍ﴾ أي: من كل لونٍ ﴿بهيج﴾ أي: حسن.

قال محمدٌ: (بهيج) في معنى باهج؛ تقول العرب: امرأة ذات خلق باهج[٤].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا

---

(١) الطفل: المولود، والجمع أطفال، وقد يكون واحدًا وجمعًا؛ مثل الجُنب. مختار الصحاح (طفل).

(٢) ينظر: الدر المصون (٥/١٢٦ - ١٢٧).

(٣) في «ر»: غير.

(٤) أي: فعيل بمعنى فاعل، ويقال: بهيج ، وبَهِج. لسان العرب (بهج).

رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ذلك بأن اللّه هو الحق وأنه يحيي الموتى. . .﴾ الآية، يقول: إن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى.

﴿ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علمٍ ولا هدًى﴾ أتاه من اللّه ﴿ولا كتابٍ منير﴾ مضيءٍ لعبادة الأوثان ﴿ثاني عطفه﴾ أي: عنقه. تفسير مجاهد: يقول: هو معرضٌ عن اللّه.

قال محمدٌ: (ثاني) منصوبٌ على الحال؛ المعنى: لاويًا عنقَهُ[1]؛ وهذا مما يوصف به المتكبِّر.

﴿له في الدنيا خزيٌ﴾ يعني: القتل، قال الكلبي: نزلت في النَّضر بن الحارث؛ فقتل يوم بدر.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا

---

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/ ٣٩١)، مجمع البيان (٤/ ٧٢)، البحر (٦/ ٣٥٤).

وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

﴿ومن الناس من يعبد اللَّه على حرفٍ﴾ تفسير مجاهد وقتادة: على شكٍّ.

﴿فإن أصابه خيرٌ اطمأن به﴾ أي: رضي ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ أي: ترك ما كان عليه، هو المنافق؛ إن رأى في الإسلام رخاءً وطمأنينة طابتْ نفسه بما يصيب من ذلك الرخاء، وقال: أنا منكم وأنا معكم، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بليَّة لم يصبر على مصيبتها، وانقلب على وجهه كافرًا، وترك ما كان عليه.

﴿يدعو من دون اللَّه ما لا يضره ولا ينفعُه﴾ يعني: الوثن ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾.

﴿يدعو لمن ضرُّه أقرب من نفعه﴾ يعني: الوثن أيضًا؛ يعني: أنه ينفق عليه وهو كَلٌّ عليه ﴿لبئس المولى﴾ يعني: الوثن ﴿ولبئس العشير﴾.

﴿من كان يظن أن لن ينصره اللَّه في الدنيا والآخرة﴾ يعني: المنافق؛ أي: أنه أيس من أن ينصُرَ اللَّهُ محمدًا، لا يصدق بما وعد اللَّه رسوله من نصره في الدنيا والآخرة، ونصره في الآخرة: الجنة ﴿فليمدد بسبب﴾ أي: بحبلٍ ﴿إلى السماء﴾ يقول: فليعلِّق حبلًا من السماء؛ يعني: سقف البيت ثم لْيقطع ليختنق حتى يموت ﴿فلينظر هل يذهبن كيده﴾ أي: فعله ﴿ما يغيظ﴾ أي: أن ذلك لا يذهب غيظه.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن

فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آياتٍ بينات﴾ أي: بيَّن فيه الحلال والحرام.

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ تهودوا ﴿والصابئين﴾ وهم قومٌ يعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور ﴿والنصارى والمجوس﴾ وهم عبدة الشمس والقمر والنيران ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان ﴿إن اللَّه يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه﴾ في الدنيا فيُدخل المؤمنين الجنة، ويُدخل [جميع هؤلاء النار على ما أعدّ لكل قوم.

﴿ألم تر أن اللَّه يسجد له من في السمٰوات ومن في الأرض﴾ يعني: جميع أهل السماء يسجدون وبعض أهل الأرض. كان الحسن لا يعودّ السجود إلا من المسلمين](١) ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ كلها ﴿والجبال﴾ [كلها](١) ﴿والشجر﴾ [كله](١) ﴿والدواب﴾ كلها ثم رجع إلى صفة الإنسان، فاستثنى فيه، فقال ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ من لم يؤمن.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ

(١) طمس في الأصل في آخر اللوحة (٢٢٠) وأول اللوحة (٢٢١) والمثبت من «ر».

ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ تفسير قتادة: اختصم المسلمون وأهل الكتاب؛ فقال أهل الكتاب: نبيُّنا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خيرٌ منكم. وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبيُّنا خاتم النبيين، ونحن أولى بالله منكم، فأفلج[1] الله أهل الإسلام؛ فقال: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثيابٌ من نار...﴾ إلى آخر الآية. وقال: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار...﴾ الآية، وقال: ﴿خصمان﴾: أهل الكتاب خصمٌ، والمؤمنون خصمٌ، ثم قال: (اختصموا)[2] يعني: الجميع.

﴿يُصَبُّ من فوق رءوسهم الحميم﴾ وهو الحار الشديد الحر .

﴿يصهر به﴾ أي: يذاب به ﴿ما في بطونهم والجلود﴾ أي: وتحرق به الجلود ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ من نار ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أُعيدوا فيها﴾ قال الحسن: ترفعهم بلهبها؛ فإذا كانوا في أعلاها قمعتْهم

---

(١) أي: فَضَّلهم وأظهرهم. لسان العرب (فلج).

(٢) ولفظ (الخصم) يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث والجمع؛ لأنه في الأصل: مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه، فيقول: خَصْمان وخُصُوم.
وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/ ١٣٤).

الملائكة بمقامع من حديد من نارٍ فيهْوون فيها سبعين خريفًا.

﴿إن اللَّه يدخل الذين آمنوا...﴾ إلى قوله: ﴿من أساور من ذهبٍ ولؤلؤًا﴾ .

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿لؤلؤًا﴾ بالنصب[١] فالمعنى: ويحلون لؤلؤًا[٢].

﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ هو لا إله إلا اللَّه ﴿وهدوا﴾ أي: في الدنيا ﴿إلى صراط الحميد﴾ وهو اللَّه .

﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل اللَّه والمسجد الحرام﴾ أي: ويصدون عن المسجد الحرام ﴿الذي جعلناه للناس﴾ (قبلةً)[٣] ﴿سواء العاكف فيه﴾ يعني: أهل مكة ﴿والبادي﴾[٤] يعني: من ينتابه من سائر الناس للحج والعمرة؛ يقول: هم سواءٌ في حرمه ومساكنه وحقوقه.

قال محمدٌ: (سواءٌ) القراءة فيه بالرفع؛ على الابتداء[٥].

﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ﴾ أي: بشركٍ، والإلحاد: الميل، المعنى: ومن يرد أن يعبد غير اللَّه فيه.

قال محمدٌ: ﴿بإلحادٍ﴾ الباءُ فيه زائدة[٦].

---

(١) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بالجر. ينظر: السبعة (٤٣٥)، البحر (٦/ ٣٦١)، التيسير (١٥٦)، النشر (٢/ ٣٢٦).

(٢) أي: بالنصب على المفعولية. البحر (٦/ ٣٦١).

(٣) سقط من «ر».

(٤) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وورش، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب. النشر (٢/ ٣٢٧).

(٥) وهي قراءة السبعة إلا حفصًا؛ فقد قرأها ﴿سواءً﴾ بالنصب. ينظر: السبعة (٤٣٥)، التيسير (١٥٧)، النشر (٢/ ٣٢٦)، إتحاف الفضلاء (٣٩٨)، تفسير القرطبي (١٢/ ٣٤).

(٦) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٩٦)، البحر (٦/ ٣٦٢)، مجمع البيان (٤/ ٧٩).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وإذ بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ أي: أعلمناه.

﴿وطهر بيتي﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين﴾ قال قتادة: يعني بالقائمين: أهل مكة ﴿والركع السجود﴾ هم الذين يصلون إليه.

﴿وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالًا﴾ أي: مُشاةً ﴿وعلى كل ضامرٍ﴾ أي: وركبانًا على ضُمَّر[١] من طول السَّفَر ﴿يأتين من كل فجِ عميق﴾ بعيد.

قال محمدٌ: (رجالًا) جمع راجل، مثل صاحب وصحاب[٢]، وقال (يأتين) على معنى جماعة الإبل[٣].

يحيى: عن إبراهيم بن محمدٍ، عن صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس قال: «قام إبراهيم النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ عند البيت؛ فأذَّن في الناس بالحج، فسمع أهل المشرق وأهل المغرب»[٤].

وفي تفسير قتادة: أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن للَّه بيتًا فحجوه.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ

(١) واحدها: ضامر وضامرة؛ وهي الناقة قليلة اللحم الرقيقة. ويجمع أيضًا على: ضوامر. لسان العرب (ضمر).

(٢) والراجل: ضد الفارس، ويُجمع على رَجْل، ورجَّالة ورُجَّال ورِجَال. لسان العرب (رجل).

(٣) ينظر البحر (٦/ ٣٦٤)، البيان (٢/ ١٧٤)، إعراب القرآن (٢/ ٣٩٩).

(٤) روى الطبري (١٧/ ١٤٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه.

بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ يعني: الأجر في الآخرة، والتجارة في الموسم ﴿ويذكروا اسم الله في أيامٍ معلومات﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم النحر.

[﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: إذا نحر وذبح.

قال محمد: وقيل: إن الأيام المعلومات: يوم النحر][١]، ويومان بعده.

﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ قال الحسن: ولا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل، وإن شاء لم يأكل منها وتصدَّق بها.

قال محمدٌ: البائس الذي نالَهُ بؤس، وهو [شديد][١] الفقر يقال: قد بؤس الرجل وبئس إذا صار ذا بؤس؛ أي: شدة[٢].

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ تفسير الحسن: التفث: تقشف الإحرام، وبرميهم

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) يقال: بَؤُس الرجلُ فهو بَئِيس، وبَئِس فهو بائس؛ اشتدت حاجته. لسان العرب (بئس).

الجمرة يوم النحر يحل لهم [كل شيء .

قال محمد: معنى تقشف الإحرام: كل ما لا يجوز للمحرم فعله مثل][1] (ل ٢٢٢) قص الشارب وتقليم الأظفار [ونتف الإبطين، وحلق العانة][2] وغير ذلك مما نهي عنه المحرم من الطيب وغيره .

﴿وليوفوا نذورهم﴾ تفسير مجاهد: ما نذر الإنسان على نفسه من شيءٍ يكونُ في الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ تفسير قتادة: أعتقه اللَّه من الجبابرة؛ كمْ من جبار صار إليه يريد أن يهدمه؛ فحال اللَّه بينه وبينه ﴿ومن يعظم حرمات اللَّه﴾ تفسير مجاهد: الحرمات: مكَّة والحج والعمرة، وما نهى اللَّه عنه من معاصيه كلها ﴿وأُحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ في سورة المائدة وقد مضى تفسيره[3] .

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ يقول: اجتنبوا الأوثان؛ فإنها رجس ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشرك ﴿حنفاء للَّه﴾ أي: مخلصين .

﴿ومن يشرك باللَّه . . .﴾ الآية، قال الحسن: شبه اللَّه أعمال المشركين بالذي يخر من السماء؛ فتخطفه الطير، فلا يصل إلى الأرض ﴿أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ بعيد، فيذهب فلا يوجد له أصلٌ، ولا يرى له أثر. يقول: ليست لأعمال المشركين عند اللَّه قرارٌ لهم به عنده خير في الآخرة.

﴿ذلك ومن يعظم شعائر اللَّه﴾ تفسير مجاهد: يعني: استعظام البُدْن، واستسمانها .

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».
(٢) طمس في الأصل والمثبت من «ر».
(٣) المائدة: ١ .

﴿لكم فيها منافع إلى أجلٍ مسمى﴾ تفسير ابن عباس قال: الأجل المسمى: إلى أن تُقَلَّد وتُشعر ﴿ثم محلها﴾ إذا قلدت وأُشعِرتْ ﴿إلى البيت العتيق﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾

﴿ولكل أُمَّة﴾ (ولكل قومٍ)[1] ﴿جعلنا منسكًا﴾ قال قتادة: يعني: حجًا وذبحًا .

﴿وبشر المخبتين﴾ يعني: الخاشعين.

قال محمدٌ: واشتقاق الكلمة من: الخبْت؛ وهو المكان المنخفض من الأرض[2] .

﴿الذين إذا ذُكر اللَّه وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني: المفروضة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة .

(١) سقط من «ر».
(٢) وقيل: هو المتَّسع من بطون الأرض، ومنه أُخِذ الإخبات، وهو الخشوع. القاموس المحيط (خبت).

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر اللَّه لكم فيها خيرٌ﴾ أي: أَجْر في نحرها، والصدقة منها يتقربون بها إلى اللَّه.

قال محمدٌ: من قرأ (البدن) بالنصب[١] فعلى فعل مضمر؛ المعنى: وجعلنا البدن[٢].

﴿فاذكروا اسم اللَّه عليها صواف﴾ تفسير مجاهد يعني: معقلة قيامًا. وهي في قراءة ابن مسعودٍ (صوافن)[٣].

قال محمدٌ: من قرأ (صوافّ) مشدّدة[٤]؛ فالمعنى: صُفَّتْ قوائمها، والنصب فيها على الحال، ولا تنوَّن؛ لأنها لا تنصرف[٥] ومن قرأ (صوافن) فالصافن: الذي يقوم على ثلاث؛ يقال: صفن الفرس؛ إذا رفعَ إحْدَى رجليه؛ فقام على طرف الحافر، والبعيرُ إذا أرادوا نحره تُعقل إحْدَى يدْيه فهو الصافن والجميع: صوافن[٦]. وقُرِئت (صوافي) بالياء والفتح بغير تنوين[٧]، وتفسيره: خوالصُ[٨]؛ أي: خالصة للَّه لا يشرك باللَّه - جلّ وعزَّ - في

---

(١) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣١٥)، الإعراب للنحاس (٢/ ٤٠٣)، جامع القرطبي (١٢/ ٦٠).

(٢) أي: بالنصب على المفعولية. البحر (٦/ ٣٦٩).

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن عمر وابن عباس وقتادة وغيرهم. ينظر: المحتسب (٢/ ٨١)، البحر (٦/ ٣٦٩)، الإعراب للنحاس (٢/ ٤٠٣).

(٤) وهي قراءة الجمهور.

(٥) ينظر: لسان العرب (صفف)، البحر (٦/ ٣٦٩)، إعراب القرآن (٢/ ٤٠٣)، مجمع البيان (٤/ ٨٦)، والدر المصون (٥/ ١٤٩ - ١٥٠).

(٦) وقيل: هو القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. مختار الصحاح (صفن).

(٧) أي وفتح الياء، وهي قراءة الحسن، وأبي موسى الأشعري ومجاهد، وغيرهم. ينظر: البحر (٦/ ٣٦٩)، المحتسب (٢/ ٨١)، الإملاء (٢/ ٧٩).

(٨) يقال: أصفاه الود: أخلصه له، وصافاه وتصافيا: تخالصا. لسان العرب (صفو).

التّسْمِية على نحرها أحدٌ. وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولمْ يلخصها هذا التلخيص.

قال: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: أسقطت للموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال الحسن: القانِعُ: السَّائل، والمعتر: الذي يتعرَّضُ ويقبل إن أُعْطِي شيئًا.

قال محمدٌ: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ من السؤال، وقَنِع يَقْنَع من الرضا[١] والمعْتَرُّ: الذي يعتريك؛ أي: يُلمُّ لتُعْطِيَهُ ولا يسألُ[٢].

﴿لن ينال اللَّه لحومها ولا دماؤها﴾ يقول: لا يصعد إلى اللَّه لحومها ولا دماؤها، وقد كان المشركون يذبحون لآلهتهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

﴿لكن يناله التقوى منكم﴾ يصْعَدُ إليه؛ يعني: ممَّن آمن.

﴿لتكبروا اللَّه على ما هداكم﴾ السُّنَّةُ إذا ذبح أو نحر أن يقول: بسم اللَّه واللَّه أكبر[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

---

(١) قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: سأل وتذلَّل فهو قانِع وقَنِيعٌ، وقَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَة: رضي بالقسمة فهو قَنِع وقَنُوع. لسان العرب (قنع).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (عرر).

(٣) رواها البخاري (١٠/ ٢٠ رقم ٥٥٥٨) ومسلم (٣/ ١٥٥٦ - ١٥٥٧ رقم ١٩٦٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿إن اللَّه يدافع عن الذين آمنوا﴾ تفسير الحسن: يدافع عنهم، فيعصمهم من الشيطان [في دينهم](١) ﴿إن اللَّه لا يحب كل خوان كفور﴾.

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ قال قتادة: هم (أصحاب نبي اللَّه، أذن لهم بالقتال؛ بعد ما أخرجهم المشركون، وشددوا عليهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال محمد: أذن)(٢) (ل٢٢٣) للذين يقاتلون أن يقاتلوا. وقيل: إنها أول آية نزلت في (الجهاد)(٣).

﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا اللَّه﴾ أي: أنهم أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا اللَّه ﴿ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد﴾ قال قتادة: الصوامِعُ (للصَّابئين)(٤)، والبِيَعُ للنصارى؛ يعني: الكنائس، والصلوات لليهود ومساجد؛ يعني: مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم اللَّه كثيرًا﴾ يعني: المساجد ﴿ولينصرن اللَّه من ينصره﴾ أي: من ينصر دينه. معنى (وصلوات) أي: بيوت صلواتٍ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ يعني: أصحاب النبي ﴿أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاة

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: القتال.

(٤) في «ر»: للنصارى.

وأمروا بالمعروف﴾ بعبادة الله ﴿ونهوا عن المنكر﴾ عن عبادة الأوثان .

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فأمليت للكافرين﴾ أي: لم أهلكهم عند تكذيبهم رسلهم حتى جاء الوقت الذي أردتُ أن أهلكهم فيه ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب حين جاء الوقتُ ﴿فكيف كان نكيري[(١)]﴾ أي: عقابي، أي: كان شديدًا - يحذِّر بذلك المشركين.

﴿فكأين من قرية﴾ أي: فكمْ من قرية ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ يعني: أهلكنا أهلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ سُقُفها، فصار أعلاها أسفلها ﴿وبئر معطّلة﴾ [أي: قد باد أهلها][(٢)] ﴿وقصر مشيد﴾ قال الكلبي: أي: حصين.

قال محمدٌ: يقال: هو ما بُنِي بالشِّيد، وهو الجص[(٣)]. وقيل: معنى (مشيد) مَطُول[(٤)] ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ يعني: المشركين ﴿فتكون لهم

---

(١) أثبت الياء في الوصل ورش، وأثبتها يعقوب وصلًا ووقفًا، وقرأ الباقون بغير ياء. النشر (٢/ ٣٢٧).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) وقيل: الشِّيدُ: هو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط. مختار الصحاح (شيد).

(٤) قيل: المَشِيد - بالتخفيف -: المعمول بالشِّيد، والمُشَيَّد - بالتثقيل -: المُطوَّل . وقال الكسائي: المَشِيد للواحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وقصر مشيد﴾، والمُشَيَّد للجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿في بروج مشيَّدة﴾ لسان العرب ، مختار الصحاح (شيد).

قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها﴾ أي: لو صاروا فتفكروا فحذروا ما نزل بإخوانهم من الكفار، فيتوبون لو كانت لهم قلوبٌ يعقلون بها ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ أي: إنما أُوتُوا من قِبَل قلوبهم.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وذلك منهم تكذيبٌ واستهزاءٌ بأنه لا يكون ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ تفسير الحسن: يعني: هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة.

﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يومٌ من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي: كذبوا ﴿معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يُعْجزوننا فيسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم؛ هذا تفسير الحسن. وتفسير مجاهد: (معاجزين): مثبطين للناس عن الإيمان.

قال محمدٌ: لم يبيِّنْ يحيى قراءة مجاهد، والقراءة على تفسيره: (معجِّزين) مثقَّلة[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السبعة (٤٣٩) النشر (٢/ ٣٢٧)، التيسير (١٥٨)، إتحاف الفضلاء (٤٠٠).

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنَّى﴾ أي: تلا؛ في تفسير قتادة. قال قتادة: بينا رسول اللَّه يصلي عند المقام إذ نعس، فألْقى الشيطان على لسانه كلمةً؛ فتكلم بها فتعلّقها المشركون عليه؛ فإنه قرأ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ فألقى الشيطان على لسانه ونعس: (فإن شفاعتها هي المُرْتجى وإنها لمن الغرانيق العلى) فحفظها المشركون، وأخبرهم الشيطان أن نبيَّ اللَّه قد قرأها فزلَّتْ ألسنتهم بها، وأنزل اللَّه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى . . .﴾ الآية[١].

قال محمدٌ: قيل: إن (تمنى) بمعنى تلا[٢] وأنشد [بعضهم][٣]:

---

(١) قصة الغرانيق قصة مشهورة وفيها نكارة ظاهرة، وقد أنكرها كثير من أهل العلم، وقد توسع في تفسير هذه الآية الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٥/ ٧٢٧ - ٧٣٥) توسعًا حميدًا فراجعه فإنه نفيس، وللشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ «نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق».

(٢) وبمعنى (قرأ). لسان العرب (منى).

(٣) سقط من الأصل.

تَمنَّى كتاب اللَّه آخِرَ ليلةٍ   تمنِّي داود الزَّبور على رِسْلِ[(١)]

قوله: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ يعني: المشركين ﴿وإن الظالمين﴾ المشركين ﴿لفى شقاقٍ﴾ أي: فراق ﴿بعيد﴾ عن الحق ﴿وليعلم الذي أوتوا العلم﴾ يعني: المؤمنين.

﴿أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾ أي: يصدقوا به قوله: ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي: تخشع ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ [أي: شك؛ يعني: من القرآن][(٢)] ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ [يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين][(٣)] (ل٢٢٤) بدين أبي جهل و[أصحابه][(٣)] ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أي: عذاب يوم بدر.

قال محمدٌ: [أصل العقم][(٤)] في الولادة؛ يقال: امرأة عقيم، ورجل عقيم إذا كان لا يولد له، وريحٌ عقيم التي لا تأتي [بسحاب فتمطر][(٥)].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

﴿والذين هاجروا في سبيل اللَّه ثم قتلوا﴾ في سبيل اللَّه بعد الهجرة [﴿أو

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو غير منسوب لأحد في اللسان (منى)، وينظر: شواهد القرطبي (٦/٢)، وشواهد الزمخشري (٤/ ٩٩) منسوبًا إلى حسان بن ثابت، ولم أجده في ديوانه.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) في الأصل: أصل العقيم. والمثبت من «ر».
(٥) طمس في الأصل، وفي لسان العرب (عقم): ريح عقيم التي لا تأتي بمطر.

ماتوا﴾ على قروحهم بعد الهجرة][1] ﴿ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عُوقب به ثم بُغي عليه﴾ يعني: مشركي العرب أنهم عوقبوا؛ فقتلهم الله بجحودهم النبي وظلمهم إياه وأصحابه وبغيهم عليهم ﴿لينصرنه الله﴾ النصر في الدنيا: الظهور[2] على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة.

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) في «ر»: الظَّفر.

﴿ذلك بأن اللَّه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ألم تر أن اللَّه أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة﴾ أي: بالنَّبات إذا أنبتت، وليس يعني من ليلتها ﴿وإن اللَّه لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب على خلقه أن يحمدوه ﴿ويمسك السماء أن تقع﴾ يعني: لئلا تقع ﴿وهو الذي أحياكم﴾ من النطف ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث ﴿لكل أمةٍ جعلنا منسكًا﴾ أي: حجًّا وذبحًا ﴿هم ناسكوه فلا ينازعنّك في الأمر﴾ أي: لا يحولنك المشركون عن هذا الذي أنت عليه يقوله للنبي عليه السلام .

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿اللَّه يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿إن ذلك على اللَّه يسير﴾ أي: هيّنٌ حين كتبه ﴿ويعبدون من دون اللَّه ما لم ينزل به سلطانًا﴾ يعني: حجة لعبادتهم ﴿وما ليس لهم به علمٌ﴾ أن الأوثان خلقت مع اللَّه شيئًا، ولا رزقت شيئًا ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم

آياتنا﴾ أي: يكادون يقتلون أنبياءهم ﴿قل أفأنبئكم بشرٍّ من ذلكم﴾ بشرٍّ من قتل أنبيائهم ﴿النار﴾ هي شرٌّ مما صنعوا[1](بأنبيائهم؛ يعني: من قتلهم إياهُمْ.

قال محمدٌ: من قرأ (النار) بالرفع[2]، فعلى معنى: هي النارُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يا أيها الناسُ ضربَ مثلٌ﴾ أي: وُصِفَ ﴿فاستمعوا له﴾ يعني: المشركين ﴿إن الذين تدعون من دون اللَّه﴾ يعني: الأوثان ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه﴾.

إن الذباب يقع على تلك الأوثان فينقر أعينها ووجوهها فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها.

وسمعتُ بعضهم يقول: إنهم كانوا يطلونها بخلوق[3]. قال اللَّه: ﴿ضعف الطالب﴾ يعني: الوثن ﴿والمطلوب﴾ يعني: الذباب ﴿ما قدروا اللَّه حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمته؛ بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها

---

(١) من هنا بدأ سقط من نسخة «ر» حتى الآية: ٢ من سورة المؤمنون.
(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر البحر (٦/ ٣٨٩) القرطبي (١٢/ ٩٦).
(٣) الخَلُوق: ضَرْب من الطِّب. لسان العرب (خلق).

الذباب الضَّعيف لمْ تستطع أن تمتنع منه ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا إذا كانوا في الآخرة .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وجاهدوا في اللَّه حقَّ جهاده﴾ هي مثل قوله: ﴿اتقوا اللَّه حق تقاته﴾[١] وهما منسوختان؛ نسختهما الآية التي في التغابُن ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾[٢].

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من ضيق.

﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾ يقول اللَّه: سمَّاكم المسلمين من قبل؛ أي: من قبل هذا القرآن في الكتب كلها وفي الذكر، ﴿وفي هذا﴾ القرآن.

قال محمدٌ: (ملة أبيكم) المعنى: اتبعوا ملَّة أبيكم[٣].

﴿ليكون الرسول شهيدًا عليكم﴾ بأنه قد بلغ ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾

---

(١) آل عمران: ١٠٢ .

(٢) التغابن: ١٦ . وذهب قوم إلى أن الآية محكمة غير منسوخة. انظر تفسير القرطبي (١٢/ ٩٩) ونواسخ القرآن (٤٦٦ - ٤٦٧).

(٣) أي: بالنصب على المفعولية. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٤١١ - ٤١٢)، مجمع البيان (٤/ ٩٦)، البحر (٦/ ٣٩١)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٣١).

بأن الرسل قد بلَّغت قومها.

﴿واعتصموا بالله﴾ أي: بدين الله ﴿هو مولاكم﴾ وليُّكم ﴿فنعم المولى﴾ الولي ﴿ونعم النصير﴾ وعدهم النصر على أعدائهم من المشركين.

* * *

تفسير سورة المؤمنين
وهي مكيَّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾

(ل ٢٢٥) قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ يعني: بالله [...][١] عن سعيد، عن قتادة: قال: ذُكِرَ لنا أن كعبًا قال: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»[٢].

قوله: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

---

(١) طمس في الأصل.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٤٣)- ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٨/ ١) - عن معمر عن قتادة عن كعب.

وقد روي مرفوعًا، وقد أشرت إلى بعض طرقه في تخريج أحاديث تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/ ٢١٤ ، ٣/ ٤٦٥).

يحيى: عن خداش، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين قال)[١]: «كانوا يلتفتون في صلاتهم حتى نزلت هذه الآية، فغضوا أبصارهم، فكان أحدهم ينظر إلى موضع سجوده»[٢].

---

(١) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة «ر»، والذي بدأ من الآية (٧٢) من سورة الحج.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢) من طريق الحجاج الصواف عن ابن سيرين بنحوه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
ورواه أبو داود في المراسيل (٩٦رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (١٨/ ٢) والبيهقي في السنن (٢/ ٢٨٣) من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة نظر هكذا وهكذا، فلما نزلت: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ نظر هكذا - ببصره نحو الأرض».
قال البيهقي: وروى ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس عن ابن عون عن ابن سيرين موصولا. والصحيح هو المرسل.
ثم رواه البيهقي موصولا من هذا الطريق.
ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢) وسعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٢/ ٢٨٣) - من طريق إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد «نبئت أن رسول الله . . . » بنحوه.
وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ مرسل، وقد روي عن إسماعيل بن إبراهيم - هو ابن علية - موصولا، ورواه حماد بن زيد عن أيوب مرسلا، وهذا هو المحفوظ.
ورواه من هذا الطريق موصولا: الحاكم (٢/ ٣٩٣) والبيهقي (٢/ ٢٨٣) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٣١).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد؛ فقد قيل عنه مرسلاً، ولم يخرجاه.
ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢) من طريق خالد عن ابن سيرين مرسلا نحوه.
ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٢٤٠ رقم ٤٠٨٢) من طريق حبرة الإسكندراني، عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلا جرير، ولا عن جرير إلا ابن وهب، تفرد به حبرة.
قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٤/ ٣٣٨): خرجه الطبراني من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة، والمرسل أصح.
ومال ابن التركماني في الجوهر النقي (٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤) لتصحيح الموصول.

﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ اللغو: الباطل ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ يعني: يؤدون الزكاة المفروضة ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ من الزنا.

﴿إلا على أزواجهم﴾ يتزوَّج أربعًا - إن شاء - ولا يحل له ما فوق ذلك ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يطأ بملك يمينه كمْ شاء ﴿فإنهم غيرُ ملومين﴾ أي: لا لَوْم عليهم فيما أحل لهم ﴿فمنْ ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يعني: الزناة؛ يتعدَّوْن الحلال إلى الحرام ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ يقول: يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد ﴿والذين همْ على صلواتهم﴾ [يعني: الصلوات الخمس](١) ﴿يحافظون﴾ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿أولئك هم الوارثون﴾ ليس من أحدٍ إلا وقد أعدّ اللَّه له منزلًا وأهْلًا في الجنة؛ فإن أطاع اللَّه صار إلى ما أعدَّ اللَّه له، وإن عصى اللَّه صرف اللَّه ذلك المنزل عنه؛ فأعطاه المؤمن مع ما أعدّ اللَّه للمؤمنين، فورَّث المؤمنين تلك المنازل والأزواج ﴿الذين يرثون الفردوس﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة قال: الفردوس جبل في الجنة تتفجَّرُ منه أنهار الجنّة .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طينٍ﴾ خلق اللَّه آدم من طين (ثم جعل نَسْلَه بعدُ من سلالةٍ من ماءٍ مهين؛ يعني: النطفة)[1] ﴿ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ يعني: الرحم ﴿ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغة﴾ يكون في بطن أمه نطفةً أربعين ليلة، ثم يكون علقة أربعين ليلة، ثم يكون مضغة أربعين ليلة ﴿فخلقنا المضغة عظامًا﴾ يعني: جماعة العظام.

قال محمدٌ: (علقة) واحدةُ: العلق؛ وهو الدم[2]، و(المضغة): اللحمة الصغيرة سميت بذلك؛ لأنها بقدر ما يمضغ[3].

﴿ثم أنشأناه خلقًا آخر﴾ يعني: ذكرًا أو أنثى؛ في تفسير الحسن ﴿فتبارك اللَّه﴾ هو من باب البركة ﴿أحسن الخالقين﴾ إن العباد قد يخلقون، ويُشبهون بخلق اللَّه، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح.

يحيى: عن الربيع بن صُبَيْحٍ[4]، عن الحسن قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «المصوِّرون يعذَّبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتُمْ» من حديث يحيى بن محمدٍ.

يحيى: عن أبي أُميّة بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه: «قال اللَّه: من أظلم ممن يخلق كخلْقي[5]، فليخْلقوا

---

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: الدم الغليظ. لسان العرب (علق).

(٣) لسان العرب (مضغ).

(٤) كذا في الأصل مقيدًا بضم الصاد، وتكرر كذلك في مواضع، وجاء في «ر» في مواضع مقيدًا بفتح الصاد وقد ضبطه عبد الغني بالفتح. انظر حاشية الإكمال (٥/ ١٦٦).

(٥) في «ر»: فمن ادعى بخلق كخلقي.

ذُبابًا أو ذرّةً أو بعوضةً»[(١)].

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ تفسير مجاهد: يعني: سبعَ سمٰوات بعضها فوق بعضٍ.

قال محمدٌ: (طرائق) جمع: طريقة؛ يقال: طارقت الشيء؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض، ومنه قولهم. ريشٌ طراقٌ[(٢)].

﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يعني: أن ننزل عليهم ما يحييهم، وما يصلحهم من هذا المطر؛ في تفسير الحسن .

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ﴾ تفسير الكلبي: يعني: الأنهار والعيون والآبار. ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي: أنبتنا ﴿جناتٍ من نخيل. . .﴾ الآية ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ و[هي الزيتونة][(٣)]، والطور [الجبل][(٣)] و﴿شجرة﴾ معطوف (ل٢٢٦) على قوله: ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٣٩٨ رقم ٥٩٥٣) ومسلم (٣/ ١٦٧١ رقم ٢١١١) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة بنحوه.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٩، ٤٥١، ٥٢٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه.
وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة، والله أعلم.

(٢) لسان العرب ، القاموس المحيط (طرق).

(٣) طمس بالأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ينظر: مجمع البيان (٤/ ١٠٢)، البحر (٦/ ٤٠١)، البيان (٢/ ١٨٢).

قوله: ﴿تنبتُ بالدهن﴾ قال مجاهد: يعني: تثمر به.

قال محمد: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنًى واحد[1].

﴿وصبغ للآكلين﴾ أي: يأتدمون به ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ (لحجة)[2] ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ يعني: اللَّبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ يعني: ما ينتفع به من ظهورها وغير ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي: بالرسالة.

﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ أنّ رجلًا ادَّعى النبوة ﴿إن هو إلا رجل به جنةٌ﴾ أي: جُنُونٌ ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: حتى يموت؛ في تفسير بعضهم.

﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ قد مضى

(١) لسان العرب (نبت).

(٢) في «ر»: يعني لآية.

تفسيره في سورة هود(١).

﴿وأهلك﴾ أي: واحمل فيها أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ يعني: الغضب ﴿ولا تخاطبني﴾ أي: لا تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أشركوا.

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقل رب أنزلني منزلًا مباركًا﴾ قال هذا لنوحٍ حين نزل من السفينة.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿مُنْزَلًا﴾ و﴿مَنزِلًا﴾(٢)؛ فالمَنزِل: اسمٌ لما نَزَلْت فيه(٣)، والمُنْزَلُ: المصدرُ؛ بمعنى الإنزال(٤).

﴿إن في ذلك﴾ في أمر قوم نوحٍ وغرقهم ﴿لآيات﴾ لمن بعدهم.

﴿وإن كنا لمبتلين﴾ يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته، ومعنى الابتلاء: الاختبار.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى

---

(١) عنـد تفسير قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ هود: ٤٠.

(٢) قرأ السبعة إلا أبا بكر عن عاصم (مُنزلًا) بضم الميم، وقرأ أبو بكر عن عاصم (مَنزلا) بفتحها. ينظر: السبعة (٤٤٥)، التيسير (١٥٩)، البحر (٦/ ٤٠٢).

(٣) أي: اسم مكان من الفعل (نزل) ينظر: الدر المصون (٥/ ١٨٠ - ١٨١)، لسان العرب (نزل).

(٤) أي: مصدر ميمي. ينظر: الدر المصون (٥/ ١٨٠ - ١٨١).

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ يقول: وسَّعْنا عليهم في الرزق ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾ تباعد البعث في أنفس القوم.

قال محمدٌ: من كلام العرب: هيهات لما قلت؛ يعنون: بُعْدًا لقولك، ويقال: أيهات؛ بمعنى: هيهات(١).

﴿عما قليل ليُصبحُنَّ نادمين﴾ يعني: عن قليل والميم صِلةٌ، في تفسير السدي.

قال محمدٌ: هي صلة زائدة؛ بمعنى التوكيد.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ يعني: العذاب؛ في تفسير الحسن ﴿فجعلناهم غُثاءً﴾ يعني: مثل النبات إذا تهشَّم بعد إذ كان أخضر.

قال محمدٌ: الغُثَاء في اللغة: هو ما علا السَّيْل من ورق الشجر(٢).

المعنى: جعلناهم هَلْكى كالغثاء؛ لأن الغثاء يتفرَّقُ ويذهبُ.

---

(١) وهي مبنيَّةٌ على الفتح دائمًا، والبعض يكسرونها على كل حال. ينظر لسان العرب (هيه)، مختار الصحاح (أيه، هيه).

(٢) ويقال فيه أيضًا: الغُثَّاء - بالتشديد. ينظر لسان العرب (غثو).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ما تسبق من أمةٍ أجلها﴾ يعني: الوقت الذي يهلكها فيه ﴿وما يستأخرون﴾ عن الوقت ساعة، ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ قال قتادة: يعني: تباعًا؛ بعضهم على إثر بعضٍ.

قال محمدٌ: وهو من التواتر، وقيل: الأصل في تترى: وَتْرَى؛ فقلبت الواو تاءً؛ كما قلبوها في التخمة والتكلان[(١)].

﴿كل ما جاء أمة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضَهم بعضًا﴾ يعني: العذاب الذي أهلكناهم[(٢)] به أُمّة بعد أُمّةٍ ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدَهُمْ.

﴿وكانوا قومًا عالين﴾ أي: مستكبرين في الأرض على الناس ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلِنا وقومهما لنا عابدون﴾ وكانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، ووضعوا عليهم الجزية، وليس يعني: أنهم يعبدوننا .

---

(١) و(تترى) فيها لغتان: تُنوّن، ولا تُنوّن، فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنث، وهو أجود. ومن نونها جعل ألفها ملحقة. ينظر: لسان العرب (وتر)، (وخم - وكل)، البحر (٦/ ٤٠٧)، إعراب القرآن (٢/ ٤١٩).

(٢) في الأصل: جاءهم. والمثبت من «ر».

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ عبرةً خُلِقَ لا والدَ له ﴿وآويناهما إلى ربوةٍ﴾ قال قتادة: الرَّبْوَة ها هنا: بيت المقدس. قال يحيى: ذكر لنا أن كعْبًا كان يقول: هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا.

قال محمدٌ: كل ما ارتفع وزاد فقد رَبَا(١).

﴿ذات قرارٍ﴾ قال ابن المسيب: ذات جِنَان(٢) ﴿ومعينٍ﴾ قال عكرمة: المعين: الظَّاهر.

قال محمدٌ: هو على هذا التفسير مفعولٌ من العيْن، والأصل فيه: مَعْيُون(٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله: ﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [يعني: الحلال من الرزق](٤) ﴿واعملوا صالحًا...﴾ الآية.

قال محمد: خاطب [بهذا النبيّ، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد

---

(١) وتُسَمَّى أيضًا: الرَّابية، والرَّباوة، أما الربوة فهي بضم الراء وفتحها وكسرها. مختار الصحاح (ربو).

(٢) بكسر الجيم، وواحدها: جَنَّة، أما الجَنان بفتح الجيم فهو الفؤاد. ينظر لسان العرب (جنن). وفي «ر»: ذات منازل.

(٣) يقال: حفر حتى عان، من باب باع؛ أي: بلغ العيون، والماء معين، ومعيون، وأعينت الماء: مثله. لسان العرب، مختار الصحاح (عين).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

خطاب الجميع، وتضمن (ل٢٢٧) هذا][1] الخطابُ إلى الرسل جميعًا؛ كذا أُمِروا.

﴿وإن هذه أمتكم أمةً واحدة﴾ أي: ملَّةً واحدة؛ يعني: الإسلام.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿وأنَّ هذه﴾ بفتح الألف فالمعنى: لأن هذه أمتكم[2].

﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: دينهم الذي أمر اللَّه به ﴿زبرًا﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿زُبرًا﴾ بفتح الباء ورفعها؛ فمن قرأها بالفتح[3] فالمعنى: قطعًا، ومن قرأها بالرفع[4] فالمعنى: كُتبًا، يقول: فرقوا كتاب اللَّه فحرَّفوه وبدَّلوه، وكتبوه على ما حرَّفوا ﴿كل حزبٍ﴾ أي: قومٍ منهم ﴿بما لديهم﴾ بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿فرحون﴾ أي: راضون ﴿فذَرهم في غمرتهم﴾ أي: غفلتهم ﴿حتى حين﴾ يعني: إلى آجالهم. وهي منسوخة بالقتال.

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مالٍ﴾ أي: نعطيهم من مالٍ ﴿وبنين نسارع لهم في الخيرات﴾ أي: ليس لذلك نمدهم بالمال والبنين ﴿بل لا يشعرون﴾ أنا لا نعطيهم ذلك مُسَارعَةً لهم في الخيرات، وأنهم يصيرون إلى النار؛ يعني: المشركين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قرأ بفتح الهمزة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بكسرها، وخفف ابن عامر وحده النون، فقرأ (أن) وشددها الباقون. ينظر السبعة (٤٤٦)، التيسير (١٥٩).

(٣) وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو، في رواية عنه. ينظر: الحجة (٢٥٧)، جامع القرطبي (١٢/ ١٣٠)، الإملاء (٢/ ٨٢).

(٤) وهي قراءة الباقين. ينظر المراجع السابقة.

وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ ممدودة[1] ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي: خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ تفسير الحسن قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر، ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم.

قال محمدٌ: ومعنى أنهم إلى ربهم راجعون: أنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى ربهم.

﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ قال الحسن: يعني: فيما افترض اللَّه عليهم ﴿وهم لها سابقون﴾ أي: وهم بالخيرات سابقون.

﴿ولا نكلف نفسًا إلا وسعها﴾ إلا طاقتها ﴿ولدينا﴾ عندنا ﴿كتابٌ ينطق بالحق﴾ يريد: الكتاب الأوّل.

﴿بل قلوبهم في غمرةٍ من هذا﴾ قال قتادة: يعني: في غفلةٍ مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ يقول: لهم

(١) وهي قراءة الجمهور. وقُرئت (أَتَوْا) بالقصر، ورُوِيَ ذلك عن: عائشة، وابن عباس، وقتادة؛ وغيرهم.
ينظر البحر (٦/ ٤١٠)، المحتسب (٢/ ٩٥)، القرطبي (١٢/ ١٣٢).

أعمال لم يعملوها سيعملونها.

قال محمدٌ: المعنى على هذا التفسير: أن اللَّه أعلم أنّهم سيعملون أعمالًا تُبْعِدُ من اللَّه غير الأعمال التي ذُكِروا بها.

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ يعني: أبا جهلٍ وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر ﴿إذا هم يجأرون﴾ قال الحسن: يصرخون إلى اللَّهِ بالتَّوْبة فلا تُقبل منهم.

﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي: تستأخرون عن الإيمان باللَّه ﴿مستكبرين به﴾ أي: بالحرم ﴿سامرًا تهجرون﴾ أي: تتكلمون بهجر القول[1] ومنكره.

قال قتادة: يعني بهذا: أهل مكة؛ كان سامرهم لا يخاف شيئًا؛ كانوا يقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نُقْرب - لما أعطاهم اللَّه من الأمن، وهم مع ذلك يتكلمون بالشرك والبهتان.

والقراءة على تفسير قتادة: بضم التاء وكسر الجيم[2]. وكان الحسن يقرؤها: (تَهْجُرون) بنصب التاء ورفع الجيم[3]؛ وتأويلها: الصَّدُّ والهُجْران. يقول: قد بلغ من أمانكم أن سامركم [يسْمُر][4] بالبطحاء؛ يعني: سمر الليل، والعرب يقتل بعضها بعضًا، ويَسْبي بعضها بعضًا، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي.

قال محمدٌ: يقال: هذا سامر الحي؛ يراد المتحدثون منهم ليلًا[5].

(١) الهُجْر من القول: الفاحش الرديء. لسان العرب (هجر).
(٢) وهي قراءة نافع. ينظر: البحر (٦/ ٤١٣)، السبعة (٤٤٦)، النشر (٢/ ٣٢٩).
(٣) وهي قراءة الباقين. ينظر المراجع السابقة.
(٤) في الأصل: يسمرنا. ولعله انتقال نَظَرٍ بما بعده، والمثبت من «ر».
(٥) مأخوذ من السَّمَر والمُسَامرة. ويُطلق السَّامر على الواحد والجماعة. لسان العرب (سمر).

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤)﴾

﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني: القرآن ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أي: لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ يعني: محمدًا ﴿فهم له منكرون﴾ بل يعرفون وجهه ونسبه ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ يعني: جماعة من لم يؤمن منهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ يعني: أهواء المشركين ﴿لفسدت السمٰوات والأرض﴾ تفسير الحسن يقول: لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على إهلاك السمٰوات والأرض ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بشرفهم؛ هو شرف لمن آمن به ﴿فهم عن ذكرهم﴾ [عن شرفهم][1] ﴿معرضون﴾.

﴿أم تسألهم خرجًا﴾ [أي: أجرًا على ما جئتهم به، لأنك لا تسألهم أجرًا ﴿فخراج ربك﴾][1] (ل٢٢٨) يعني: ثوابهم في الآخرة خير من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجرًا ﴿وهو خير الرازقين﴾ وقد يجعل الله رزق العباد بعضهم من بعض يُرْزق هذا على يدي هذا يرزق الله إياهم ﴿وهو خير الرازقين﴾ يعني: أفضلهم.

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ أي: تاركون له .

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٌ﴾ نزلت في أهل مكّة؛ وذلك حين أُخِذوا بالجوع سبع سنين؛ حتى أكلوا الميتة والعظام وأجهدُوا؛ حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخانًا، وهو قوله: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾(١) نزلت هذه الآية قبل أن يؤخذوا بالجوع، ثم أُخذوا به، فقال اللَّه (وهم في ذلك الجوع: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضُرٍّ للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يتردَّدون ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعني: ذلك الجوع في السَّبع السنين)(٢) ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرّعون﴾ يقول: لم يؤمنوا، وقد سألوا أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا، فقالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾(٣) وهو ذلك الجوع ﴿إنا مؤمنون﴾(٣) فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذابٍ شديدٍ﴾ يعني: يوم بدرٍ قُتلوا بالسَّيف ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ يئسوا من كل خير.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

---

(١) الدخان: ١٠ .
(٢) تقديم وتأخير في «ر».
(٣) الدخان: ١٢ .

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ أي: خلق .

﴿قليلًا ما تشكرون﴾ أقلُّكم من يشكر؛ أي: يؤمن .

﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، يذكرهم نعمته عليهم - يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ويحيي ويمت، وله اختلاف الليل والنهار قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ ثم أخبر بذلك القول؛ فقال: ﴿قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كَذِبُ الأولين وباطلهم؛ فأمر اللَّه نبيَّه أن يقول لهم: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ وقال: ﴿سيقولون لِلَّه﴾ أي: فإذا قالوا ذلك فـ﴿قل أفلا تذكرون﴾ فتؤمنوا، وأنتم تقرون أن الأرض ومن فيها للَّه ﴿قل من رب السمٰوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لِلَّه﴾ فإذا قالوا ذلك فـ﴿قل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقرون أن اللَّه خالق هذه الأشياء وربها، وقدْ كان مشركو العرب يقرون بهذا.

قال محمدٌ: قراءة يحيى (سيقولون اللَّهُ) وهي قراءة أهل البصرة - فيما ذكر أبو عُبَيْد[١]. قال: وعامة القراء يقرءونها: (سيقولون للَّه)[٢].

---

(١) وهي قراءة أبي عمرٍو من السبعة . ينظر: البحر (٦/٤١٨)، السبعة (٤٤٧)، النشر (٢/ ٣٢٩).

(٢) وهي قراءة الباقين. ينظر المراجع السابقة.

قال: وكان الكسائي[١] يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلانٍ؛ بمعنى: هي لفلان[٢].

﴿قل من بيده ملكوت كل شيءٍ﴾ أي: ملك كل شيءٍ ﴿وهو يجير﴾ من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: من أراد أن يعذبه لَمْ يستطع أحدٌ منعه ﴿سيقولون لِلّه﴾.

قال محمدٌ: واختلف القراء أيضًا في قوله: ﴿سيقولون للّه﴾ وهي في التأويل مثل التي قبلها.

﴿فأنى تسحرون﴾ أي: فكيف تسحرون عقولكم؟ فشبههم بقوم مسحورين.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: كيف تُخْدعون وتُصْرَفون عن هذا؟!

﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿بل أتيناهم بالحق﴾ يعني: القرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ وهي تقرأ: (بل

---

(١) في «ر»: الكلبي.

(٢) الرب في اللغة: المالك، ولا يقال في غير اللّه - تعالى - إلا بالإضافة، وأطلق الرب في الجاهلية على الملك. لسان العرب (ربب).

أتَيْتَهم)[١] يقوله للنبي ﴿ما اتخذ اللَّه من ولدٍ وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق﴾ يقول: لو كان معه آلهةٌ إذًا لذهب كل إله بما خلق ﴿ولعلا بعضهم على بعضٍ﴾ يقول: لطلب بعْضُهم مُلك بعضٍ حتى يَعْلُوَ عليه؛ كما يفعل ملوك الدنيا .

﴿عالمُ[٢] الغيب والشهادة﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا: ما لمْ [يَجِنْ من غيب الآخرة، والشهادة: ما أعلم به العباد. قل يا محمد: ﴿فتعالى عمّا يشركون﴾][٣] (ل٢٢٩) ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ تفسيره: أي: [لا تهلكني][٤] معهم إن أرَيْتني ما يوعدون ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ تفسير السُّدِّي: يقول: ادفع بالعفو والصفح القولَ القبيحَ؛ وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم[٥].

﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وهو الجنون ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ فأطيع الشيطان فأُهْلَك؛ أمره اللَّه أن يدعُوَ بهذا.

قال محمدٌ: وقيل: (همزاتُ الشياطين): نَخْسُها وطعْنُها بالوسوسة؛ حتى تشغل عن أمر اللَّهِ. والقراءة (ربِّ) بكسر الباء[٦] [وحذف الياء][٣]؛ حذفت

---

(١) بفتح التاء الثانية، وهي قراء ابن أبي إسحاق، ونسبها ابن خالويه في مختصره (٩٨) إلى أبي حيوة، وأبي البرهسم، وابن قطيب. ينظر: البحر (٦/ ٤١٨)، الكشاف (٣/ ٤٠).

(٢) بضم الميم وهي قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف وأبي بكر، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقون ﴿عالمِ﴾ بكسر الميم. النشر (٢/ ٣٢٩)، إتحاف الفضلاء (٤٠٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من: «ر».

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من: «ر».

(٥) ينظر الناسخ والمنسوخ (٦٧).

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها قراءات أخرى.

الياء للنداء؛ المعنى: أعوذ بك يا رب، وإثبات الياء جائزٌ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون﴾ قال الحسن: ليس أحدٌ من خلق اللَّهِ، ليس للَّه بولي إلا وهو يسأل الرَّجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلم به وإن كان أخرس لم يتكلم في الدنيا بحرفٍ قط؛ وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار، سأل الرجعة ولا يسمعه من يليه ﴿لعلّي أعمل صالحًا فيما تركت﴾ يعني: فيما ضيَّعتُ. قال اللَّه: لست براجعٍ إلى الدنيا، ثم قال: ﴿كلا إنها كلمةٌ هو قائلها﴾ يعني: هذه الكلمة: ﴿رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت﴾.

﴿ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ قال السُّدي: البرزخ: ما بين النفختين.

قال محمدٌ: وكل شيءٍ بين شيئين فهو بَرْزَخ[1].

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قد مضى تفسيره[2] ﴿فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا

---

(١) وهو أيضًا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. مختار الصحاح (برزخ).

(٢) الأنعام: ٧٣ ، الكهف: ٩٩ ، وطه: ١٠٢ .

يتساءلون﴾ تفسير الحسن: يقول: فلا أنساب بينهم يتعاطفون عليها؛ كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا، ولا يتساءلون عليها أن يحمل بعضُهم عن بعضٍ؛ كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهمْ؛ كقول الرجل: أسألك بالله وبالرَّحم.

﴿تفلح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾.

يحيى: عن صاحبٍ له، عن يحيى بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله عليه السلام: «شفته السفلى ساقطةٌ على صدره، والعليا قالصةٌ[1] قد غطَّتْ وجْهَه»[2].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ

---

(١) أي: مرتفعة، وقيل: شفة قالصة؛ أي: ناقصة. لسان العرب (قلص). وفي «ر»: قائمة.

(٢) لم أقف عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى ابن المبارك في الزهد (٨٤ رقم ٢٩٢) عن سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته حتى تضرب سرته».

ورواه الإمام أحمد (٣/ ٨٨) والترمذي (٤/ ٦١٠ رقم ٢٥٨٧، ٥/ ٣٠٧ رقم ٣١٧٦) وأبو يعلى (٢/ ٥١٦ رقم ١٣٦٧) والحاكم (٢/ ٢٤٦، ٣٩٥) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٢) والبغوي في تفسيره (٥/ ٤٣٠) وفي شرح السنة (١٥/ ١٥١ - ١٥٢ رقم ٤٤١٦) وغيرهم من طريق ابن المبارك به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح من إسناد المصريين، ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: تفرد به أبو شجاع عن أبي السمح.

وقال البغوي: هذا حديث حسن غريب.

خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ التي كُتبت علينا ﴿ربنا أخرجنا منها فإنْ عُدْنا فإنا ظالمون﴾ فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يَرُدُّ عليْهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلِّمون﴾ أي: اصْغروا؛ في تفسير الحسن. قال: فواللَّه ما تكلم القوم بعدها بكلمةٍ، وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال محمدٌ: معنى ﴿اخْسَئُوا﴾ في اللغة: تباعدوا، ويقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْسَؤُه؛ إذا زجرته ليتباعد[١].

﴿وأنت خير الراحمين﴾ يعني: أفضل من رحم، وقد يجعل اللَّه الرحمة في قلب من يشاء؛ وذلك من رحمة اللَّه.

﴿فاتخذتموهم سخريًّا﴾ كانوا يسخرون بأصحاب الأنبياء، ويضحكون منهم.

قال محمدٌ: الأجودُ في قراءة (اتخذتموهم) إدْغام الذال في التاء[٢]؛ لقرب المخرجَيْن في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت. وتقرأ: (سخْريًّا) بالضم

---

(١) خسأت الكلب: طردته، من باب قطع، وخسأ هو بنفسه من باب خضع. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (خسأ).

(٢) قراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصًا. ينظر النشر (٢/ ١٥ - ١٦)، إتحاف الفضلاء (٣٢٠).

والكسْر في معنى الاستهزاء[١]، وقد قال بعْضُ أهل اللغة: ما كان من الاستهزاء فهو بالكَسْر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم[٢].

﴿حتى أنسوكمْ ذكري﴾ ليس يعني: أن أصحاب الأنبياء أَنْسَوْهُمْ ذكر اللَّه؛ فأمروهم ألّا يذكروه، ولكن جحودهم واستهزاؤهم، وضَحِكهم منهم هو الذي أنساهم ذكر اللَّه.

﴿إني جزيْتُهم اليَوْم بما صبروا﴾ في الدنيا ﴿أنهم﴾ بأنهم ﴿هم الفائزون﴾ الناجون من النار، وتقرأ بالكسْر ﴿إنهم﴾[٣].

قال محمد: ومن كسر فالمعنى: أني جزيتهم بما صبروا، ثم أخبر فقال: إنهم هم الفائزون.

﴿قال كم لبثتم﴾ يقوله لهم في الآخرة ﴿في الأرض عدد سنين﴾ أي: كم عددُ السنين التي لبثتم في الأرض [يريد بذلك أن يعلمهم قلة][٤] (ل٢٣٠) بقائهم في الدنيا [فتصاغرت الدنيا][٤] عندهم ﴿قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ﴿فاسأل العادين﴾ قال قتادة: يعني: الحُسَّاب الذين كانوا يحسبون آجالنا. مثل قوله: ﴿إنما نعد لهم عدًا﴾[٥] وهي آجالهم ﴿قال إن لبثتم إلا قليلًا﴾ أي: أن لُبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في

---

(١) قرأ بالضم: نافع، وحمزة، والكسائي، وقرأ بالكسر الباقون. ينظر البحر (٦/ ٤٢٣)، السبعة (٤٤٨)، النشر (٢/ ٣٢٩- ٣٣٠).

(٢) ينظر لسان العرب (سخر).

(٣) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع. ينظر: البحر (٦/ ٤٢٣) السبعة (٤٤٩)، النشر (٢/ ٣٢٩ - ٣٣٠).

(٤) طمس في الأصل والمثبت من: «ر».

(٥) مريم: ٨٤ .

النار كان قليلًا ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ يقول: لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار.

قال محمدٌ: (عددَ) منصوبٌ بِكَمْ [١]، وقوله: ﴿إن لبثتم﴾ معناه: ما لبثتم.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا﴾ أي: لغير بَعْثٍ ولا حساب ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وهو على الاستفهام؛ أي: قد حسبتم ذلك؛ ولم نَخْلقكم عبثًا، إنما خلقناكم للبعث والحساب ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ على الله. وبعضهم يقرؤها بالرفع[٢] يقول: اللهُ الكريمُ.

﴿ومن يدعُ مع الله إلهًا آخر لا برهان له به﴾ أي: لا حُجَّة له بذلك ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ يعني: فإنما جزاؤه عند ربه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ وهي تقرأ: (إنه) بالكسر[٣] على معنى: فإنما حسابه عند ربه أن يدخله النار، ثم قال: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

---

(١) ينظر: البحر (٦/ ٤٢٤)، مجمع البيان (٤/ ١٣٠)، إعراب القرآن (٢/ ٤٣٠).

(٢) رُويت عن ابن كثير من السبعة. ينظر إتحاف الفضلاء (٣٢١)، البحر (٦/ ٤٢٤)، جامع القرطبي (١٢/ ١٥٧).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإملاء (٢/ ٨٣)، الكشاف (٣/ ٤٥)، البحر (٦/ ٤٢٥)، المحتسب (٢/ ٩٨).

قال محمدٌ: ومن قرأها بالفتح[1]، فالمعنى: بأنه.

﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خيرُ الراحمين﴾ يعني: وأنت أفضلُ من يرحم؛ أمر الله النبي عليه السلام بهذا الدعاء.

* * *

(١) ورويت هذه القراءة عن الحسن وقتادة. ينظر المراجع السابقة.

تفسير سُوْرَةِ النّور وهي مدنيّة كلّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿سورة أنزلناها﴾ (أي: هذه سورة أنزلناها)[١] ﴿وفرضناها﴾ يعني: ما فرض في هذه السورة، وحُدَّ فيها من حدوده، وتقرأ: (فرَّضناها) بالتثقيل[٢]؛ يعني: بيَّناها ﴿وأنزلنا فيها آياتٍ بينات لعلكم تذكرون﴾ لكي تذكَّرُوا ﴿الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ هذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين؛ فإن كانا محصنين رُجِما.

قال محمدٌ: من قرأ (الزانيةُ) بالرفع فتأويله الابتداء[٣]. قال الحسنُ: والرجم في مصحف أبيِّ بن كعب، وهو في مصحفنا أيضًا في سورة المائدة في قوله: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا

---

(١) تكررت هذه العبارة في الأصل.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السَّبعة (٤٥٢) النشر (٢/ ٣٣٠) التيسير (١٦١).

(٣) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وغيرهما بالنصب. ينظر: البحر (٦/ ٤٢٧)، المحتسب (٢/ ١٠٠)، الإملاء (٢/ ٨٣).

للذين هادوا والربانيون والأحبار﴾[١]حيث رجم رسول الله اليهوديين حين ارتفعوا إليه[٢].

يحيى: عن المعلى، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: «قال لي أبي بن كعب: يا زرُّ، كم تقرءون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثًا وسبعين آية. قال: قط؟ قلت: قط. قال: فوالله إن كانت لتوازي سورة البقرة، وإن فيها لآية الرَّجم. قلت: وما آية الرجم يا أبا المنذر؟ قال: «إذا زنى الشيخ والشَّيخة فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»[٣].

---

(١) المائدة: (٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٢٣٧رقم ١٣٢٩) ومسلم (٣/ ١٣٢٦، ١٣٢٧ رقم ١٦٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
ورواه مسلم (٣/ ١٣٢٧رقم ١٧٠٠) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.
ورواه مسلم (٣/ ١٣٢٨رقم ١٧٠١)عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
وفي الباب عن عدة من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) رواه الطيالسي (٧٣رقم ٥٤٠) وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٦٥رقم ٥٩٩٠، ٧/ ٣٢٩- ٣٣٠ رقم ١٣٣٦٣) وأحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٥٧رقم ٥٧٩٢/ ٢) - وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٢) والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٧١-٢٧٢رقم ٧١٥٠) والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٨٧٢-٨٧٤ رقم ١٢٢٦-١٢٣١) وابن حبان (١١/ ٢٧٣-٢٧٤ رقم ٤٤٢٨، ٤٤٢٩) والحاكم (٢/ ٤١٥، ٤/ ٣٥٩) والبيهقي في السنن (٨/ ٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/ ٢٣٤-٢٣٥) والضياء في المختارة (٣/ ٣٧٠-٣٧١ رقم ١٦٦٤-١٦٦٦) وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤) من طرق عن عاصم ابن أبي النجود به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال ابن حزم: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه.
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٨١): وهذا إسناد حسن.
وقال ابن حجر في الموافقة: هذا حديث حسن.
وله شاهد من حديث زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة. فقال عمر: لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها - فكأنه =

المسعودي: عن القاسم بن عبد الرحمن «أن عمر بن الخطاب حمدَ اللَّه ثم

= كره ذلك قال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا لم يُحصن جُلد، وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رُجم».

رواه الإمام أحمد (٥/ ١٨٣) والطيالسي -كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٥٧ رقم ٥٧٩٣) - والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٧٠ رقم ٧١٤٥) والدارمي (٢/ ٢٣٤ رقم ٢٣٢٣) والطبري في تهذيب الآثار (٢/ ٨٧٠ رقم ٣٧) والحاكم (٤/ ٣٦٠) والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/ ٢٣٥) وغيرهم.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن حزم: هذا إسناد جيد.

وقال الطبري: هذا خبر عندنا صحيح سنده لا علة فيه توهنه ولا سبب يضعفه؛ لعدالة من بيننا وبين رسول الله ﷺ من نقلته، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح، لعلل:

إحداهما: أن هذا الحديث لا يعرف له مخرج عن عمر عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ، إلا من هذا الوجه.

والثانية: أن قتادة من أهل التدليس، ولا يحتج عندهم من حديث المدلس في الدين إلا بما قال فيه «سمعت» أو «حدثنا» وما أشبه ذلك، وليس ذلك كذلك في هذا الخبر.

والثالثة: أن فيه مما أنزل من القرآن الذي كان يُقرأ، ولو كان ذلك كذلك لكان موجودًا في مصاحف المسلمين، وفي عدم ذلك في مصاحفهم الدليل الواضح على وهائه. اهـ

وقد أفاض الطبري في بيان ما تضمنه هذا الحديث من الأحكام في تهذيب الآثار (٢/ ٨٧٥- ٨٨٠) وكان فيما قال رحمه الله: أما خبر زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في أمره برجم الشيخ والشيخة «فارجموهما ألبتة إذا زنيا» فإن معناه: فارجموهما ألبتة إذا كانا قد أحصنا. فإن قالوا: وما البرهان على أن ذلك كذلك، وليس ذلك موجودًا في الخبر؟ قيل: البرهان على أن ذلك كذلك إجماع الجميع من أهل العلم - قديمهم وحديثهم - على أن حكم الشيخ والشيخة إذا زنيا قبل الإحصان الجلد دون الرجم، وفي إجماع جميعهم على ذلك أوضح البيان على أن معنى ما ذكرنا عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في الشيخ هو ما قلناه دون غيره.

وأما قول عمر: «لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها - وكأنه كره ذلك» ففيه بيان واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المنزل كسائر آي القرآن؛ لأنه لو كان من القرآن لم يمتنع ﷺ من إكتابه عمر ذلك، كما لم يمتنع من إكتاب من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد تعلمه، وفي إخبار عمر عن رسول الله ﷺ أنه كره كتابة ما سأله إلا كتابه إياه من ذلك؛ الدليل البين على أن حكم الرجم وإن كان من عند الله -تعالى ذكره- فإنه من غير القرآن الذي يُتلى ويصطر في المصاحف. اهـ =

قال: أمّا بعد؛ فإن هذا القرآن نزل على رسول اللَّه فكنا نقرأ: « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ، وآية الرجم، وإني قد خفت أن يقرأ القرآن قومٌ يقولون: لا رجمَ! وإن رسول اللَّه قد رجم ورجمنا؛ واللَّه لولا أن يقول الناس: إن عمر زاد في كتاب اللَّه لأثبتُّها، ولقد نزلت وكتبناها»[1].

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين اللَّه﴾ في حكم اللَّه، قال قتادة: يعني: أن يجلد الجلد الشديد.

يحيى: عن الخضر بن مرّة، عن يحيى بن أبي كثير «أن رسول اللَّه عليه السلام أتاه رجلٌ فقال: أصبت حدًّا؛ فأقمهُ عليَّ! فدعا بسوط، فأُتي بسوط شديد. فقال: سوط دون هذا. فأُتي بسوط منكسر العجز، فقال: فوق هذا. فأُتي

= وروى الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٦٢٨-٦٢٩ رقم ١٠) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر قال: « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نحد حدين في كتاب الله! فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله - تعالى - لكتبتها: «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة» فإنا قد قرأناها».

قال مالك: قوله الشيخ والشيخة يعني: الثيب والثيبة.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ٩٣): هذا حديث مسند صحيح.

وذهب إلى أن هذا الحديث يستند من وجوه صحاح ثابتة من حديث ابن عباس عن عمر.

وقال نحوه في الاستذكار (٢٤/ ٦٨) وقال ابن حجر في الموافقة: هذا حديث حسن صحيح.

وروى الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٣٥٠ رقم ٨٦٧) والحاكم (٤/ ٣٥٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٤٠٣) عن العجماء رضي الله عنها قالت: «لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة بما قضيا من اللذة».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وجوّد إسناده ابن كثير في تحفة الطالب (٣٨٤) وحسّنه ابن حجر في الموافقة (٢/ ٣٠٤).

(١) رواه البخاري (١٢/ ١٤٠ رقم ٦٨٢٩) ومسلم (٣/ ١٣١٧ رقم ١٦٩١) من طريق عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب بنحوه.

بسوط بين السوطين فأمر به فجلد [جلدًا بين الجلدين]»[(١)].

﴿وليشهد عذابهما﴾ أي: جلدهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ يقال: (ل٢٣١) الطائفة رجل فصاعدًا.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية . . .﴾ الآية، تفسير بعضهم يقول: نزلت في كل زانٍ وزانية، ثم نُسِخت.

يحيى: عن نصر بن طريف قال: قال سعيد بن المسيب: «نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾[(٢)]»[(٣)].

[﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ يريد لا يحل للمؤمن أن يتزوج زانية مشهورة بالزنا، ولا عبدة الأصنام، ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج مشركًا من عبدة الأصنام، ولا مشهورًا بالزنا][(٤)].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٧/ ٣٦٩ رقم ١٣٥١٥) ومن طريقه ابن حزم في المحلى (١١/ ١٧١) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير به. وما بين المعكوفين مطموس في الأصل و«ر».

(٢) النور (٣٢).

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٢١ رقم ٧١٢) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٥١) والطبري في تفسيره (١٨/ ١٤-١٥) والبيهقي في السنن (٧/ ١٥٤) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٦٩ - ٤٧٠)من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب.
ورواه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨١ رقم ١٤٤٤٤) من طريق أبي جعفر الرازي عن قتادة عن سعيد ابن المسيب.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٢) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيدة وابن المنذر.

(٤) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿والذين يرمون﴾ أي: يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعني: الحرائر المسلمات ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يجيئون جميعًا يشهدون عليها بالزنا ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ يجلد بالسوط ضربًا بين ضربين، وكذلك من قذف حرًّا مسلمًا. ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون﴾ العاصون، وليس بفسق الشرك؛ وهي من الكبائر ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك...﴾ الآية، تفسير الحسن وسعيد بن المسيب قالا: توبته فيما بينه وبين اللَّه ولا شهادة له.

﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ إلى قوله: ﴿ والخامسة أَنْ غضِبَ اللَّهُ[1] عليها إن كان من الصادقين﴾ **قال يحيى**: هذا إذا ارتفعا إلى الإمام، وثبت على قذفها؛ قال أربع مرات عند الإمام: أشهد باللَّه إني لصادق، ثم يقول في الخامسة: لعنة اللَّه عليَّ إن كنت من الكاذبين، وتقول هي أربع مرات: أشهد باللَّه إنه لكاذب -تعني زوجها- ثم تقول في الخامسة: غضب اللَّه عليَّ إن كان من الصادقين.

---

(١) قرأ نافع بإسكان النون مخففة، وكسر الضاد من ﴿غضب﴾ ورفع لفظ الجلالة بعده، وقرأ باقي السبعة بتشديد النون ونصب ﴿غضب﴾ مضافًا إلى لفظ الجلالة. النشر (٢/ ٣٣٠ - ٣٣١) وإتحاف الفضلاء (٤٠٩).

قال محمدٌ: من قرأ (أربعَ) بالنصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات [١] وهي تقرأ بالرفع على خبر الابتداء[٢]؛ المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدَّ القذف أربع شهادات.

﴿ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته﴾ تفسير السُّدي: يقول: لولا فضل[٣] اللَّه عليكم ونعمته لأهلك الكاذب من المتلاعنين ﴿وأن اللَّه توابٌ حكيم﴾ توَّاب على من تاب من ذنبه، حكيمٌ في أمره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ﴾ جماعة ﴿منكم﴾ تفسير قتادة: قال: هذا كان في شأن عائشة، وما أُذيع عليها أنها كانت مع رسول اللَّه ﷺ في سفرٍ، فأخذ الناس في الرحيل، وانقطعت قلادةٌ لها؛ فطلبتها في المنزل ومضى الناس، وقد كان صفوان بن معطل تخلف عن المنزل قبل ذلك، ثم أقبل

---

(١) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم. ينظر السبعة (٤٥٢)، البحر (٦/ ٤٣٤)، النشر (٢/ ٢٣٠).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٣) في «ر»: لولا ما منَّ.

فوجد الناس قد ارتحلوا وهو على بعيره، وإذا هو بعائشة فجاء ببعيره وولَّاها ظهره حتى ركبت، ثم قادها فجاء وقد نزل الناس، فتكلم في ذلك قومٌ فاتَّهموها[١].

قال يحيى: «بلغني أن عبد اللَّه بن أبي ابن سلول وحسان بن ثابت ومسطحًا وحمنة بنت جحش هم الذين تكلموا في ذلك، ثم شاع ذلك في الناس؛ فزعموا أن رسول اللَّه عليه السلام لما أنزل اللَّه عذرها جلد كل واحدٍ منهما الحدَّ»[٢].

﴿لا تحسبوه﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿شرًّا لكم﴾ يعني: ما قيل فيهما ﴿بل هو خير لكم لكل امرئٍ منهم﴾ يعني: الذين قالوا ما قالوا ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ على قدر ما أشاع ﴿والذي تولى كبره﴾ يعني: بدأ به منهم ﴿له عذاب عظيم﴾ قال بعضهم: هو عبد اللَّه بن أبي ابن سلول المنافق ﴿له عذاب عظيم﴾ جهنم.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) حديث الإفك رواه البخاري (٢٦٣٧، ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها مطولًا.

(٢) روى الإمام أحمد (٦/ ٣٥) وأبو داود (٥/ ١١٨ رقم ٤٤٦٩) والترمذي (٥/ ٣١٤ رقم ٣١٨١) والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٢٥ رقم ٧٣٥١) وابن ماجه (٢/ ٨٥٧ رقم ٢٥٦٧) وغيرهم عن عائشة قالت: «لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربهم حدهم».
وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
ورواه أبو داود (٥/ ١١٨ رقم ٤٤٧٠) عن عمرة مرسلاً، فسمي حسَّان بن ثابت ومسطح بن أثاثة، وقال النفيلي: ويقولون: المرأة حمنة بنت جحش.

حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي: بإخوانهم ﴿خيرًا وقالوا هذا إفك﴾ كذبٌ ﴿مبين﴾ بيِّن ﴿ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته [في الدنيا والآخرة][1] لمسَّكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم﴾ فيها تقديم؛ يقول: ولولا فضلُ اللَّه عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيم في الدنيا والآخرة، والإفاضة فيه كان إذا لقي الرجُل الرجل، فيقول: أما بلغك ما قيل من أمر عائشة وصفوان ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ يعني: يرويه بعضكم عن بعض.

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ أي: كذبٌ.

(ل٢٣٢) ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعني: أن تنتشر[2] ﴿في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة﴾ وهم المنافقون؛ كانوا يحبون ذلك، ليعيبوا به النبي عليه السلام ويغيظوه، وعذاب الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم الزكاة وما ينفقون في الغزو كرهًا ﴿ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته﴾ أي: لأهلككم؛ فاستأصلكم؛ يعني: الذين قالوا ما قالوا، وليس يعني بالفضل وبالرحمة: عبد اللَّه بن أبي ابن سلول فيهم، وقد ذكر بعد هذه الآية أنه في النار. قال: ﴿وأن اللَّه رءوف رحيم﴾ بالمؤمنين.

---

(١) سقط من الأصل.

(٢) في «ر»: أن يظهر الزنا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ فإن الشيطان ﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾.

﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا يأتل﴾ أي: ولا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني: الغني ﴿أن يؤتوا أولي القربى...﴾ الآية، تفسير قتادة: قال: «أنزلت في أبي بكر الصديق ومِسطح، وكان بينه وبين أبي بكر قرابة، وكان يتيمًا في حِجره، وكان ممَّن أذاع على عائشة ما أُذيع؛ فلما أنزل اللَّه براءتها وعُذرها تألَّى[1] أبو بكر ألَّا يوليه خيرًا أبدًا، فأنزل اللَّه هذه الآية، وذكر لنا أن نبي اللَّه دعا أبا بكر فتلاها عليه، ثم قال: ألا تحب أن يعفو اللَّه عنك؟ قال: بلى. قال: فاعف

---

(١) أي: حلف، ومثله: أتَلَى، وآلَى بمعنى حلف، مأخوذ من الألِيَّة، وهو اليمين. لسان العرب (ألو).

وتجاوز. فقال أبو بكر: لا جرم، والله لا أمنعه معروفًا كنت أوليه إياه قبل اليوم»[١].

﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ يعني: العفائف ﴿الغافلات﴾ يعني: أنهن لم يفعلن ما قذفن به ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة...﴾ إلى قوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾.

قال يحيى: بلغني أنه يعني بذلك: عبد الله بن أبي ابن سلول في أمر عائشة.

﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ تفسير السدي: يعني: حسابهم العدل.

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾ [تفسير قتادة: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل][٢] ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ مثل ذلك؛ وهذا في قصة عائشة ﴿أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ حتى تستأذنوا؛ في تفسير قتادة. وفيها تقديم وتأخير: حتى تسلموا [وتستأنسوا][٣].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٥٠ رقم ٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٩): وإسناده جيد.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: وتستأذنوا.

قال محمدٌ: الاستئناس في اللغة معناه: الاستعلام؛ تقول: استأنستُ فما رأيت أحدًا؛ أي: استعلمت وتعرَّفت[١]. قال النابغة:

كأن رَحْلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجَلِيلِ على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ[٢]

يعني: ثورًا أبصر شيئًا فخافه فهو فزع[٣].

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سئل جابر بن عبد الله أيستأذن الرجل على والدته وإن كانت عجوزًا، أو على أخته؟! قال: نعم».

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب؛ أن عليًا قال: «يستأذن الرجل على كل امرأةٍ إلا على امرأته».

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فإن لم تجدوا فيها أحدًا﴾ يعني: البيوت المسكونة ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ قال قتادة: لا تقف على باب قوم قد ردُّوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجاتٍ ولهم أشغال ﴿ليس عليكم جناحٌ أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة﴾ يعني: الفنادق ﴿فيها متاع لكم﴾ قال السُّدي: يعني: منافع لكم من الحر والبرد؛ فليس عليه (أن يستأذن)[٤] فيها؛ لأنه ليس لها أهل يسكنونها .

---

(١) ويقال فيه: استأنس وتأنّس. لسان العرب (أنس)

(٢) البيت من بحر البسيط، ينظر ديوان النابغة (١٧)، الخصائص(٢/ ٢٦٦)، شرح المفصل لابن يعيش (٦/ ١٦).

(٣) انظر خزانة الأدب (٣/ ١٨٧ - ١٨٨).

(٤) في «ر»: إذن.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ يعني: يغضون أبصارهم عن جميع المعاصي، (مِنْ) ها هنا صلةٌ زائدةٌ[١].

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير البجلي، عن أبيه قال: «سألت رسول الله عليه السلام عن النظر فجأة، فقال: اصرف بصرك»[٢].

---

(١) وفيه أوجه نحوية أخرى، تنظر من الدر المصون (٥/٢١٦).

(٢) هكذا وقع هذا الإسناد في الأصل و«ر»: «عن يونس بن عبيد عن أبي زرعة» والحديث معروف برواية «يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة»، وقوله هنا: «عن أبيه» يعني جده جريرًا جعله أبًا تجاوزًا، والله أعلم.
والحديث رواه الطيالسي في مسنده (٩٣ رقم ٦٧٢)- ومن طريقه الخطيب في الموضح (٢/ ٣٢١-٣٢٢)- عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن سعيد الأصلع عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير.
قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ، إنما هو يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير عن النبي ﷺ. علل ابن أبي حاتم (٢/ ٣٤٤-٣٤٥ رقم ٢٥٥٨). =

قوله: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحلُّ لهم.

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن من النظر ﴿ويحفظن فروجهن﴾ مما لا يحل لهن وهذا في الأحرار والمماليك (ل٢٣٣) ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهذا في الحرائر. تفسير ابن عباس وقتادة: ما ظهر منها: هو الكحل والخاتم. وتفسير ابن مسعودٍ والحسن: هي الثياب.

قال يحيى: وهذه في الحرائر، وأما الإماء فقد حدَّثنا سعيد وعثمان، عن

= ورواه الإمام أحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦١) ومسلم (٣/ ١٦٩٩ رقم ٢١٥٩) ووكيع في الزهد (٤٨١) وهناد في الزهد (١٤١٧) وابن أبي شيبة (٤/ ٣٢٤) وأبو داود (٣/ ٤٩ رقم ٢١٤١) والترمذي (٥/ ٩٣-٩٤ رقم ٢٧٧٦) والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٩٠ رقم ٩٢٣٣) وأبو عوانة في صحيحه -كما في إتحاف المهرة (٤/ ٦٧)- والطحاوي في شرح المعاني (٣/ ١٥) وفي شرح المشكل (٥/ ١٢٤-١٢٦ رقم ١٨٦٨-١٨٧١) وابن حبان (١٢/ ٣٨٣ رقم ٥٥٧١) والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٣٧ رقم ٢٤٠٤-٢٤٠٦، ٢٤٠٨) والحاكم (٢/ ٣٩٦) والبيهقي في السنن (٧/ ٨٩-٩٠) وغيرهم من طرق عن يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقد أخرجه مسلم.

وقال الدارقطني بعد أن ذكر اختلافًا في هذا الحديث في علله (٤/ ق١٠٤-أ): والصحيح حديث الثوري ومن تابعه عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير. اهـ

ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٣٧ رقم ٢٤٠٧) عن المقدام بن داود عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبيه «أن جريرًا سأل...» فزاد في إسناده «عن أبيه».

ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ٣٣٧ رقم ٢٤٠٣) وتمام في الفوائد (٧٣٩) من طريق أشعث بن سوار عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن جرير.

ورواه مصعب بن المقدام عن الثوري عن يونس عن الحسن عن جرير. خرجه الدارقطني في العلل (٤/ ق١٠٤-ب) وخطأه.

قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطاب رأى أمَةً عليها قناعٌ، فضربها بالدرّة - في حديث سعيد. وقال عثمان: فتناولها بالدرّة - وقال: اكشفي عن رأسك. وقال سعيد: ولا تشبهي بالحرائر»[١].

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ تسدل الخمار على جيبها تستر به نحرها ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ وهذه الزينة الباطنة ﴿إلا لبعولتهن﴾ يعني: أزواجَهُنّ إلى قوله: ﴿أو نسائهن﴾ يعني: المسلمات يرين منها ما يرى ذو المحرم، ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسيَّة ﴿أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة﴾ يعني: الحاجة إلى النساء، تفسير قتادة: هو الرجل الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة، ولا يغار عليه الرجل.

قال محمدٌ: من قرأ (غير) بالخفض[٢]، فعلى أنه صفة للتابعين[٣]؛

---

(١) رواه عبد الرزاق (٣/ ١٣٦ رقم ٥٠٦٤) عن معمر عن قتادة.
ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٠-٢٣١) من طريق شعبة عن قتادة.
ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣١) من طريق الزهري عن أنس.
ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣١) من طريق المختار بن فلفل عن أنس بنحوه.
ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣١) عن أبي قلابة قال: «كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تقنع. قال: قال عمر: إنما القناع للحرائر؛ لكيلا يؤذين».
ورواه عبد الرزاق (٣/ ١٣٦ رقم ٥٠٦٢) والبيهقي (٢/ ٢٣٦-٢٣٧) من طريق صفية بنت أبي عبيد عن عمر مطولا.
وقال البيهقي: والآثار عن عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك صحيحة، وإنها تدل على أن رأسها ورقبتها وما يظهر منها في حال المهنة ليس بعورة.

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وعاصم. ينظر البحر (٦/ ٤٤٩)، السبعة (٤٥٥)، النشر (٢/ ٣٣٢).

(٣) أو على البدل. ينظر البحر (٦/ ٤٤٩)، إعراب القرآن (٢/ ٤٣٩) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٠).

المعنى: لكل تابع غير أولي الإربة، ومن نصب (غير)[١] فعلى الحال[٢]؛ المعنى: أو التابعين لا مريدين النساء في هذه الحال.

قال يحيى: فهذه ثلاثُ حُرم بعضها أعظم من بعض، منهن الزوج الذي يحل له كل شيءٍ [منها][٣] فهذه حرمةٌ ليست لغيره.

ومنهن الأبُ، والابنُ، والأخ، والعم، والخال، وابن الأخ، وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب؛ فلا يحل لهؤلاء -في تفسير الحسن- أن ينظروا إلى الشَّعر والصدر والساق وأشباه ذلك. وقال ابن عباسٍ: ينظرون إلى موضع القرْطين والقلادة والسوارين والخلخالين.

وحرمةٌ ثالثة فيهم أبو الزوج، وابن الزوج، والتابع غير أولي الإربة ومملوك المرأة؛ لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق وخمار صفيق بغير جلبابٍ.

قوله: ﴿أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ قال قتادة: يعني: من لم يبلغ الحُلم ولا النكاح.

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجليها إذا مرَّت بالمجلس ليُسمع قعقعة الخلخالين، فنهين عن ذلك.

﴿وتوبوا إلى اللّه جميعًا﴾ من ذنوبكم ﴿أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن

---

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم كما تقدم.
(٢) أو الاستثناء. ينظر البحر (٦/٤٤٩)، إعراب القرآن (٢/٤٣٩).
(٣) من «ر».

فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ يعني: كل امرأة ليس لها زوج.

قال محمدٌ: يقال: امرأة أيمٌ، ورجلٌ أيمٌ[(١)]، ورجلٌ أرملٌ، وامرأةٌ أرملةٌ[(٢)].

﴿والصالحين من عبادكم﴾ يعني: المملوكين المسلمين ﴿وإمائكم﴾ المسلمات، وهذه رخصةٌ وليس على الرجل بواجب أن يُزَوِّج أمته وعبده ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله﴾.

(**يحيى**: عن عبد العزيز بن أبي روَّاد؛ أن رسول اللّه ﷺ قال: «اطلبوا الغنى في هذه الآية: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله﴾»[(٣)])[(٤)].

يحيى: عن سعيد، عن قتادة؛ أن عمر بن الخطاب كان يقول: «ما رأيت مثل رجلٍ لم يلتمس الغنى في الباءة، واللّه يقول: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم

---

(١) الأيم: الذي لا زوج له من الرجال والنساء، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج، وامرأة أيم بكرًا كانت أو ثيبًا. مختار الصحاح (أيم).

(٢) لسان العرب (رمل).

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق المعضل، وله طرق أخرى بنحوه، انظر تخريج الكشاف (٢/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٤) سقط من «ر».

الله من فضله﴾»(١).

﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا﴾ تفسير الحسن: إن علمتم عندهم مالًا. وقال قتادة: إن علمتم عندهم صدقًا ووفاءً وأمانةً.

قوله: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قال قتادة: أن يترك لهم طائفة من مكسبته ﴿ولا تكرهو فتياتكم على البغاء إن أردن تحصُّنًا﴾ [البغاء: الزنا](٢) ﴿تحصنًا﴾ أي: عفة وإسلامًا.

وبلغنا عن الزهري قال: نزلت في أمةٍ كانت لعبد الله بن أبي ابن سلول كان يكرهها على رجلٍ من قريش يريدها لنفسه رجاء أن تلد منه، فيفدي ولده، فذلك (ل٢٣٤) الغرض الذي كان ابن أبي سلول يبتغي ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ وكذلك هي في حرف ابن مسعود ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني: القرآن ﴿ومثلًا من الذين خلوا من قبلكم﴾ يعني: أخبار الأمم السابقة.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٧٣ رقم ١٠٣٩٣) عن معمر عن قتادة به.
ورواه أيضًا (٦/ ١٧٠-١٧١ رقم ١٠٣٨٥) عن هشام بن حسان عن الحسن عن عمر.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿الله نور السموات والأرض﴾ يعني: بنوره يهتدي من في السموات والأرض ﴿مثل نوره﴾ الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿كمشكاة﴾ تفسير ابن عمر قال: المشكاة: الكُوَّة[1] في البيت التي ليست بنافذة ﴿فيها مصباح﴾ يعني: السِّراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني: القنديل ﴿الزجاجةُ كأنها كوكب دريٌّ﴾ أي: منير ضخم.

قال محمدٌ: من قرأ (درِّيٌّ) بلا همزٍ، فهو منسوبٌ إلى الدُّر[2]، ومن قرأ (دِرِّيء) بالهمز وكسر الدال[3]؛ فهو من النجوم الدراري[4].

قوله: ﴿يُوقَدُ﴾ يعني: المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونةٍ لا شرقية ولا غربية﴾ قال قتادة: يعني: لا يفيء عليها ظلُّ شرقٍ ولا غربٍ هي ضاحية للشمس، وهي أصفى الزيت وأعذبه قال بعضهم: هي في سفح جبلٍ ﴿يكاد زيتها﴾ يعني: الزجاجة ﴿يضيء ولو لم تمسسه نارٌ﴾ وهذا مثل قلب المؤمن، يكاد يعرف الحق من قبل أن يتبيّن له فيما يذهب إليه من موافقة الحق فيما أُمر به، وفيما يذهب إليه من كراهيته ما يُنهى عنه ﴿نورٌ على نورٍ﴾ قال مجاهد: نور الزجاجة ونور الزَّيت ونور المصباح؛ فكذلك قلب المؤمن إذا تبيَّن له الحق صار نورًا على نورٍ .

﴿في بيوتٍ أذن الله أن ترفع﴾ تفسير مجاهد: أن تُبْنَى؛ يعني: المساجد.

---

(١) في حاشية الأصل: الفتحة. وفي لسان العرب: الكوة: ثقب البيت، وهي بفتح الكاف وضمها، والجمع كِوَاء بالمد والقصر. لسان العرب (كوى).

(٢) واحدها: دُرَّة؛ وهي اللؤلؤة، وتجمع أيضًا على دُرّات، ودُرر. لسان العرب (درر).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو، والكسائي. ينظر السبعة (٤٥٦) البحر (٦/ ٤٥٦)، النشر (٢/ ٣٣٢).

(٤) وواحدها: (دُرِّي)؛ وهو الثاقب المضيء. لسان العرب (درر).

يحيى: عن مندل بن علي، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «من بنى مسجدًا للَّه ولو مثل مفحص قطاة بُني له بيتٌ في الجنة»(١).

---

(١) تابع مندل بن علي عليه جماعةٌ:
منهم: قطبة بن عبد العزيز، عند ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١/ ١٧٢ رقم ٣٦٢/ ٥) -وأبي يعلى- كما في المطالب العالية (١/ ١٧٢ رقم ٣٦٢/ ٨)- والطبراني في الصغير (٢/ ١٣٨) وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤٩٠ رقم ١٦١٠) وأبي نعيم في الحلية (٤/ ٢١٧) والبيهقي في السنن (٢/ ٤٣٧).
ومنهم: أبو بكر بن عياش، عند البزار (٩/ ٤١٢ رقم ٤٠١٧) وأبي يعلى- كما في إتحاف الخيرة (٢/ ١٢ رقم ٩٣٨/ ٧) والطحاوي في المشكل (٤/ ٢١٠ رقم ١٥٥٠) والروياني- كما في المطالب (١/ ١٧١ رقم ٣٦٢/ ٣) -والبيهقي (٢/ ٤٣٧) والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٩١ رقم ٤٧٩) من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش.
وقال أحمد بن يونس: ما رفعه أحد من أصحاب الأعمش غير أبي بكر. قال أحمد: فقيل لأبي بكر: إنه لم يرفعه غيرك! قال: سمعته من الأعمش وهو شاب.
ومنهم: يعلى بن عبيد، من رواية أخيه محمد بن عبيد عنه، عند ابن حبان (٤/ ٤٩١ رقم ١٦١١) والطحاوي في المشكل (٤/ ٢١١ رقم ١٥٥٢).
قال الدارقطني في الإفراد: غريب من حديث الأعمش مرفوعًا إلى النبي ﷺ وغريب من حديث يعلى بن عبيد عنه، تفرد به أخوه محمد، وعنه محمد بن حرب. أطراف الغرائب (٥/ ٥٤).
ومنهم: سفيان الثوري، من رواية سلم بن جنادة عن وكيع عنه، عند البزار (٩/ ٤١٢ رقم ٤٠١٦).
قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه عن سفيان مرفوعًا إلا سلم بن جنادة عن وكيع، ولا نعلم أن سلم بن جنادة توبع على هذا الحديث، وإنما يعرف هذا الحديث مرفوعًا من حديث أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش، ورواه يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز.
وقال الدارقطني: غريب من حديث الثوري عن الأعمش عنه مرفوعًا، وغريب من حديث وكيع عنه، تفرد به أبو السائب سلم بن جنادة. أطراف الغرائب (٥/ ٥٤).
ورواه مؤمل عن سفيان الثوري عن الأعمش مرفوعًا، عند الطحاوي في المشكل (٤/ ٢٠٩ رقم ١٥٤٩).
ومنهم: شريك من رواية علي بن حكيم عنه، عند الطحاوي في المشكل (٤/ ٢١٠ رقم ١٥٥١).
=

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ الغدوُّ: صلاة الصبح، والآصال: العشي: الظهر والعصر، وقد ذكر في غير هذه الآية المغرب والعشاء، وجميع الصلوات الخمس.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

= قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان: هكذا رواة عدة من أصحاب شريك فلم يرفعوه، والصحيح عن أبي ذر من حديث شريك موقوف. قال أبو حاتم: ورواه أبو بكر بن عياش عن الأعمش ورفعه، ونفس الحديث موقوف، وهو أصح. قال ابن أبي حاتم: وحدثني أبي قال: حدثنا حماد بن زاذان قال: سمعت ابن مهدي قال: حديث الأعمش «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة» ليس من صحيح حديث الأعمش. علل ابن أبي حاتم (١/ ٩٧ رقم ٢٦١).

ومنهم: سفيان بن عيينة من رواية مؤمل بن إسماعيل عنه، عند الطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٢٠).

وقال الطبراني: لم يروه عن ابن عيينة إلا مؤمل.

وخالفهم جماعة كثيرة فأوقفوه، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٠٩-٣١٠) عن أبي معاوية، ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده -كما في المطالب - (١/ ١٧١ رقم ٣٦٢)- عن عيسى بن يونس وجرير وأبي معاوية، ورواه الطيالسي في مسنده (٦٢ رقم ٤٦١) عن قيس ابن الربيع، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١٧) من طريق الفريابي وأبي حذيفة النهدي عن الثوري، ورواه البيهقي (٢/ ٤٣٧) من طريق يعلى بن عبيد، كلهم عن الأعمش به موقوفًا.

ورواه الحكم بن عتيبة عن يزيد بن شريك عن أبي ذر ﷺ موقوفًا، خرجه أحمد بن منيع في مسنده -كما في المطالب (١/ ١٧١ رقم ٣٦٢/ ٣) -والطحاوي في المشكل (٤/ ٢١٢).

ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١/ ١٧٣ رقم ٣٦٢/ ٤)- عن المعتمر بن سليمان، عن حجاج عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم التيمي مرسلاً.

وبسط الدارقطني في العلل (٦/ ٢٧٤-٢٧٦ رقم ١١٣٤) الاختلاف فيه، ثم قال: والموقوف أشبههما بالصواب. اهـ

قلت: وهذا المتن متواتر؛ قال ابن حجر في المطالب (١/ ١٧٢): وقد جمعت طرقه في جزءٍ كبيرٍ، كتبت فيه عن نيفٍ وثلاثين صحابيًا.

تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ﴾ التجارة: الجالبُ [للمتاع][1] والبيع: الذي يبيع على يديه ﴿عن ذكر اللَّه﴾ ذكر اللَّه في هذا الموضع: الأذان؛ كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة ﴿وإقام الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وإيتاء الزكاة﴾ يعني: المفروضة ﴿يخافون يومًا تتقلَّب فيه القلوب والأبصار﴾ يعني: قلوب الكفار وأبصارهم، وتقلب القلوب: أن القلوب انتُزِعَت من أماكنها، فغصَّت بها الحناجر فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج، وأما تقلُّب الأبصار فالزُّرقُ بعد الكحلِ، والعمى بعد البصر ﴿ليجزيهم اللَّه أحسن ما عملوا﴾ (ثواب ما عملوا)[2] يجزيهم به الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ فأهل الجنة أبدًا في مزيد ﴿واللَّه يرزق من يشاء بغير حسابٍ﴾ تفسير بعضهم: يقول: لا يحاسبهم أبدًا بما أعطاهم اللَّه .

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ قال مجاهد: وهو القاعُ القرقرة[3]

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سقط من «ر».
(٣) أي: المنخفض اللين، وقيل: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة. لسان العرب (قرقر).

﴿يحسبه الظمآن﴾ العطشان ﴿ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا﴾ والعطشان مثل الكافر، والسراب (مثل عمله؛ يحسب أنه يُغني عنه شيئًا حتى يأتيه الموت؛ فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا)(١) إلا كما ينفع السراب العطشان.

قال محمدٌ: القيعة والقاع عند أهل اللغة: ما انبسط من الأرض، ولم يكن فيه نبات(٢) -وهو الذي أراد مجاهدٌ- فالذي [يسير](٣) فيه نصف النهار يرى كأن فيه ماءً يجري، وذلك هو السراب.

قوله: ﴿ووجد اللَّه عنده فوفاه حسابه﴾ يعني: ثواب عمله، وهو النار يوم القيامة ﴿واللَّه سريع الحساب﴾ أي: قد جاء الحساب ﴿أو كظلماتٍ في بحر لجي﴾ أي: عميق (٤) (ل٢٣٥) ﴿يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض﴾ يعني: ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، هذا مثل الكافر؛ يقول: قلبه مظلم في صدرٍ مظلم في جسدٍ مظلم ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾ من شدَّة الظلمة .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ

---

(١) سقط من «ر».

(٢) ويجمع على: أقوع، وأقواع، وقيعان. وقيل: القيعة مثل القاع، وبعضهم يقول: هو جمع (قاعة). مختار الصحاح (قوع).

(٣) في الأصل (يصير) وهو تحريف عن الصواب.

(٤) يقال: غمره الماء؛ أي: علاه، والغَمْر: الكثير منه، واغُمَر: الشدائد. لسان العرب (غمر) وفي «ر»: أي: عميق.

ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ألم تر أن اللّه يسبح له من في السمٰوات والأرض والطير صافات﴾ بأجنحتها ﴿كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ تفسير مجاهد: الصلاة للمؤمنين، والتسبيح [لما سوى ذلك][(١)] من الخلق ﴿ألم تر أن اللّه يُزجي﴾ أي: ينشئ ﴿سحابًا ثمّ يؤلف بينه﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ثم يجعله ركامًا﴾ بعضه على بعض ﴿فترى الودق﴾ يعني: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السَّحاب ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ﴾ ينزل من تلك الجبال التي هي من بَرَدٍ[(٢)] ﴿فيصيب به من يشاء﴾ فيُهلك الزرع ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾. يصرف ذلك البرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: ضوء برقه.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».
(٢) البَرَدُ: حبُّ الغمام، ويقال: سحاب برِد؛ أي: صار ذا بَرَدٍ، وسحابة بردة أيضًا. لسان العرب (برد).

إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يقلب اللَّه الليل والنهار﴾ كقوله: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾[1] هو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه .

﴿واللَّه خلق كل دابة من ماءٍ﴾ يعني: النطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ الحيَّة ﴿ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق اللَّه ما يشاء﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك.

﴿ويقولون آمنا باللَّه...﴾ إلى قوله: ﴿معرضون﴾ يعني: المنافقين يظهرون الإيمان، ويسرون الشرك ﴿وإن يكن لهم الحق...﴾ الآية، تفسير الحسن قال: كان الرجل يكون له على الرجل الحق على عهد النبي؛ فإذا قال له: انطلق معي إلى النّبي، فإن عرف أن الحق له ذهب معه، وإن عرف أنه يطلب باطلًا أبى أن يأتي النبي عليه السلام فأنزل اللَّه: ﴿وإذا دعوا إلى اللَّه...﴾ إلى قوله: ﴿مذعنين﴾ أي: سراعًا ﴿أفي قلوبهم مرضٌ﴾ وهو الشرك ﴿أم ارتابوا﴾ شكُّوا في اللَّه وفي رسوله؛ قاله على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك ﴿أم يخافون أن يحيف اللَّه﴾ أي: يجور اللَّه ﴿عليهم ورسوله﴾ أي: قد خافوا ذلك ﴿ومن يطع اللَّه ورسوله ويخش اللَّه﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿ويتقه﴾ فيما بقي ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ أي: الناجون .

﴿وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم﴾ يعني: المنافقين ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾

---

(١) الحج: ٦١، ولقمان: ٢٩، وفاطر: ١٣، والحديد: ٦ .

إلى الجهاد، قال الله: ﴿قل لا تقسموا﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿طاعةٌ معروفةٌ إن الله خبيرٌ بما تعملون﴾ أي: طاعة معروفة خيرٌ مما تسرون من النفاق، وهذا من الإضمار.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ يعني: المنافقين، ثم قال: ﴿فإن تولوا﴾ يعني: فإن أعرضتم عنهما ﴿فإنما عليه﴾ يعني: الرسول ﴿ماحُمّل﴾ من البلاغ ﴿وعليكم ما حمّلتم﴾ من طاعته ﴿وإن تطيعوه﴾ يعني: النبي عليه السلام ﴿تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ كقوله: ﴿وما جعلناك عليهم حفيظًا﴾[1] تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها .

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿وليُمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ أي: سينصرهم بالإسلام؛ حتى يظهرهم على الدين كله؛

---

(١) الأنعام: ١٠٧ .

فيكونوا الحكام على أهل الأديان[(١)].

يحيى: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن [سليم][(٢)] بن عامر الكلاعي قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول اللَّه يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدرٍ[(٣)] ولا وَبَر[(٤)]، إلا أدخله اللَّه كلمة الإسلام بعزٍّ عزيز أو ذُلِّ ذليل؛ إما يعزهم اللَّه فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم[(٥)] فيدينون لها»[(٦)]

---

(١) في «ر»: الأوثان.

(٢) تشبه أن تكون في الأصل و«ر»: سليمان. والمثبت هو الصواب، سليم بن عامر الكلاعي هو أبو يحيى الحمصي، ترجمته في تهذيب الكمال (١١/ ٣٤٤-٣٤٦) والحديث حديثه وسيأتي من رواه من طريقه، والاختلاف عليه فيه، وسيأتي على الصواب في تفسير سورة الصف، الآية: ٩ .

(٣) واحدها: مدرة؛ وهي القرية المبنية بالطين واللبن. وأهل المدر: سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام. ينظر لسان العرب (مدر).

(٤) وأهل الوبر: هم أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر، وهو الصوف. لسان العرب (وبر).

(٥) في «ر»: يضلهم.

(٦) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٥١) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٥٤-٢٥٥ رقم ٦٠١) وفي مسند الشاميين (١/ ٣٢٤-٣٢٥ رقم ٥٧٢) وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٩١-٩٢ رقم ٦٦٩٩) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٠) وابن منده في الإيمان (٢/ ٩٨١-٩٨٢ رقم ١٠٨٤) والبيهقي في السنن (٩/ ١٨١) وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٢١٩ رقم ٣٠٣) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر عن المقداد به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وخالف صفوانُ بن عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ فرواه عن سليم بن عامر عن تميم الداري.

خرجه الإمام أحمد (٤/ ١٠٣) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٥٠) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٣١) والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/ ٤٥٨-٤٥٩ رقم ٦١٥٥) والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٧٩ - ٨٠ رقم ٩٥١) والحاكم (٤/ ٤٣٠-٤٣١) وابن منده في الإيمان (٢/ ٩٨٢ رقم ١٠٨٥) والبيهقي (٩/ ١٨١). =

من حديث يحيى بن محمد.

﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت][(١)] يعني: فسق الشرك (ل٢٣٦) ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ أي: لا تحسبنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنحاسبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ

= وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وتابع معاويةُ بن صالح صفوان عليه.

خرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٥٨ رقم ١٢٨٠).

وله شاهد يرويه أبو فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن أبي ثعلبة الخشني. خرجه الحاكم (١/ ٤٨٨-٤٨٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠، ٦/ ١٢٣-١٢٤) وقال الحاكم: هذا حديث رواته مجمع عليهم بأنهم ثقات إلا أبو فروة يزيد بن سنان.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عروة تفرد به أبو فروة.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ٥٣٧) من طريق يحيى بن سعيد القرشي عن أبي فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة الخشني.

قال البخاري في تاريخه الكبير (٦/ ٤٣٦) عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة، روى عنه عروة بن رويم الشامي، في صحة خبره نظر. اهـ

وقال ابن عساكر: روى إبراهيم بن سعيد الجوهري هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأموي عن أبي فروة عن عقبة بن يريم الدمشقي. اهـ

قلت: رواه الحاكم (٣/ ١٥٥) من طريق البغوي عن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي، حدثني يزيد بن سنان، ثنا عقبة بن رويم، قال سمعت أبا ثعلبة الخشني به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. فتعقبة الذهبي فقال: قلت: يزيد ابن سنان هو الرهاوي، ضعفه وقال أحمد وغيره، وعقبة نكرة، لا يعرف. اهـ

وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٦٣): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سنان أبو فروة، وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير.

(١) طمس في حاشية الأصل، والمثبت من «ر».

مَرَّتٍ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ هم المملوكون من الرجال [والنساء](١) الذين يخدمون الرجل في بيته ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني: الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئًا ﴿ثلاث مراتٍ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهو نصف النهار عند القائلة(٢) ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين يحسنون الوصف أن يدخلوا إلا بإذن، إلا ألا يكون للرجل إلى أهله حاجة، ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله الحاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد؛ فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث الساعات إلا بإذن ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناحٌ بعدهن﴾ من بعد هذه الثلاث ساعات، أن تدخلوا بغير إذن ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي: يطوف بعضكم على بعضٍ؛ أي: يدخلون بغير إذن.

قال محمدٌ: (طوافون) مرفوع بمعنى: هم طوافون عليكم بعضكم على بعض؛ أي: يطوف بعضكم على بعض (٣).

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ

---

(١) في الأصل: والإماء. والمثبت من «ر».
(٢) القائلة: الظهيرة، والقيلولة: النوم الظهيرة، ويقال: قيلولة، ومَقِيل. لسان العرب (قيل).
(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٤٥٣)، مجمع البيان (٢/ ١٩٩)، البحر (٦/ ٤٧٢).

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: من احتلم ﴿كذلك﴾ أي: هكذا ﴿يبيِّن الله لكم آياته والله عليمٌ﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا﴾ أي: قد كبرن عن ذلك ولا يردنه ﴿فليس عليهن جناحٌ أن يضعن ثيابهن غير متبرجاتٍ بزينة﴾ يعني: غير متزينة ولا متشوِّفة(١).

قال قتادة: رخص للتي لا تحيض، ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها، وأما التي قد قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحدّ فلا ﴿وأن يستعففن﴾ يعني: اللاتي لا يرجون نكاحًا عن ترك الجلباب ﴿خيرٌ لهن﴾.

قال محمدٌ: القواعد واحدتها: قاعدٌ بلا هاء؛ ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكِبَر(٢)، كما قالوا: امرأةٌ حاملٌ بلا هاءٍ ليدل بحذف الهاء على أنه حمْلُ حبلٍ، وقالوا في غير ذلك: قاعدةٌ في بيتها، وحاملةٌ على ظهرها(٣).

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

---

(١) أي: مُتزيِّنة، ومُتطلِّعة. لسان العرب (شوف).

(٢) أي: القعود عن الولد والحيض. أما القعود الذي هو من القيام؛ فالمفرد: قاعدة، والجمع: قاعدات. لسان العرب (قعد).

(٣) ينظر لسان العرب (حمل).

إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿ليس على الأعمى حرجٌ﴾ تفسير قتادة قال: منعت البيوت زمانًا كان الرجل لا يتضيّف أحدًا ولا يأكل في بيت غيره تأثُّمًا من ذلك.

قال يحيى: بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾(١) قال قتادة: فكان أول من رخص اللَّه له الأعمى والأعرج والمريض، ثم رخص اللَّه لعَامة المؤمنين ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم..﴾ إلى قوله: ﴿أو صديقكم﴾ فقوله: ﴿أو ما ملكتم مفاتحة﴾ قال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنةٌ على بيوت مواليهم. وقوله: ﴿صديقكم﴾ قيل للحسن: الرجل يدخل على الرجل -يعني: صديقه- فيخرج الرجل من بيته ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت؛ فيأكل منه؟ فقال: كُلْ من طعام أخيك.

قال يحيى: لم يذكر اللَّه في هذه الآية بيت الابن، فرأيت أن النبي عليه السلام إنما قال: «أنت ومالك لأبيك»(٢) من هذه الآية.

---

(١) النساء: ٢٩ .

(٢) روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة أم المؤمنين وعمر ابن الخطاب وسمرة بن جندب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .
أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فرواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٤) وأبو داود (٤/ ١٩١ رقم ٣٥٢٤) وابن ماجه (٢/ ٧٦٩ رقم ٢٢٩٢) وابن الجارود في المنتقى (٩٩٥) والطحاوي في شرح المعاني (٤/ ١٥٨) والبيهقي في السنن (٧/ ٤٨٠) من طريق عمرو بن =

قال محمدٌ: وقيل في قوله: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾: أنه أراد من أموال نسائكم ومن ضيعة[(١)] منازلكم والله أعلم.

﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا﴾ تفسير قتادة: قال: كان بنو كنانة يرى أحدهم أن محرّمًا عليه أن يأكل [وحده][(٢)] في [الجاهلية][(٢)] حتى إن كان الرجل ليسوق [الذود الحفل][(٢)] وهو جائع حتى يجد من (ل٢٣٧) يؤاكله ويشاربه، وكان الرجل يتخذ الخيال إلى جنبه إذا لم يجد من يؤاكل ويشارب، فأنزل الله هذه الآية.

﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم﴾ أي: يسلم بعضكم على بعض، وإذا دخل الرجل بيته سلّم عليهم، وإذا دخل بيتًا لا أحد فيه فليقل: سلامٌ علينا وعلى عباد الله الصالحين.

قال قتادة: حُدِّثنا أن الملائكة تردُّ عليه، وإذا دخل على قوم سلم عليهم، وإذا خرج من عندهم سلم وإن مرَّ بهم أو لقيهم سلم عليهم، وإن كان رجلًا واحدًا سلم عليه وإذا دخل المسجد قال: بسم الله سلامٌ على رسول الله، اللّهم اغفر لي ذنبي؛ وافتح لي باب رحمتك، فإن كان مسجدًا كثير الأهل سلم عليهم يسمعُ نفسه، وإن كانوا قليلًا أسمعهم التسليم وإن لم يكن فيه أحدٌ

= شعيب عن أبيه عن جده.

وأما حديث عائشة ﵂ فرواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ١٤٢ رقم ٤١٠) قال ابن الملقن في البدر المنير (٥/ ق٢٨٢-ب) هذا الحديث مروي من طرق أصحها طريق عائشة.

قلت: باقي أحاديث الباب الكلام عليها مستفيض، انظر البدر المنير (٥/ ق٢٨٢-٢٨٤) ونصب الراية (٣/ ٣٣٧-٣٣٩) وغيرهما.

(١) وفي مختار الصحاح (ضيع): قال الأزهري: الضيعة عند الحاضرة: النخل والكرم والأرض، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرفة والصناعة.

(٢) ما بين الأقواس مطموس في الأصل، وأثبته من «ر».

قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربنا.

يحيى: عن الخليل بن مرّة، أن ابن مسعودٍ قال: «إن السلام اسمٌ من أسماء الله وضعه في الأرض؛ فأفشوه بينكم، فإن المرء المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه (كانت له عليهم فضيلة درجة؛ فإنه ذكرهم السلام، فإن لم يردوا عليه ردّ عليه)[1] من هو خير منهم وأطيب: الملائكة»[2].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ

---

(١) سقط من «ر».

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٤ رقم ١٠٤١) وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٤٣٨ رقم ٥٧٩٦) وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٢٩٢-٢٩٣) والخطيب في الموضح (١/ ٤٠٩-٤١٠) والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٣٢ رقم ٨٧٧٩) من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ﷺ موقوفًا.
ورواه البزار (٥/ ١٧٤-١٧٥ رقم ١٧٧٠) والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٢ رقم ١٠٣٩٢) وابن حبان في روضة العقلاء (ص٧٤) والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٣٢ رقم ٨٧٨٠) من طريق ورقاء بن عمر اليشكري عن الأعمش به مرفوعًا.
وضعفه البيهقي من هذا الوجه.
ورواه البزار (٥/ ١٧٤-١٧٥ رقم ١٧٧١) والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٣٢ رقم ٨٧٨٢) من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن الأعمش به مرفوعًا.
ورواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٢ رقم ١٠٣٩١) والبيهقي في الشعب (٦/ ٤٣٢-٤٣٣ رقم ٨٧٨١، ٨٧٨٣) من طريق أيوب بن جابر عن الأعمش به مرفوعًا.
وضعفه البيهقي من هذا الوجه أيضًا.
وقال البزار: وهذا الحديث قد رواه غير واحد موقوفًا، وأسنده ورقاء وشريك وأيوب بن جابر.
وقال الدارقطني في العلل (٥/ ٧٦): والموقوف أصح.
وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ١٥): أخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا، وطريق الموقوف أقوى.

شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا الرسول ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ أي: مخلصين غير منافقين ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ وذكر قتادة: أنها نسخت الآية في براءة ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾[١] وهي عنده في الجهاد؛ فرخص الله للمؤمنين أن يستأذنوا إذا كان لهم عذرٌ .

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾ قال مجاهدٌ: أمرهم أن يدعوه: يا رسول الله؛ في لينٍ وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا﴾ يعني: المنافقين؛ يلوذ بعضهم ببعضٍ استتارًا من النبي حتى يذهبوا.

قال محمدٌ: اللواذ مصدر: لاوذتُ (فعل اثنين)[٢] ولو كان مصدرًا للذتُ لكان لِياذًا[٣].

(١) التوبة: ٤٣، وينظر الناسخ والمنسوخ ص٥٢ .
(٢) في «ر»: على اثنين.
(٣) يقال: لاذ يلوذ لوْذًا ولِيَاذًا. ولاوَذ: مُلاوَذة، ولِواذًا. لسان العرب (لوذ).

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ عن أمر اللَّه، يعني: المنافقين ﴿أن تصيبهم فتنةٌ﴾ بليَّةٌ ﴿أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ﴾ أن يستخرج اللَّه ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهروه شركًا؛ فيصيبهم بذلك القتل ﴿ألا إن للَّه ما في السمٰوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ يعني: المنافقين ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يرجع إليه المنافقون يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من النفاق والكفر ﴿واللَّه بكل شيءٍ عليم﴾.

* * *

تفسير سورة الفرقان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿تبارك﴾ [هو من][1] البركة.

قال محمدٌ: ومعنى البركة عند أهل اللغة: الكثرة في كل ذي خير[2].

﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن، وفرقانه: حلاله وحرامه.

قال محمدٌ: وقيل: سمي فرقانًا؛ لأنه فرَّق بين الحق والباطل، وهو معنى قول يحيى.

﴿على عبده﴾ يعني: محمدًا عليه السلام ﴿ليكون للعالمين﴾ يعني: الإنس والجن ﴿نذيرًا﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿واتخذوا

(١) غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (برك).

من دونه﴾ من دون اللَّه ﴿آلهة﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون﴾ أي: يصنعونها بأيديهم كقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾[1] ﴿ولا يملكون لأنفسم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضرًا ولا نفعًا...﴾ الآية.

﴿إن هذا﴾ يعنون: القرآن ﴿إلا أفك﴾ كذبٌ ﴿افتراه﴾ اختلقه؛ يعنون: محمدًا ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قال الكلبي: يعنون عبد ابن الحضرمي وعدَّاسًا غلام عُتْبة. قال: ﴿فقد جاءوا ظلمًا﴾ أي: شركًا ﴿وزورًا﴾ كذبًا.

(ل٢٣٨) قال محمدٌ: نصب (ظلمًا وزورًا) على معنى: فقد جاءوا بظلم وبزور، فلما سقطت الباء عُدِّي الفعل فنصب[2].

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي: أحاديث الأولين ﴿اكتتبها﴾ محمد من عبد ابن الحضرمي وعدَّاس ﴿فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾.

قال محمدٌ: (أساطير) خبر ابتداء محذوف؛ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين[3]، وواحد الأساطير: أُسطورة[4].

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن

---

(١) الصافات: ٩٥.

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/ ٢٤٢)، البحر المحيط (٦/ ٤٨١)

(٣) ينظر: البحر (٦/ ٤٨٢)، مجمع البيان (٤/ ١٦١).

(٤) الأساطير: الأباطيل. الواحدة: أسطورة، وإسطارة. لسان العرب (سطر).

كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ فيما يدعي ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلَّا ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا﴾ يصدِّقه بمقالته ﴿أو يلقى إليه كنزٌ﴾ فإنه فقير ﴿أو تكون له جنةٌ يأكل منها﴾.

قال محمدٌ: تأويل هذا الاستفهام[١] ونُصِبَ (فيكون) على الجواب بالفاء[٢]، ولا يجوز النصب في ﴿تكون له﴾ لأنه عطف على الاستفهام [٣]؛ المعنى: لولا أنزل إليه ملكٌ أو يلقى إليه كنزٌ أو تكون له جنة.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني: قولهم: إن هذا إلا إفكٌ افتراه، وقولهم: ﴿أساطير الأولين﴾ وقولهم: ﴿مال هذا الرسول...﴾ إلى قوله: ﴿مسحورًا﴾.

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ يعني: مخرجًا من الأمثال التي ضربوا لك؛ في تفسير مجاهد .

﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ وإنما قالوا: هي جنةٌ واحدةٌ ﴿ويجعل لك قصورًا﴾ مشيَّدة في الدنيا، وهذا على مقرإ من لم يرفعها، ومن قرأها بالرفع؛ فالمعنى: وسيجعل لك قصورًا في الآخرة[٤].

---

(١) أي: أن تأويل هذه الآية يكون على الاستفهام.

(٢) أي: نصب بعد فاء السببية.

(٣) أي: أنه مرفوع؛ لأنه ليس معطوفًا على (فيكون) المنصوب. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٤٥٨)، البحر (٦/ ٤٨٣).

(٤) قرأ بالرفع ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر السبعة (٤٦٢)، التيسير (١٦٣)، النشر (٢/ ٣٣٣).

قال محمدٌ: من قرأ بالجزم، فهو على جواب الجزاء؛ المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات، ويجعل لك قصورًا في الآخرة(١).

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾

﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ مسيرة خمسمائة سنة(٢) ﴿سمعوا لها تغيظًا﴾ عليهم ﴿وزفيرًا﴾ صوتًا ﴿وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين﴾ تفسير قتادة: ذُكر لنا أنَّ عبد اللَّه بن عمروٍ كان يقول: «إن جهنم لتُضَيَّق على الكافر؛ كضيق الزُّج(٣) على الرمح». ومعنى (مقرنين): يقرن هو وشيطانه الذي كان يدعوه إلى الضلالة في سلسلةٍ واحدة، يلعن كل واحدٍ منهما صاحبه، ويتبرأ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿دَعوا هنالك ثبورًا﴾ يعني: ويلاً وهلاكًا.

قال محمدٌ: (ثبورًا) نصب على المصدر؛ كأنهم قالوا: ثُبِرْنا ثبورًا(٤).

﴿لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا﴾.

قال محمدٌ: (ثبورًا) للقليل والكثير على لفظ الواحد؛ لأنه مصدرٌ(٥).

---

(١) ينظر تفصيل ذلك نحويًا من إعراب القرآن (٢/ ٤٥٩)، البحر (٦/ ٤٨٤)، مجمع البيان (٤/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) في «ر»: مائة سنة.

(٣) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح والجمع: زِجَجة، وزِجاج. لسان العرب (زجج).

(٤) ينظر: الدر المصون (٥/ ٢٤٦).

(٥) لسان العرب (ثبر).

﴿أذلك خيرٌ أم جنة الخلد﴾ قاله على الاستفهام؛ أي: أن جنة الخلد خيرٌ من ذلك.

﴿كان على ربك وعدًا مسئولاً﴾ سأل المؤمنون اللَّه الجنة؛ فأعطاهم إياها.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون اللَّه فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ على الاستفهام، وقد علم أنهم لم يضلوهم. قال مجاهد: يقوله لعيسى وعزير والملائكة ﴿أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك﴾ ينزهون اللَّه عن ذلك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي: لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذابٍ ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى تركوا الذكر لمَّا جاءهم في الدنيا ﴿وكانوا قومًا بورًا﴾ أي: هلكًا.

قال محمدٌ: يقال: رجلٌ بورٌ، وقومٌ بورٌ؛ لا يجمع ولا يثنَّى. هذا الاختيار فيه[1]، وأصل البائر: الفاسد؛ يقال: أرضٌ بائرة؛ أي: متروكة من أن يزرع

(١) وقيل: (بور) جمع (بائر) مثل حائل وحول. وقيل: إنه لغة لا جمع لبائر، كما يقال: أنت بشر، وأنتم بشر. لسان العرب (بور).

فيها شيء، وبارت الأيم: إذا لم يُرغَبْ فيها[١].

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أنهم آلهةٌ ﴿فما يستطيعون صرفًا ولا نصرًا﴾ لا تستطيع لهم آلهتهم صرفًا للعذاب ولا نصرًا.

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ وهذا جوابٌ للمشركين (ل٢٣٩) حين قالوا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ تفسير بعضهم: يعني: الأنبياء وقومهم ﴿أتصبرون﴾ يعني: الرسل على ما يقول لهم قومهم.

قال محمدٌ: في هذا إضمارٌ: أتصبرون اصبروا؛ كذلك قال ابن عباس.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يعني: لا يخشون البعث ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فيشهدوا أنك رسول الله ﴿أو نرى ربنا﴾ معاينةً؛ فيخبرنا أنك رسول الله قال الله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم...﴾ الآية.

﴿يوم يرون الملائكة﴾ وهذا عند الموت ﴿لا بشرى يومئذٍ للمجرمين﴾ للمشركين بالجنة ﴿ويقولون حجرًا محجورًا﴾ تفسير قتادة: حرامًا محرمًا على الكافرين البشرى يومئذ بالجنة.

---

(١) ينظر لسان العرب (بور).

قال محمدٌ: (يوم يرون) منصوبٌ على معنى: يقولون يوم يرون الملائكة[١]، ثم أخبر فقال: ﴿لا بشرى...﴾ الآية، وإنما قيل للحرام: حجرٌ[٢]؛ لأنه حجر عليه بالتحريم، ثم يقال: حجرت حجرًا، واسم ما حجَّرْت عليه حجر.

﴿وقدمنا﴾ أي: عمدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ أي: حسنٍ ﴿فجعلناه هباءً منثورًا﴾ في الآخرة. تفسير مجاهد: هو الشعاع الذي يخرج من الكُوَّة.

قال محمدٌ: واحد الهباء: هباءةٌ، والهبَاء: المنبثُّ ما سطع من سنابك الخيل، وهو من الهبوةُ والهَبْوة: الغبار[٣].

﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا﴾ من مستقر المشركين ﴿وأحسن مقيلاً﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ هذا بعد البعث فتراها واهية متشقِّقة كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبوابًا﴾[٤] ويكون الغمام سُترةً بين السماء والأرض ﴿ونزل الملائكة تنزيلا﴾ مع الرحمن ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ يقول: تخضع الملائكة يومئذ لملك الله، والجبابرة لجبروت الله .

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا

---

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/ ٤٦٢-٤٦٣)، البحر (٦/ ٤٩٢).
(٢) الحجر -بكسر الحاء وضمها وفتحها- الحرام. والكسر أفصح. لسان العرب (حجر).
(٣) وقيل: الهباء: دقاق التراب، والهبوة: الغبرة. لسان العرب (هبو).
(٤) النبأ: ١٩ .

نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿ويوم يعض الظالم﴾ يعني: أُبيّ بن خلف ﴿على يديه﴾ أي: يأكلها ندامةً.

قال مجاهد: كان أُبيُّ بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي مُعَيْطٍ عن ذلك، فهو قول أبي بن خلف في الآخرة.

﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾ يعني: محمدًا ﴿سبيلاً﴾ إلى الله باتِّباعه ﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً﴾ يعني: عقبة بن أبي معيط ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ قال الله: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾ يأمره بمعصية الله، ثم يخذله في الآخرة ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي﴾ يعني: من لم يؤمن به ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾ تفسير مجاهد: يقول: يهجرون بالقول فيه.

قال محمدٌ: معنى قول مجاهد: جعلوه بمنزلة الهُجرِ، والهُجر: الهذيان وما لا ينتفع به من القول؛ يقال: فلان يهْجُر في منامه؛ أي: يهذي[1].

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا من المجرمين﴾ يعني: المشركين يعزِّي نبيه ﴿وكفى بربك هاديًا﴾ إلى دينه ﴿ونصيرًا﴾ للمؤمنين على أعدائهم ﴿وقال الذين كفروا لولا﴾ هلَّا ﴿نُزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي: كما نزل على موسى وعلى عيسى، قال الله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ يعني: وبينّاه تَبيينًا.

---

(١) والهجر بفتح الهاء وضمها: الهذيان. وبضم الهاء: الاسم من الإهجار، وهو الخنى والإفحاش في المنطق. لسان العرب، القاموس المحيط (هجر).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

قال قتادة: نزل في ثلاثٍ وعشرين سنة ﴿ولا يأتوك بمثل﴾ يعني: المشركين فيما كانوا يحاجُّونه به ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا﴾ تبيينًا ﴿أولئك شرٌّ مكانًا﴾ من أهل الجنة ﴿وأضل سبيلاً﴾ طريقًا في الدنيا؛ لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيرًا﴾ أي: عونًا وعضُدًا وشريكًا في الرسالة.

﴿فدمَّرناهم﴾ أي: فكذبوهما ﴿فدمرناهم تدميرًا﴾ أهلكناهم إهلاكًا ﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿لمَّا كذبوا الرسل﴾ يعني: نوحًا ﴿وعادًا وثمودًا﴾[1] أي: وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وأصحاب الرَّسِّ﴾ قال مجاهد: الرسُّ بئر كان عليها ناسٌ[2].

قال يحيى: ويلغني أن الذي أرسل إليهم شعيبٌ [وأنه][3] أرسل إلى أهل مدين، وإلى [أهل][3] الرّس جميعًا.

---

(١) قرأ حفص وحمزة ويعقوب ﴿ثمودَ﴾ بغير تنوين، وقرأ الباقون ﴿ثمودًا﴾ بالتنوين. النشر (٢/ ٢٨٩ - ٢٩٠) وإتحاف الفضلاء (٤١٧).

(٢) والرس في اللغة: هو البئر المطوية بالحجارة. لسان العرب (رسس).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وقرونًا بين ذلك كثيرًا﴾ أي: وأهلكنا قرونًا يعني: أممًا. قال قتادة: القرن: سبعون سنة[1] ﴿وكلًا﴾ يعني: من ذكر ممن مضى (ل٢٤٠) ﴿ضربنا به الأمثال﴾ أي: خوفناهم العذاب ﴿وكلًا تبرنا﴾ أهلكنا ﴿تتبيرًا﴾ إهلاكًا بتكذيبهم رسلهم.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولقد أتوا﴾ يعني: مشركي العرب ﴿على القرية التي أُمطرت مطر السوء﴾ يعني: قرية قوم لوطٍ، ومطر السوء: الحجارة التي رُمِي بها من السماء من كان خارجًا من المدينة، وأهل السفر منهم قال: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيتفكروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم؛ أي: بلى قد أتوا عليها ورأوها.

﴿بل كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿نشورًا﴾ بعثًا ولا حسابًا.

﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ على عبادتها، قال اللَّه: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ إذ يرون العذاب في الآخرة ﴿من أضل سبيلاً﴾ أي: من كان أضل سبيلاً في الدنيا؛ أي: سيعلمون أنهم كانوا أضل سبيلاً من محمد ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

---

(١) وقيل: ثمانون سنة. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل: مائة سنة. وقيل: غير ذلك. مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

قال محمدٌ: يقول: يتبع هواه ويدع الحق؛ فهو له كالإله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلًا﴾ حفيظًا تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به؛ أي: أنك لست بربٍّ، إنما أنت نذير .

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ فيما يعبدونه ﴿بل هم أضل سبيلًا﴾ يعني: أخطأ طريقًا ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل﴾ مدَّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكنًا﴾ أي: دائمًا لا يزول ﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾ أي: على الظلّ ﴿دليلًا﴾ أي: تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه [كله][1] ﴿ثم قبضناه﴾ يعني: الظل ﴿إلينا قبضًا يسيرًا﴾ أي: يسيرًا علينا ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا﴾ يعني: سكنًا يسكن فيه الخلق ﴿والنوم سُباتًا﴾ يسبت النائم حتى لا يعقل.

قال محمدٌ: أصل السَّبْتِ: الراحة[2].

﴿وجعل النهار نشورًا﴾ ينشر فيه الخلق لمعايشهم وحوائجهم ﴿وهو الذي

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وكذلك السُّبات، ويجمع السَّبت على سُبوت، وأسبُت. لسان العرب(سبت).

أرسل الرياح نُشُرًا[١] بين يدي رحمته﴾ يعني: المطر.

قال محمدٌ: (نُشُرًا) بالضم جمع: نَشُور؛ مثل: رسُول ورُسُل[٢].

﴿وأنزلنا من السماء ماءً﴾ يعني: المطر ﴿طهورًا﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة ﴿لنحيي به بلدةً ميتًا﴾ يعني: اليابس التي لا نبات فيها.

قال محمدٌ: (ميتًا) ولفظ (البلدة) مؤنث؛ لأن معنى البلد والبلدة واحد[٣].

﴿ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا﴾

قال محمدٌ: (أناسي) جمع إنسي؛ مثل: كرسي وكراسي[٤].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي: قسمناه؛ يعني: المطر؛ مرّة لهذه البلدة، ومرّة لبلدةٍ أخرى ﴿ليذكروا﴾ بهذا المطر؛ فيعلموا أن الذي أنزل من المطر الذي

---

(١) هكذا في الأصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع، ويؤيد هذه القراءة (نشُرا) بضم النون والشين ما ورد بعدها من قول محمد. ويحتمل أن تكون القراءة (نشْرا) بضم النون وإسكان الشين؛ لأن رسول يجمع على رسل ورُسْل؛ بضم السين وإسكانها، وهذه قراءة ابن عامر. وكذلك القول في آية الأعراف: ٥٧ .

(٢) ومفرد(نشر): نَشُر وناشر؛ مثل شاهد وشهد وشهود. ينظر لسان العرب (نشر).

(٣) الدر المصون (٥/ ٢٥٧) وقد تقدم مثل هذا.

(٤) والإنسيُّ نِسبة إلى الإنْس، وهو أيضًا واحد الإنس. لسان العرب (أنس).

يعيش به الخلق، وينبت به النبات في الأرض اليابسة -قادر على أن يحيي الموتى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورًا﴾ قال سفيان الثوري: يقولون: مُطِرنا بنوء كذا.

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا﴾ رسولًا ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ينهونك عنه من طاعة اللَّه ﴿وجاهدهم به﴾ بالقرآن، وهذا الجهاد باللسان من قبل أن يؤمر بقتالهم.

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي: أفاض أحدهما في الآخر ﴿هذا عذب فرات﴾ أي: حلوٌ ﴿وهذا ملح أجاجٌ﴾ أي: مُرٌّ ﴿وجعل بينهما برزخًا﴾ أي: حاجزًا لا يرى؛ لا يغلب المالح على العذب، ولا العذب على المالح. ﴿وحجرًا محجورًا﴾ حرامًا محرمًا أن يغلب أحدهما على الآخر[1].

﴿وهو الذي خلق من الماء بشرًا﴾ خلق من النطفة إنسانًا ﴿فجعله نسبًا وصهرًا﴾.

قال محمدٌ: يعني: قرابة النسب وقرابة النكاح.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيرًا﴾ أي: عوينًا؛ يقول: يظاهر الشيطان على ترك أمر ربه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

---

(١) الحجر -بضم الحاء وفتحها وكسرها-: الحرام، والكسر أفصح. لسان العرب (حجر).

عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾

﴿وما أرسلناك إلا مبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من عذاب اللَّه في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا﴾ يقول: إنما جئتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن بربه سبيلًا بطاعته ﴿الرحمن فاسأل به خبيرًا﴾ أي: خبيرًا [بالعباد][(١)].

قال محمدٌ: من قرأ (الرحمنُ) بالرفع[(٢)] فعلى الابتداء[(٣)] (والخبر ﴿فاسأل به﴾.

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورًا﴾ أي: زادهم قولهم اسجدوا للرحمن)[(٤)] (ل٢٤١) نفورًا عن القرآن .

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجًا﴾ (أي: نجومًا؛ يعني: نفسه جلّ وعزّ)[(٤)] ﴿وجعل فيها سراجًا﴾ يعني: الشمس ﴿وقمرًا منيرًا﴾ مضيئًا ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا﴾ تفسير الحسن: يقول: من عجز في الليل كان له في النهار مستعتب، ومن عجز في

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) وهي قراءة العامة، وقرأ زيد بن علي بالجر. ينظر: البحر (٦/ ٥٠٨)، الكشاف (٣/ ٩٨).
(٣) ينظر: البحر (٦/ ٥٠٨)، مجمع البيان (٢/ ٢٠٧)، الدر المصون (٥/ ٢٦٠).
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

النهار كان له في الليل مستعتب.

قال محمدٌ: قوله: ﴿خلفة﴾ يعني: يخلف هذا هذا، ومثله قول زهير:

بها الْعِينُ والآرامُ يمشين خِلفَةً وأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]

الريم: ولد الظبي، وجمعه: آرامٌ[2]، يقول: إذا ذهب فوجٌ جاء فوجٌ.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ تفسير الحسن: مدح اللَّه المؤمنين وذم المشركين؛ فقال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ أي: حلمًا، يعني: المؤمنين، وأنتم أيها المشركون لستم بحُلَمَاء، والهوْن في كلام العرب: اللين والسكينة[3].

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ تفسير مجاهد قالوا: سدادًا ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا﴾ يعني: يصلون، وأنتم أيها المشركون لا تصلون.

قال يحيى: بلغني أنه من صلى من الليل ركعتين، فهو من الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا.

---

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان زهير (١٠٣).
(٢) وأيضًا أرْآم. لسان العرب (رأم).
(٣) لسان العرب (هون).

﴿إنَّ عذابها كان غرامًا﴾ أي: لزامًا.

قال محمدٌ: الغرام في اللغة: أشدُّ العذاب، ومنه قولهم: فلان مغرمٌ بالنساء؛ أي: مهلكٌ بهن[١].

﴿إنها ساءت مستقرًا ومقامًا﴾ أي: بئس المستقر هي والمنزل.

قال محمدٌ: (مستقرًا ومقامًا) منصوبان على التمييز؛ المعنى: أنها ساءت في المستقر والمقام[٢].

﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ تفسير قتادة: الإسراف: النفقة في معصية اللَّه، والإقتار: الإمساك عن حق اللَّه.

﴿وكان بين ذلك قوامًا﴾ وهذه نفقة الرجل على أهله.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع اللَّه إلهًا آخر﴾ قال الحسن: خاف قومٌ أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية؛ فأتوا رسول اللَّه وذكروا الفواحش، وقالوا: قد قتلنا وفعلنا؛ فأنزل اللَّه ﴿والذين لا يدعون﴾ أي: لا يعبدون ﴿مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم اللَّه إلا بالحق﴾ يعني:

---

(١) لسان العرب (غرم).

(٢) ينظر: الدر المصون (٥/ ٢٦٣)، البحر (٦/ ٥١٤).

بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون﴾ يعني: بعد إسلامهم ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ قال قتادة: يعني: نكالًا ﴿يضاعف له العذاب﴾.

قال محمدٌ: تأويل الأثام في اللغة: المجازاة على الشيء، يقال: قد لقي أثام ذلك؛ أي جزاء ذلك، ومن قرأ ﴿يضاعف له العذاب﴾ بالجزم فلأن مضاعفة العذاب لقي الأثام. ومن قرأ: (يضاعفُ)[1] بالرفع فعلى معنى التفسير؛ كأن قائلًا قال: ما لقي الأثام، فقيل: يضاعف للآثم العذاب .

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا﴾ قال قتادة: ﴿إلا من تاب﴾ أي: رجع من ذنبه ﴿وآمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحًا﴾ فيما بينه وبين اللَّه ﴿فأولئك يبدل اللَّه سيئاتهم حسنات﴾ فأمَّا التبديل في الدنيا: فطاعة اللَّه بعد عصيانه، وذكر اللَّه بعد نسيانه ﴿ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى اللَّه متابًا﴾ أي: يقبل توبته إذا تاب قبل الموت .

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ الشرك ﴿وإذا مروا باللغو﴾ الباطل وهو ما فيه المشركون ﴿مروا كرامًا﴾ أي: ليسوا من أهله ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ يعني: القرآن ﴿لم يخروا عليها صُمًّا وعميانًا﴾ أي: لم يصمُّوا عنها،

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء، وقرأ الباقون بجزمها. النشر (٢/ ٣٣٤)، وإتحاف الفضلاء (٤١٨ - ٤١٩).

ولم يعمَوْا عنها .

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي: يرونهم مطيعين للَّه ﴿واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ يؤْتم بنا في الخير. ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ كقوله: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾[1] . ﴿ويلقون فيها تحيةً وسلامًا﴾ التحية: السلام.

﴿قل ما يعبؤا بكم﴾ ما يفعل بكم ﴿ربي لولا دعاؤكم﴾ لولا توحيدكم ﴿فقد كذبتم﴾ يعني: المشركين ﴿فسوف يكون لزامًا﴾ أي: أخذًا بالعذاب يعدهم يوم بدر؛ فألزمهم اللَّه يوم بدر عقوبة كفرهم وتكذيبهم فعذبهم بالسَّيف.

* * *

(١) سبأ: ٣٧ .

(ل٢٤٢) تفسير سورة طسم الشعراء
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿طسم﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسيرها، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون فيها: أسماء السور وفواتحها ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البيِّن ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن؛ أي: فلا تفعل ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾ يعني: فصارت أعناقهم ﴿لها خاضعين﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية، فهذا جوابٌ لقولهم.

قال محمدٌ: (فظلت) معناه: فتظل أعناقهم؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل؛ تقول: إن تأتني أكرمتك؛ معناه: أكرمك[1].

﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ يعني: القرآن ﴿من الرحمن محدث إلا كانوا عنه

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٦-٢٧٧)، البحر (٧/ ٥-٦) مجمع البيان (٤/ ١٨٤).

معرضين﴾ يقول: كلما نزل من القرآن شيءٌ جحدوا به ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم﴾ في الآخرة ﴿أنباء﴾ أخبار ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ في الدنيا؛ يقول: فسيأتيهم تحقيق ذلك الخبر بدخولهم النار ﴿أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوجٍ كريم﴾ يعني: من كل صنف حسن؛ فالواحد منه زوجٌ ﴿إن في ذلك لآية﴾ لمعرفة بأن الذي أنبت هذه الأزواج في الأرض قادرٌ على أن يحيي الموتى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ يعني: من مضى من الأمم ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الرحيم﴾ بخلقه، فأما المؤمن فتتم عليه الرحمة في الآخرة، وأما الكافر فهو ما أعطاه في الدنيا، فليس له إلا رحمة الدنيا؛ فهي زائلةٌ عنه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري﴾ ولا ينشرح بتبليغ الرسالة فشجعني؛ حتى أبلغها. ﴿ولا ينطلق لساني﴾ للعقدة التي كانت فيه. يقرأ بالرفع: (ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني)، وبالنصب: (ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني)[1] أي: إني أخاف أن يكذبون، وأخاف أن يضيق صدري

(١) قرأ العامة بالرفع، وقرأ بالنصب يعقوب والأعرج وطلحة وغيرهم. ينظر البحر (٧/ ٧)، النشر (٢/ ٣٣٥)، الإملاء (٢/ ٩٠).

ولا ينطلق لساني.

قالَ محمدٌ: ومن قرأهما بالرفع فعلى الابتداء[1].

﴿فأرسل إلى هارون﴾ [كقوله][2] ﴿وأشركه في أمري﴾ ﴿ولهم عليَّ ذنبٌ﴾ أي: ولهم عندي؛ يعني: القبطي الذي قتله خطأ حيث وكزه، قال الله: ﴿كلا﴾ أي: ليسوا بالذين يصلون إلى قتلك؛ حتى تبلغ عني الرسالة، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ يقوله لموسى وهارون، وهي كلمةٌ من كلام العرب، يقول الرجل للرجل: من كان رسولك إلى فلانٍ؟ فيقول: فلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ.

قال محمدٌ: الرسول قد يكون بمعنى الجميع؛ وإلى هذا ذهب يحيى، وقد يكون أيضًا بمعنى الرسالة[3]؛ ومنه قول الشاعر:

لقد كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا فُهت عندهم ... بسوءٍ ولا أرسَلْتهم بِرسُولِ[4]

أي: برسالة؛ فمن تأول: (إنَّا رسولُ) على معنى: رسالة، يقول: المعنى: إنا ذَوَا رسالةِ رب العالمين.

﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ فلا تمنعهم من الإيمان، ولا تأخذ منهم الجزية ﴿قال ألم نربك فينا وليدًا﴾ أي: عندنا صغيرًا.

---

(١) البحر (٧/ ٧-٨)، مجمع البيان (٤/ ١٨٦)، القرطبي (١٣/ ٩٢).

(٢) من «ر»، والآية من سورة طه، رقم: ٣٢ .

(٣) ينظر لسان العرب (رسل).

(٤) البيت من بحر الطويل، وهو لكثير عزة. ويروى . . .(ما بُحت). . . إلخ. بدل (ما فهت). ويروى (بسرّ) بدل (بسوء). ينظر ديوانه (١١٠)، واللسان (رسل) وروي فيه (بليلى) بدل (بسر)، وفي الديوان (برسيل) مكان (برسول).

قال ابن عباس: لمَّا دخل موسى على فرعون عرفه عدوُّ اللَّه، فقال: ألم نربك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين لم تدَّع هذه النبوة.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني: وقتلت النفس التي قتلت.

قال محمدٌ: الأجود في القراءة والأكثر: (وفعلت فعلتك) بفتح الفاء[1]؛ لأنه يريد: قتلت النفس قتْلتك؛ على مذهب المرَّة الواحدة[2].

﴿وأنت من الكافرين﴾ يعني: لنعمتنا، أي: إنا ربَّيناك صغيرًا، وأحسنَّا إليك ﴿قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين﴾ (ل٢٤٣) تفسير قتادة: يعني: من الجاهلين، وكذلك هي في بعض القراءة[3] ﴿فوهب لي ربي حكمًا﴾ يعني: النبوة ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علَيَّ أن عبَّدت بني إسرائيل﴾ موسى يقوله لفرعون، أراد: ألَّا يسوغ عدو اللَّه ما امتن به عليْه؛ يقول: أَتَمُنُّ عليَّ بأن اتخذت قومي عبيدًا وكانوا أحرارًا، وأخذت أموالهم فأنفقت عليّ مَنها وربَّيْتني بها، فأنا أحقُّ بأموال قومي منك.

قال محمدٌ: قوله: ﴿عبّدت﴾ يقال منه: عبْدٌ معبَّدٌ ومُسْتَعْبَدٌ، وعبَّدتُ

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ الشعبي بكسر الفاء. ينظر: البحر (٧/ ١٠)، المحتسب (٢/ ١٢٧)، الجامع للقرطبي (١٣/ ٩٤).

(٢) أي: اسم المرَّة. ينظر الدر المصون (٥/ ٢٧٠).

(٣) وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. ينظر البحر (٧/ ١١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٩)، جامع القرطبي (١٣/ ٩٥).

الغلام وأعْبَدته؛ أي: اتخذته عبدًا[١]. وقال حاتم[٢]:

إِذَا كَانَ بَعْضُ المَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ[٣]

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ

---

(١) لسان العرب (عبد).

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عدي شاعر جاهلي، فارسي جواد، يضرب به المثل في الجود، توفي حوالي (٤٦ق هـ) ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٢/ ١٥١)

(٣) ينظر: ديوانه (ص١٤)، والأغاني (١٧/ ٣٨٧).

ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله: ﴿قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم﴾ فيما يدَّعي ﴿لمجنون﴾.

﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبين ...﴾ إلى قوله: ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ قد مضى تفسير قصتهم في سورة الأعراف[1] ﴿قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون﴾.

قال محمدٌ: ﴿لا ضَيْرَ﴾ وهو من: ضاره يضوره ويضيره؛ بمعنى: ضرَّه؛ أي: لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا[2].

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ بأن كُنَّا ﴿أول المؤمنين﴾ من السَّحرة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

---

(١) الأعراف: ١٢٣- ١٢٧.

(٢) لسان العرب (ضور).

فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه ﴿إن هؤلاء لشرزمةٌ قليلون﴾ أي: هم قليلٌ في كثير.

قال محمدٌ: معنى ﴿شرذمة﴾: طائفة، وأصْل الكلمة: القِلَّة[١].

قال قتادة: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع موسى بهم البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل.

قال الحسن: سوى الحشم. وكان مُقَدِّمةُ فرعون ألف ألف حصان، ومائتي ألف حصان ﴿وإنهم لنا لغائظون وإنَّا لجميع حَذِرون[٢]﴾ وتقرأ: ﴿حاذِرُون﴾.

قال محمدٌ: والحاذر عند أهل اللغة: المستَعِدُّ، والحَذِرُ: المتيقِّظُ[٣].

﴿فأخرجناهم من جناتٍ وعيون وكنوز﴾ أي: أموال ﴿ومقام كريم﴾ منزل حسن ﴿كذلك﴾ أي: هكذا كان الخبر. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ رجعوا إلى مصر بعد ما أهلك اللَّه فرعون وقومه؛ في تفسير الحسن ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ يعني: حين أشرقت الشمْسُ؛ رجع إلى أوَّل القصة.

---

(١) أي الجماعة القليلة، والجمع: شراذم. لسان العرب (شرذم).

(٢) وهي قراءة ابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وابن كثير. وقرأ الباقون (حاذرون).
ينظر: السبعة (٤٧١)، النشر (٢/ ٢٣٥)، التيسير (١٦٥).

(٣) ويقال أيضًا: رجل حَذُر وحاذورة؛ أي: متيقظ. لسان العرب (حذر).

قال محمدٌ: معنى ﴿أتبعوهم﴾: لحقوهم[١]، ويقال: أشرقنا؛ أي: دخلنا في الشروق؛ كما يقال: أمسينا وأصبحنا: دخلنا في المساء والصباح، ويقال: شَرَقَتْ الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت وصَفَت[٢].

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ﴿قال﴾ موسى ﴿كلَّا إن معي ربي سيهدين﴾ إلى الطريق ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ جاءه جبريل على فرسٍ، فأمره أن يضرب البحر بعصاه؛ فضربه ﴿فانفلق﴾ البحر ﴿فكان كل فرقٍ كالطود العظيم﴾ والطَّوْدُ: الجبل[٣].

قال قتادة: صار اثني عشر طريقًا لكل سِبْطٍ طريقٌ، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطير ينظر بعضهم إلى بعضٍ ﴿وأزلفنا ثَمَّ الآخرين﴾ قال قتادة: يقول: أَدْنَيْنَا فرعون وجنوده إلى البحر. قال قتادة[٤]: يقال: أزلفني كذا؛ أي: أدناني منه[٥] ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة لمن اعتبر وحذر أن ينزل به ما نزل بهم .

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ

---

(١) لسان العرب (تبع).
(٢) ينظر ذلك كله من لسان العرب (شرق).
(٣) أي: الجبل العظيم الذاهب صُعُدًا في الجو، ويشبه به غيره من كل مرتفع أو عظيم أو راسخ، والجمع: أطواد، وطِوَدَة. لسان العرب (طود).
(٤) في «ر»: محمد.
(٥) ينظر لسان العرب (زلف).

ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فنظل لها عاكفين﴾ أي: نصير مقيمين على عبادتها.

﴿قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون﴾ أي: أنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ﴿فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين﴾ أي: إلا من عبد رب العالمين من آبائكم الأوَّلين؛ فإنه ليس لي بعدوٌّ؛ هذا تفسير الحسن ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ يعني: الذي خلقني وهداني ﴿والذي أطمع﴾ وهذا طمع يقين ﴿أن يغفر لي خطيئتي﴾ يعني: قوله: ﴿إني سقيمٌ﴾[1] وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾[2] وقوله لسارة: إن سألوك فقولي أنك أختي ﴿يوم الدين﴾ يريد: يدين اللَّهُ الناسَ فيه بأعمالهم (ل٢٤٤) أي: يجازيهم ﴿رب هب لي حكمًا﴾ أي: ثبتني على النبوة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ يعني أهل الجنَّة.

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾

(١) الصافات: ٨٩.
(٢) الأنبياء: ٦٣.

وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرينِ﴾ فليس من أهل دينٍ إلا وهم يتولَّوْنه ويحبُّونه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ وهو اسمٌ من أسماء الجنة.

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قال هذا في حياة أبيه، وكان في طمع من أن يؤمن، فلما تبيَّن له أنه من أهل النار لم يدعُ له ﴿إلا من أتى اللَّه بقلب سليم﴾ من الشرك.

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: أُدنيت ﴿وبُرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للغاوين﴾ للمشركين.

﴿(وقيل لهم)[1] أين ما كنتم تعبدون من دون اللَّه﴾ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة من عبدوا من دون اللَّه ﴿هل ينصرونكم﴾ يعني: هل يمنعونكم من عذاب اللَّه؟ ﴿أو ينتصرون﴾ يمتنعون.

﴿فكُبكبوا فيها﴾ أي: قذفوا فيها؛ يعني: المشركين ﴿هم والغاوون﴾ يعني: الشياطين.

قال محمدٌ: ﴿فكبكبوا﴾ أصله: كُبِّبوا؛ من قولك: كبَبْت الإناء، فأبدل من الباء الوُسْطي كافًا؛ استثقالًا لاجتماع ثلاث باءات[2].

---

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/ ٢٨٠).

﴿قالوا﴾ قال المشركون للشياطين ﴿وهم فيها يختصمون﴾ وخصومتهم تبرُّؤُ بعضهم من بعض، ولعْن بعضهم بعضًا ﴿تاللَّه إن كنا﴾ في الدنيا. أي: لقد كنا في الدنيا ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بيِّن.

﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ أي: نتخذكم آلهة ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ يعني: الشياطين ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا اليوم عند اللَّه ﴿ولا صديق حميم﴾ قريب القرابة، فيحمل عنا؛ كما كان يحمل الحميم عن حميمه في الدنيا؛ قالوا هذا حين شُفِع للمذنبين من المؤمنين؛ فأخرجوا منها ﴿فلو أن لنا كرَّة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فنكون من المؤمنين﴾.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٢) ﴾

﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ يعني: نوحًا ﴿إذ قال لهم أخوهم نوحٌ﴾ أخوهم في النَّسَبِ، وليس بأخيهم في الدين.

﴿وما أسألكم عليه﴾ على ما جئتكم به من الهدى ﴿أجرًا﴾.

﴿إن أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾ .

﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ يعني: السَّفلة ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ أي: بما يعملون، إنما نقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علمٌ.

﴿قالوا لئن لمْ تنته يا نوحُ لتكونن من المرجومين﴾ قال قتادة: يعني: بالحجارة فلنقتلنَّك بها ﴿فافتح بيني وبينهم فتحًا﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاءً؛ وهذا حين أُمِرَ بالدعاء عليهم، فاسْتُجيب له فأهلكهم اللَّه .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾

﴿أتبنون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم ﴿بكل ريع﴾ بكل فجٍّ ﴿آية﴾ أي: علمًا ﴿تعبثون﴾ أي: تلعبون.

قال محمدٌ: الريعُ: الارتفاعُ من الأرض(١).

قال الشماخُ(٢):

---

(١) وقيل: المرتفع من الأرض. والجمع: رُيُوع وأرياع، ورِياع. ينظر: لسان العرب (ريع).

(٢) هو الشماخ بن ضرار الذبياني من طبقة النابغة، كان من أرجز الناس على البديهة (ق٢٢هـ) تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٣/ ١٧٥).

سقى دار سُعْدَى حيثُ شطَّ بها النوى فأنعم منها كل ربعٍ وفَدْفَد[١]

قوله: ﴿وتتخذون مصانع﴾ يعني: القصور؛ ويقال: مصانع (للماء)[٢] ﴿لعلكم تخلدون﴾ في الدنيا؛ أي: لا تخلدون فيها، وفي بعض القراءة (كأنكم خالدون)[٣].

﴿وإذا بطشتم﴾ بالمؤمنين ﴿بطشتم جبارين﴾ يعني: قتَّالين بغير حق.

﴿إن هذا إلا خُلُق الأوَّلين﴾ يقول: خُلُقهم الكذب، وتقرأ: إن هذا إلا (خَلْق الأوَّلين)[٤] أي: هكذا كان الخَلْق قبْلنا ونحن مثلهم، عاشوا ما عاشوا، ثم ماتوا ولا بعث عليهم ولا حساب.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾

---

(١) لم أجده في ديوان الشماخ، والبيت من بحر الطويل.

(٢) في «ر»: مصانع لها.

(٣) هي ليست منسوبة إلى قارئ فيما وقفت عليه من مصادر، ينظر: البحر (٧/ ٣٢)، جامع القرطبي (١٣/ ١٢٤).

(٤) بفتح الخاء وإسكان اللام من (خَلْق)، وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، والكسائي. ينظر: السبعة (٤٧٢)، التيسير (١٦٦)، النشر (٢/ ٣٣٥).

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿أتتركون فيما ها هنا آمنين﴾ على الاستفهام؛ أي: لا تتركون فيه ﴿ونخل طلعها هضيم﴾ هشيمٌ؛ أي: إذا مُسَّ تهشم للينه[1]؛ هذا تفسير مجاهد ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين﴾ قال مجاهد: يعني: شرهين وهو من شَرَهِ النَّفْس ﴿إنما أنت من المسحَّرين﴾ تفسير الحسن ومجاهد: يعني: من المسحورين.

قال محمدٌ: كأنه فُعِل ذلك به مرّة بعد مرة، ولذلك شُدِّد[2].

﴿ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأتِ بآية إن كنت من الصادقين﴾ قالوا له: إن كنت صادقًا فأخرجْ لنا من هذه الصخرة ناقةً، وكانت صخرة يحلبون عليها اللَّبَن في سنتهم؛ فدعا اللَّه فتصدَّعت الصّخرة (ل٢٤٥) فخرجت منها ناقة عُشَراء فنتجت فصيلًا.

قال محمدٌ: (عُشراء) يعني: حاملًا قريبة الولادة[3].

﴿قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يومٍ معلوم﴾ كانت تشرب الماء يومًا ويشربونه يومًا؛ حتى إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم، وكان سبب عقرهم إياها: كانت تضر بمواشيهم كانت المواشي إذا رأتها هربت منها؛ فإذا كان الصَّيْف صافت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه، وهبطت مواشيهم إلى بطن الوادي في جدْبه

(١) لسان العرب (هضم).
(٢) يقال: سحَّر فلانًا: أي: سحره مرةً بعد مرة حتى تخبَّل عقله. لسان العرب (سحر).
(٣) وقيل: العُشَراء: ما مضى على حملها عشرة أشهر. والجمع: عِشار. لسان العرب (عشر).

وحرّه، وإذا كان الشتاء شتَّت الناقة في بطن الوادي في دفئه وخصبه، وصعدت مواشيهم إلى ظهر الوادي في جذْبه وبَرْده؛ حتى أضرَّ ذلك بمواشيهم للأمر الذي أراد اللَّه، فبينما قوم منهم يومًا يشربون الخمْر، ففني الماء الذي يمْزُجون به، فبعثوا رجلًا؛ ليأتيهم بالماء، وكان يوم شِرْب الناقةِ فرجع إليهم بغير ماء، وقال: حالت الناقة بيني وبين الماء! ثم بعثوا آخر؛ فقال مثل ذلك. فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؛ فقد أضرّتْ بنا وبمواشينا؟! فانبعث أشْقَاها فقتلها، وتصايحوا وقالوا: عليكم الفصيل[1]. وصعِدَ الفصيلُ الجبلَ فقال لهم صالح: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾[2].

قال قتادة: ذكر لنا أن صالحًا حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع[3] والأكْسِية واطّلَوْا[4]، وقال لهم: آية ذلك أن تصْفرَّ وجوهُكم في اليوم الأول، وتحمرَّ في الثاني، وتسْوَدّ في اليوم الثالث. فلما كان في اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة، فقال: يا رب، أمي! يا رب، أُمي! يا رب، أُمي! فأرسل اللَّه عليهم العذابَ عند ذلك.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ

---

(١) المراد: ولد الناقة. لسان العرب (فصل).

(٢) هود: ٦٥ .

(٣) واحدها: نطع - بفتح النون وكسرها، وبإسكان الطاء وفتحها وكسرها؛ لغات فيه - وهو بساط من الجلد، وهو أيضًا نوع من الأكسية ويجمع على: أنطاع ونُطوع وأنْطع. لسان العرب (نطع).

(٤) أي: ادهنوا. لسان العرب (طلى).

عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأٓخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

قوله: ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني: أقبال[1] النساء ﴿بل أنتم قومٌ عادون﴾ أي: مجاوزون لأمر اللَّه ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ من قريتنا؛ أي: نقتلك ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ يعني: المبغضين ﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب اللَّه .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

﴿كذب أصحاب ليكة المرسلين﴾ والأيكة: الغَيْضَةُ[2] .

قال محمدٌ: قراءة أهل المدينة في هذه السورة، وفي سورة «ص»[3] بغير ألف، وقد ذكرت ما قاله أبو عبيْد[4] في الفرق، بين ليكة والأيكة في

(١) أي: فروجهن، الواحد: قُبُل. لسان العرب (قبل).
(٢) وهي الشجر الكثير الملتف، والجمع: أيْك. لسان العرب (أيك).
(٣) ص: ١٣ .
(٤) كذا في الأصل وفيما تقدم في تفسير سورة الحجر، وفي «ر» هنا: أبو عبيدة .

سورة الحجر[(١)] .

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يعني: المنتقصين لحقوق الناس ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ يعني: العدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي: لا تنقصوهم الذي لهم، وكانوا أصحاب نقصان في الميزان ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسيره[(٢)] .

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأوَّلين﴾ يعني: الخليقة ﴿فأسقِطْ علينا كسفًا من السماء﴾ أي: قطعًا ﴿فأخذهم عذابُ يوم الظُّلَّة﴾ قال قتادة: كانوا أهل غيضةٍ وشجر، وكان أكثر شجرهم الدّوم[(٣)]، فسلط اللَّه عليهم الحرّ سبعة أيام، فكان لا يكنُّهمْ[(٤)] ظلٌّ، ولا ينفعهم منه شيءٌ، فبعث اللَّه عليهم سحابة

---

(١) عند تفسير الآية ٧٨ وقد ذكر الآلوسي (١٩/ ١١٧) أن أبا عبيدة قال: وجدنا في بعض كتب التفسير أن (ليكة) اسم للقرية، و(الأيكة) البلاد كلها كمكة وبكة. وقد قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (ليكة)، وقرأ الباقون: (الأيكة). ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٢/ ٣٣٦) وقد سبق التعليق على هذه القراءة.

(٢) البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤ ، وهود: ٨٥ .

(٣) وهو شجر عظام من الفصيلة النخيلية، ويعرف بالمُقْل والأبْلم، وثمرته في غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر. المعجم الوسيط (دوم).

(٤) لا يسترهم ولا يحفظهم. المعجم الوسيط (كنن).

فلجئوا تحتها يلتمسون الرَّوْح؛ فجعلها الله عليهم عذابًا، جعل تلك السحابة نارًا، فاضطرمت عليهم، فأهلكهم بذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)﴾

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ يعني: القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ يعني: جبريل ﴿على قلبك﴾ يا محمدُ ﴿وإنه لفي زُبر الأولين﴾ كتُب الأولين؛ يقول: نعت محمدٍ وأُمّته في كتبهم؛ يعني: التوراة والإنجيل ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ يعني: من آمن منهم؛ أيْ: قد كان لهم في إيمانهم به آية.

(يكن) تقرأ بالتاء والياء[١]. فمن قرأها بالتاء، قال: (آيةٌ) بالرفع؛ أي: قد كانت لهم آية، ومن جعلها عملًا في باب كان[٢].

قال محمدٌ: من قرأ: (آية) بالنصْب، جعلها عملًا لكان، والاسمُ (أن

---

(١) قرأ بالتاء ورفع (آية): ابن عامر، وقرأ الباقون بالياء ونصب (آية)، وعليها التلاوة في المصحف. ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٢/ ٣٣٦)، التيسير (١٦٦)، البحر (٧/ ٤١).

(٢) ينظر التفصيل النحوي لذلك من إعراب القرآن (٢/ ٥٠١)، البحر (٧/ ٤١)، مجمع البيان (٤/ ٢٠٣).

يعلمه) (ل٢٤٦) ومن قرأ ﴿آيةٌ﴾ بالرفع جعلها اسمًا لكان و (أن يعلمه) خبرها وعملها، وهذا الذي أراد يحيى.

﴿ولو نزَّلناه على بعض الأعجمين﴾ يقول: لو أنزلناه بلسانٍ أعجمي إذًا لم يفقهوه.

قال محمدٌ: الأعجمين جمعُ أعجم، والأنثى عجماء؛ يقال: رجُلٌ أعْجَم؛ إذا كانت في لسانه عُجْمَةٌ، وإن كان عربي اللسان[1]، ورجلٌ أعجمي إذا كان من العَجَم وإن كان فصيح اللسان[2].

﴿كذلك سلكْناه﴾ أي: سلكنا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ المشركين ﴿لا يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿حتى يَرَوا العذاب الأليم﴾ يعني: قيام الساعة ﴿فيقولوا﴾ عند ذلك: ﴿هل نحن منظرون﴾ أي: مردودون إلى الدنيا فنؤمن ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أي: قد استعجلوا به.

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) في «ر»: عربي النسب.

(٢) ينظر لسان العرب (عجم)، وكشف المشكلات (٢/ ٩٩٨).

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني: العذاب ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتَّعون﴾.

﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ أي: إلا من بعد الحجَّة والرُّسل والإعْذار ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ أي: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البيِّنة والحُجَّة.

قال محمدٌ: ﴿ذكرى﴾ قد تكون نَصْبًا وتكون رفْعًا، فالنَّصْبُ على المصْدر على معنى: ﴿إلا لها منذرون﴾؛ أي: مذكرون ذِكْرًا، والرفع على معنى: إنذارُنا ذكرى؛ أي: تذكرةٌ[1]؛ يقالُ: ذكرتُه ذكْرى بألف التأنيث، وذِكْرًا وتذكيرًا وتَذْكِرةً[2].

﴿وما تنزلت به﴾ يعني: القرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به؛ أي: لا يستطيعون ذلك.

﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ وكانوا من قبل أن يبعث النبي يستمعون أخبارًا من [أخبار][3] السماء، فأما الوحي فلمْ يكونوا يقدرون على أن يسمعوه؛ فلما بُعِث النبي ﷺ مُنعوا من تلك المقاعد التي كانوا يستمعون فيها، إلا ما يسترق أحدهم فيُرمى بالشهاب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ تفسير الكلبي: «أن رسول اللَّه عليه السلام خرج حتى قام على الصَّفَا وقريشٌ في

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٧/ ٤٤ - ٤٥)، الدر المصون (٥/ ٢٩١).

(٢) إنما يقال: ذَكَرْتُه ذِكْرى وذِكْرًا وذُكْرًا وتَذْكارًا. ويقال: ذكَّرْته تذكِيرًا وتذكرة. لسان العرب، القاموس المحيط (ذكر).

(٣) من «ر».

المسجد، ثم نادى: يا صباحاه[١]! ففزع الناس فخرجوا، فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟! فقال: يا آل غالب. قالوا: هذه غالبٌ عندك. ثم نادى يا آل لؤي. ثم نادى يا آل مُرَّةَ. ثم نادى يا آل كعْب. ثم نادى يا آل قصي. فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين انظروا ماذا يريد، فقال له أبو لهب: هؤلاء عشيرتك قد حضروا فما تريد؟ فقال رسول اللَّه: أرأيتم لو أنذرتكم أنَّ جيشًا يصبحونكم أصَدَّقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيبًا، إلا أن تقولوا: لا إله إلا اللَّه. فقال أبو لهب: تبًا لك[٢]! فأنزل اللَّه ﴿تبَّتْ يدا أبي لهب﴾ فتفرقت عنه قريش وقالوا: مجنونٌ يَهْذِي من أمِّ رأسه»[٣].

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ كقوله: ﴿فبما رحمة من اللَّه لنت لهم﴾[٤].

قال محمدٌ: من كلام العرب: اخفضْ جناحك؛ يعني: ألن جناحك[٥].

﴿فإن عصَوْك﴾ يعني: المشركين ﴿فقل إني بريءٌ مما تعملون﴾ .

---

(١) هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح؛ فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو. وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال؛ فإذا عاد النهار عاودوه، فكأنه يريد بقولة: يا صباحاه: قد جاء وقت الصباح، فتأهبوا للقتال. ينظر لسان العرب (صبح)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٧).

(٢) أي: خُسْرانًا وهَلَاكًا. لسان العرب (تبب).

(٣) روى البخاري (٨/ ٣٦٠ رقم ٤٧٧٠) ومسلم (١/ ٢٠٢ رقم ٢٠٨) عن ابن عباس نحوه. وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة، انظر الدر المنثور (٥/ ١٠٤ - ١٠٦).

(٤) آل عمران: ١٥٩ .

(٥) وتواضع لهم. لسان العرب (خفض).

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ في الصلاة وَحْدَكَ ﴿وتقلُّبَك في الساجدين﴾ يعني: في صلاة الجماعة؛ في تفسير بعضهم.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

﴿هل أنبئكم﴾ ألا أنبئكم ﴿على من تنزّل الشياطين تنزل على كل أفاكٍ أثيم﴾ يعني: الكهنة ﴿يلقون السمع﴾ كانت الشياطين تصعد إلى السماء تستمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما تنزلت به الشياطين، وتخلط به الكهنةُ كذبًا كثيرًا، فيحدثون به الناس، وأمَّا ما كان من سمع السماء، فيكون حقًّا، و [أما][1] ما [كان][1] خلطوا به من الكذب يكونُ كذبًا ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يعني: جماعتهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ يعني: الشياطين ﴿ألمْ تر أنهم في كل وادٍ﴾ أي: من أودية الكذب ﴿يهيمون﴾.

قال محمدٌ: يعني: يذهبون.

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال قتادة: (ل٢٤٧) يعني: يمدح قومًا بباطلٍ، ويذم قومًا بباطل، ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

قال قتادة: استثنى اللّه الشعراء من المؤمنين؛ منهم: حسان بن ثابت[2]،

---

(١) من «ر».

(٢) هو شاعر الرسول ﷺ، أسلم بعد الهجرة، وعمِّر بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي نحو سنة ٥٤ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٢) طبقات فحول الشعراء (٣١٥).

وعبد اللَّه بن رواحة[١] وكعْب بن مالكٍ[٢] ﴿وانتصروا من بعد ما ظُلِموا﴾ أي: انتصروا بالكلام؛ يعني: [هَجَوْا][٣] عن نبي اللَّه من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ أشركوا من الشعراء وغيرهم ﴿أي منقلبٍ ينقلبون﴾ من بيْن يدَي اللَّه يوْم القيامة؛ أي: أنهم سينقلبون من بين يديه إلى النار.

قال محمدٌ: ﴿أي﴾ بالنصْب؛ لأنها من أسماء الاستفهام، لا يعمل فيها ما قبلها[٤].

* * *

(١) هو أبو محمد عبد اللَّه بن رواحة، الصحابي الفارس الشاعر أنصاري خزرجي، من المسلمين الأوائل. استشهد سنة ٨هـ. ينظر الجرح والتعديل (٥/ ٥٠) حلية الأولياء (١/ ١١٨)، العبر للذهبي (١/ ٩) تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٢).

(٢) وهو الأنصاري الخزرجي، أحد شعراء الرسول ﷺ ومن السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، ومن الثلاثة المخلفين في تبوك الذين تاب اللَّه عليهم وشهد مع رسول اللَّه أكثر الوقائع. ينظر: شذرات الذهب (١/ ٥٦)، العبر (١/ ٥٦)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤٠).

(٣) في الأصل (هاجوا)، وهو تحريف عن الصواب.

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٠٦)، البحر (٧/ ٤٩ - ٥٠)، مجمع البيان (٤/ ٢٠٧)، البيان (٢/ ٢١٧).

تفسير سورة النَّمل وهي مكيّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ بيِّن ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ يهتدون به، ويبشَّرون بالجنة ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخَمْس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿وإنك لتُلقَّى القرآن﴾ أي: لتأخذه ﴿من لدن﴾ أي: من عند ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه؛ يعني: نفسه تبارك وتعالى.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿إذ قال موسى لأهله﴾.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: اذكر إذ قال موسى لأهله.

﴿إني آنست نارًا﴾ أي: أبصرت ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ الطريق وكان على غير طريق ﴿أو آتيكم بشهاب قبسٍ لعلكم تصطلون﴾ لكي تصطلوا.

قال محمدٌ: كلُّ ذي نور فهو شهاب في اللغة[(١)]، والقبس: النار تُقتبس؛ تقول: قبَسْتُ النار قَبْسًا، واسمُ ما قَبسْتَ: قَبَسٌ[(٢)].

﴿فلما جاءها نودي أن بورك﴾ بأن بُورك ﴿من في النار﴾ يعني: نفسه، ولم تكن نارًا، وإنما كان ضوء نور رب العالمين وكان موسى يرى أنها نارٌ ﴿ومن حولها﴾ يعني: الملائكة، وهي في مصحف أبي بن كعب: «نودي أن بوركت النار ومن حولها»[(٣)].

﴿فلما رآها تهتز كأنها جانٌ ولَّى مدبرًا﴾ من الفَرَق ﴿ولم يعقب﴾ يعني: ولم يرجع.

قال محمد: قال ها هنا ﴿كأنها جان﴾ والجان: الصغير من الحيَّات[(٤)].

وقال في موضع آخر: ﴿فإذا هي ثعبانٌ مبين﴾[(٥)] والثعبان: الكبير من الحيَّات. قيل: فالمعنى - والله أعلم - أن خَلْقَها خلق الثعبان العظيم

---

(١) ويجمع على: شُهُب، وشُهْبان، وأَشْهُب. لسان العرب (شهب).

(٢) أي: أن القَبْس هو المصدر، والقَبَس هو الاسم. لسان العرب (قبس).

(٣) وهي قراءة أبيّ، وابن عباس، ومجاهد. ينظر: جامع القرطبي (١٣/ ١٥٨)، الإعراب للنحاس (٢/ ٥٠٩)، الكشاف (٣/ ١٣٧).

(٤) وهذا النوع من الحيَّات أكحل العينين، يضرب إلى الصُفْرة، لا يؤذي والجمع: جِنَّان، وجَوَانّ. المعجم الوسيط (جنن).

(٥) الأعراف: ١٠٧، و الشعراء: ٣٢ .

واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجانّ؛ وهذا من عظيم القدرة.

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديَّ المرسلون﴾ أي: عندي ﴿إلا من ظلم ثم بدَّل حسنًا بعد سوء﴾ تفسير الحسن: لا يخاف لدي المرسلون في الآخرة وفي الدنيا ﴿إلا من ظلم ثم بَدَّل حسنًا بعد سوءٍ فإني غفورٌ رحيم﴾ أي: فإنه لا يخاف عندي. وكان موسى ممَّن ظلم، ثم بدَّل حسنًا بعد سوءٍ، فغفر اللَّه له؛ وهو قتل ذلك القبطي لمْ يتعمَّد قتله، ولكن تعمَّد وكزه.

قال محمدٌ: قوله: ﴿إلّا من ظلم﴾ قيل: هو استثناءٌ ليس من الأول[1]؛ المعنى - واللَّه أعلم -: لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم، ثم تاب.

﴿وأدخل يدك﴾ أي: في جيبك؛ أي: في جيب قميصك ﴿تخرج بيضاء من غير سوءٍ﴾ قال الحسن: أخرجها - واللَّه - كأنها مصباح ﴿في تسع آيات﴾ يعني: يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

قال محمدٌ: وقوله: ﴿في تسْع﴾ أي: من تسْع ﴿في﴾ بمعنى (من)[2].

﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً﴾ أي: بيِّنة.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أنها من عند اللَّه، قال قتادة: والجَحْدُ لا يكون إلا من بعد المعرفة ﴿ظلمًا﴾ لأنفسهم ﴿وعلوًّا﴾.

قال محمدٌ: يعني: ترفُّعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥٧)، الدر المصون (٥/ ٢٩٨).

(٢) ينظر تفصيل ذلك من إعراب القرآن (٢/ ٥١١)، مجمع البيان (٤/ ٢١٢)، البحر (٧/ ٥٨).

﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

(ل٢٤٨) ﴿وقالا الحمد للَّه الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ على كثير من أهل زمانهما من المؤمنين ﴿وورث سليمان داود﴾ قال قتادةُ: يعني: ورث نبوَّته وملكه.

قال محمدٌ: روي أنه كان لداود تسعة عشر ولدًا، فورث سليمان من بينهم نبوَّته وملكه.

﴿وأوتينا من كل شيءٍ﴾ يعني: كل شيءٍ أُوتي منه ﴿فهمْ يوزعون﴾ أي: يُدْفَعُون ألَّا يتقدَّمه منهم أحدٌ؛ في تفسير الحسن، قال قتادةُ: على كل صنفٍ منهم وَزَعَةٌ[1] تَرُدُّ أولاهم على أخراهم ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ قال قتادة: هو وَادٍ بالشام.

---

(١) واحدها: وازع، وتُجمع أيضًا على: وُزَّاع. لسان العرب (وزع).

﴿قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده﴾ قال اللَّه: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أن سليمان يَفْهَمُ كلامَهُمْ.

قال محمدٌ: لفظ النمل أُجْرِيَ ها هنا مُجْرَى لَفْظ الآدميين حين نطق؛ كما ينطق الآدميُّون.

﴿فتبسَّم﴾ سليمان ﴿ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني﴾ أَلْهِمْني.

قال محمدٌ: تأويل (أوزعني): كُفَّني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وتفقَّد الطير﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن سليمان أراد أن يأخذَ مفازةً فدعا بالهُدْهُدِ ليعلم له مسافة الماء، وكان قد أُعْطِي من البصر بذلك ما لَمْ يُعْطه غيره من الطير، وقال الكَلْبي: كان يدلُّه على الماء إذا نزل الناس، فيخبره كم بينه وبين الماء من قَامَةٍ[١] ﴿لأعذبنّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه﴾ قال قتادة: وعذابه أن ينتف ريشه ويذره في المنهل[٢]؛ حتى يأكله الذَّرُّ[٣] والنمل ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ بعذرٍ بيِّن ﴿فمكث غير بعيد﴾ أي: رجع من ساعته ﴿فقال أحطت بما لم تحطْ به﴾ قال الحسن: يقول: علمت ما لَمْ تعلم ﴿وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ أي: بخبر حق. و(سبأ) في تفسير الحسن

---

(١) وهي وحدة قياس طولها ست أقدام، تستخدم عادة في قياس أعماق البحر. والجمع: قامات. المعجم الوسيط (قوم).

(٢) هو المورد؛ أي: الموضع الذي فيه المشرب، وقيل: المفازة. لسان العرب (نهل).

(٣) هو صغار النمل. لسان العرب (ذرر).

وقتادة: أرض باليمن، وقال ابن عباسٍ: «سُئِل رسول الله عليه السلام عن سبإٍ، فقال: هو رجلٌ»[(١)].

قال محمدٌ: ذكر أبو عبيْد؛ أن الحسن كان يقرأ: ﴿من سبأَ﴾ منصوبة غير مجراة[(٢)]: قال: وتفسيرها: اسمٌ مؤنث لامرأة أو قبيلة، والذي يُجْرِي يذهب إلى أنه اسم رجُل[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٣٦) وعبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧) - وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٥١) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة السبائي، عن أبي وعلة المصري، عن ابن عباس رضي الله عنه.
وقال ابن عدي: وهذا لا أعلمه يرويه غير ابن لهيعة بهذا الإسناد.
وقال ابن كثير: وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه.
ورواه الحاكم (٢/ ٤٢٣) من طريق عبد الله بن عياش القتباني، عن عبد الله بن هبيرة السبائي به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٤٠ رقم ١٢٩٩٢) من طريق ابن لهيعة، عن علقمة ابن وعلة، عن ابن عباس - وسقط من المطبوع: «عن ابن عباس» به.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٤): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقية رجالهما ثقات.
ورواه أبو داود (٤/ ٣٧٤ رقم ٣٩٨٤) والترمذي (٥/ ٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ٣٢٢٢) والبخاري في تاريخه (٧/ ١٢٦ - ١٢٧) والطبراني (١٨/ ٣٢٣- ٣٢٦ رقم ٨٣٤ - ٨٣٦ ، ٨٣٨) والحاكم (٢/ ٤٢٤) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال ابن عبد البر في ترجمة فروة بن مسيك من الاستيعاب: حديثه في سبأ حديث حسن.
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٤٨): وهذا أيضًا إسناد حسن.
وفي الباب عن عدة من الصحابة، منهم تميم الداري - وقيل: إنه تميم آخر - ويزيد بن حصين. انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧ - ٥٤٨) والدر المنثور (٥/ ٢٥١)، والمجمع (٧/ ٩٤)، والإصابة (٢/ ٤ - ٥).

(٢) غير مجراة؛ أي: غير منونة؛ وهي قراءة أبي عمرو والبزي، وروى قنبل بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون بالجر والتنوين. ينظر: السبعة (٤٨٠)، التيسير (١٦٧)، النشر (٢/ ٣٣٧)، البحر (٧/ ٦٦).

(٣) ينظر: البحر (٧/ ٦٦)، إعراب القرآن (٢/ ٥١٦ - ٥١٧)، البيان (٢/ ٢٢١).

قال محمدٌ ومن قال: هو اسمُ رجل، فالمعنى: أن القبيلة أو الأرض سميت باسم ذلك الرجل.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي من كل شيءٍ أوتيت منه ﴿ولها عرشٌ عظيم﴾ أي: سرير حسن. قال قتادةُ كان من ذَهَبٍ، وقوائمه لؤلؤٌ وجوهرٌ، وكان مستَّرًا بالديباج والحرير، وكانت عليه سبع مغاليق، وكانت دونه سبعة أبيات مغلَّقة .

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون اللَّه﴾ قال الحسن: كانوا مَجُوسًا ﴿وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل . ألا يسجدوا للَّه﴾ أي: فصدهم عن الطريق بتركهم السجود للَّه ﴿الذي يخرج الخبء﴾ يعني: الخبيئة[1] ﴿في السمٰوات والأرض﴾ أي: يعلم السر في السمٰوات والأرض ﴿قال سننظر أصدقت . . .﴾ إلى قوله: ﴿يرجعون﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن، كانت في بيت مملكة يقال لها: بلقيس ابنةُ

(١) هو في اللغة: المدَّخر والمخبوء، والمراد في الآية بالخبء الذي في الأرض: النبات، وبالخبء الذي في السماء: المطر. لسان العرب، المعجم الوسيط (خبأ).

شُرَحْبِيل، فهلك قومُها فَمَلكت، وأنها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب، فلما غلقت الأبواب وأَوَتْ إلى فراشها، أتاها الهدهد حتى دخل من كُوَّة بيْتها، فقذف الصحيفة على بطنها؛ فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم...﴾ حسن؛ أي: حسن ما فيه، الآية.

﴿ألا تعلوا عليّ﴾ أي: لا تتخلفوا عني ﴿وأتوني مسلمين﴾ قال الكَلْبي: أي مُسْتَسْلِمين؛ ليس يعني: الإسلام.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾

﴿قالت يا أيها الملأ...﴾ إلى قوله: ﴿ماذا تأمرين﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة (ل٢٤٩) وثلاثة عشر رجلًا أهل مشورتها كل رجل منهم على عشرة آلاف.

قال محمدٌ: القراءة في قوله: ﴿حتى تشهدون﴾ بكسر النون[1]، وأصله: (تشهدونني) فحذفت النون الأولى للنصب، وحذفت الياء؛ لأنها آخر آية، والكسرة تدل عليها.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ يعقوب (تشهدوني) وصلًا ووقفًا. ينظر: الإتحاف (٣٦٦)، النشر (٢/ ٢٤٠).

الله: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرةٌ بم يرجع المرسلون﴾ تقول: إن قبل هديتنا فهو من الملوك، وليس من أهل النبوة؛ كما ينتحل.

قال مجاهدٌ: بعثت إليه بجوارٍ قد لبستهُنَّ لِبْسة الغلمان، وبغلمان قد ألبستهم لبسة الجواري؛ فخلص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديّتها.

قال محمدٌ: قوله (بم) بحذف الألف؛ لأن حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) ليُفْصَل بين الخبر والاستفهام(١).

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ارجع إليهم﴾ قال قتادة: يعني: الرسل ﴿فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها﴾ أي: لا طاقة.

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ يعني: سريرها ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي: مُقرِّين بالطاعة؛ في تفسير الكلبي ﴿قال عفريت من الجن﴾ أي: مَاردٌ.

---

(١) ينظر: البحر (٧/ ٧٤)، القرطبي (١٣/ ١٩٧)، الطبري (١٩/ ٩٨) الدر المصون (٥/ ٣١٣).

قال محمدٌ: يقال: عِفرٌ وعِفريتٌ، وعِفرِيةٌ وعُفَاريةٌ؛ إذا كان شديدًا وثيقًا(١).

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال قتادة: ومقامه: مَجْلِسُه الذي كان يقضي فيه، فأراد ما هو أعجل من ذلك ﴿قال الذي عنده علمٌ من الكتاب﴾ وكان رجلًا من بني إسرائيل؛ يقال له: آصفُ، يعلمُ اسم اللَّه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ﴿قال أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾ وطرفه: أن يبعث رسُولًا إلى منتهى طرفه، فلا يرجع إليه، حتى يؤتى به؛ فدعا الرجل باسم اللَّه الأعظم ﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان السَّرير ﴿مستقرًا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر﴾ أي: أشكر النعمة أم أكفرها؟ ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾.

يحيى: عن المُعَلَّى، عن الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباسٍ قال: «إن صاحب سليمان الذي قال: أنا آتيك به كان يُحْسِنُ الاسْمَ الأكبر، فدعا به وكان بينه وبينه مسيرة شهرين، وهي منه على فرسخ، فلما جاءه العرش كأن سليمان وجد في نفسه - مثل الحسد له - ثم فكَّر، فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لَمْ أقدر عليْه مسخَّرًا لي؟! هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر»(٢).

﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ

---

(١) وأيضًا: العِفِرّ. لسان العرب (عفر).
(٢) لم أقف عليه، وأرى فيه نكارة، واللَّه أعلم.

عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ قال قتادة: وتنكيره: أن يزاد فيه، ويُنْقَص منه ﴿ننظر أتهتدي﴾ أي: أتعرفه ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ أي: أم لا تعرفه ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ قال قتادة: شبَّهته به، وكانت قد تركته خلفها، فوجدته أمامها.

﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ سليمان يقوله؛ يعني: النبوة ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ صدها أن تهتدي للحق ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (إنها) بكسر الألف[١]، فهو على (الاستئناف)[٢].

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ تفسير الكلبي: إن الجن استأذنوا سليمان، فقالوا: ذَرْنا فَلْنَبْنِ لها صَرْحًا - أي: قصرًا - من قوارير فننظر كيف عقلها، وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فتطلعه على أشياء كانت الجن تخفيها منه.

قال يحيى: بلغني أن أحد أبويها كان جنيًّا، فلذلك تخوَّفوا ذلك منها.

قال الكلبي: فأذن لهم فعمدوا إلى الماء ففجروه في أرض فضاء، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع[٣]، ثم بَنَوْا عليه سترة من زجاج، ثم بنوا[٤] حوْلَه صَرْحًا ممرَّدًا من قوارير، والممرَّدُ: الأملس، ثم أدخلوا [عرش سليمان

---

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ سعيد بن جبير وابن أبي عبلة بفتح الهمزة (أنها) ينظر: البحر (٧/ ٧٩)، القرطبي (١٣/ ٢٠٨)، الإملاء (٢/ ٩٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٩٥)، البحر (٧/ ٧٩)، مجمع البيان (٤/ ٢٢٤)، الدر المصون (٥/ ٣١٦). وفي «ر»: الاستفهام.

(٣) في الأصل زيادة: فظنت أنه معذبها لتغرق.

(٤) زاد في «ر»: عليه.

وعرشها وكراسي عظماء الملوك، ثم دخل سليمان، ودخل معه عظماء جنوده][1] ثم (ل٢٥٠) قيل لها: ادخلي الصرح وفُتح الباب؛ فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع، فظنت أنه مُكِرَ بها لتغرق، ثم نظرت فإذا هي بسليمان على سريره، والناس عنده على الكراسي؛ فظنت أنها بمَخَاضَةٍ[2]، فكشفت عن ساقيها وكان بها بَرَصٌ؛ فلما رآها سليمانُ كرهها، فلما عرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم من الناس، قالت لها الجن: لا تكشفي عن ساقيك، ولا عن قدميك؛ فإنما هو صرحٌ من قوارير.

قال محمدٌ: كلُّ بناءٍ مطولٍ: صرح[3]، والممرّد يقال منه: مرّدت الشيء إذا بلّطته أو ملّسته، ومن ذلك الأمرد الذي لا شعر في وجهه[4].

﴿قالت رب إني ظلمتُ نفسي﴾ أي: نقصتها؛ يعني: ما كانت عليه من الكفر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) وهي أيضًا المَخَاضُ: والمراد: الموضع القليل الماء الذي يُعبر فيه الناس النهر مُشَاة ورُكبانًا، والجمع: مخاوض. لسان العرب (صرح).
(٣) لسان العرب (خوض).
(٤) والجمع: مُرْد. لسان العرب (مرد).

مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال قتادة: يقول: إذا القوم بين مصدقٍ ومكذبٍ؛ هذه كانت خصومتهم ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ والسيئة: العذاب؛ لقولهم: ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾(١) والحسنة: الرحمة ﴿قالوا اطَّيرنا بك وبمن معك﴾ قال الحسن: كان قد أصابهم جوعٌ، فقالوا: بشؤمك، وبشؤم الذين معك أصابنا هذا ﴿قال طائركم عند اللَّه﴾ يعني: عملكم.

قال محمدٌ: المعنى: ليس ذلك مني، وإنما هو من اللَّه ﴿بل أنتم قومٌ تفتنون﴾ قال الحسنُ: يعني: تصرفون عن دينكم الذي أَمَركم اللَّه به ﴿وكان في المدينة تسعة رهطٍ﴾ قال قتادةُ: كانوا من قوم صالحٍ ﴿قالوا تقاسَمُوا باللَّه﴾ أي: تحالفوا ﴿لنبيتنّه﴾ لنبيتنَّ صالحًا وأهله؛ يعني: الذين على دينه ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لرهطه ﴿ما شهدنا مهلَك(٢) أهله ومكروا مكرًا﴾ يعني: الذي أرادوا بصالح ﴿ومكرنا مكرًا﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أنه بَيْنَا هم معاينون إلى صالحٍ ليفتِكُوا به؛ إذ بعث اللَّه عليهم صخرة فأهمدتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمَّرناهم﴾ بالصخرة ﴿وقومهم أجمعين﴾ بعد ذلك بالصَّيْحة.

(١) الأعراف: ٧٧ .

(٢) هكذا في الأصل بفتح اللام، وقد اختلف القراء فيها: فقرأ أبو بكر ﴿مَهْلَك﴾ بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام. انظر: النشر (٢/ ٣١١)، وإتحاف الفضلاء (٤٢٩).

قال محمدٌ: من قرأ (إنا) بكسْر الألف[١]، فالمعنى: فانظر أيَّ شيءٍ كان عاقبة أمْرهم، ثم فسر فقال: ﴿إنا دمَّرْناهم﴾[٢].

﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ يقول: ليس فيها أحدٌ، وكانوا بموضع يقال له: الحِجْر.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿خاويةً﴾ بالنصب[٣] فهو على الحال[٤].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أنها الفاحشةُ .

﴿أخرجوا آل لوطٍ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ أي: يتنزَّهون عن أعمال قوم لُوطٍ.

﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب اللَّه ﴿وأمطرنا عليهم مطرًا﴾ قد مضى تفسيرُه[٥].

---

(١) وهي قراءة ابن عامر، وأبي عمرو، وابن كثير، ونافع. ينظر: السبعة (٤٨٤)، النشر (٢/ ٣٣٨)، التيسير (١٦٨).

(٢) البحر (٧/ ٨٦)، إعراب القرآن (٢/ ٥٢٧ - ٥٢٨)، مجمع البيان (٤/ ٢٢٦).

(٣) وهي قراءة العامّة، وقرأ عيسى بن عمر، والجحدري بالرفع. ينظر: البحر (٧/ ٨٦)، الإملاء (٢/ ٩٤)، جامع القرطبي (١٣/ ٢١٨).

(٤) ينظر: الدر المصون (٥/ ٣٢١).

(٥) في تفسير سورة هود، الآيات: ٨١ - ٨٣، وسورة الحجر، الآيتان: ٧٣، ٧٤ .

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قل الحمدُ للَّه وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ءآللَّه خيرٌ﴾ على الاستفهام ﴿أمّا تشركون﴾[1] أي: أن اللَّه خير من أوثانهم التي يعبدون ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ أي: حسنة. قال الحسن: والحدائق: النخل ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي: أن اللَّه هو أنبتها ﴿أإله مع اللَّه﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس معه إلهٌ ﴿بل هم قومٌ يعدلون﴾ يقول: يعدلون الأوثان باللَّه، فيعبدونها .

﴿وجعل بين البحرين حاجزًا﴾ تفسير الكلبي: يعني: بحر فارس والروم، والحاجز: الخلق الذي بينهما فلا يبغي أحدهما على صاحبه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم .

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يعني: خلفًا من بعد خلف ﴿قليلًا ما

---

(١) قرأ البصريان وعاصم ﴿يشركون﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿تشركون﴾ بالخطاب. النشر (٢/ ٢٣٨) إتحاف الفضلاء (٤٣٠).

تذكرون﴾ يقول: أقلُّهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن .

﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ يعني: في أهوال البر والبحر ﴿ومن يرسل الرياح نشرًا[1] بين يدي رحمته﴾ يعني: المطر .

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني: البعث .

﴿قل هاتوا بُرْهانكم﴾ أمر اللَّه النبي عليه السلام أن يقول للمشركين: هاتوا حُجَّتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن هذه الأوثان خلقت خلقًا أو صنعت شيئًا من هذا، وهذا كله (ل٢٥١) تبع للكلام الأول ﴿آللَّه خيرٌ أما يشركون﴾ أي: أن اللَّه يفعل هذا كله وهو خيرٌ من أوثانهم .

﴿قل لا يعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلا اللَّه﴾ والغيب ها هنا: القيامة؛ لا يعلم مجيئها إلا اللَّه ﴿وما يشعرون﴾ وما يشعر جميع الخلق ﴿أيَّان يبعثون﴾ متى يبعثون ﴿بل ادَّارك﴾ أي: تدارك ﴿علمهم في الآخرة﴾ (يقول: علموا في الآخرة أن الأمر كما قال اللَّه، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم)[2]

---

(١) بالنون وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم الكلام عليها في سورة الأعراف.
(٢) سقط من «ر».

أي: إيمانهم ﴿بل هم في شكٍّ منها﴾ يعني: الآخرة ﴿بل هم منها عمون﴾ أي: عموا عنها لا يَدْرُون ما الحساب فيها وما العذاب .

﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابًا وآباؤنا﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمخرجون﴾ لمبعوثون؛ أي: لا نبعث. وهذا استفهامٌ منه على إنكار.

قال محمدٌ: قراءة نافع (إذا كنا) بكسر الألف على الخبر، وفيها اختلاف بين القُرَّاء. ومن قرأ: (أئذا) اختلس الياء، ولم يخلص لفظها(١).

﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل﴾ هذا قول مشركي العرب، أي: قد وعدت آباؤنا من قَبْلُ بالبعث كما وعدنا محمدٌ، فلم نرها بُعثت؛ يعني: من كان من العرب على عهد موسى.

﴿إن هذا إلا أساطيرُ الأولين﴾ أي: كذب الأوَّلين وباطلهم .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ المشركين كان عاقبتهم أن دمّر اللّه عليهم، ثم صيرهم إلى النار؛ يحذرهم أن ينزل بهم من عذاب اللّه ما نزل بمن كان قبلهم من المشركين ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ولا تكن في ضيقٍ مما يمكرون﴾ أي: لا يضيق عليك أمرك بما يمكرون بك وبدينك؛ فإن اللّه سينصرك عليهم ويذلهُمْ لك.

قال محمدٌ: أكثر القراءة: (في ضَيْق) بفتح الضاد(٢).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ

---

(١) ينظر: السبعة (٤٨٥)، البحر (٧/ ٩٤) التيسير (١٦٩)، الجامع القرطبي (١٣/ ٢٢٨)، وروح المعاني للآلوسي (١٣/ ١٠٥) في تفسير الآية رقم (٥) من سورة الرعد.

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ ﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد. ينظر: البحر (٧/ ٩٤)، السبعة (٤٨٥)، والنشر (٢/ ٣٠٥)، الإتحاف (٣٣٩)، التيسير (١٦٩).

ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من عذاب الله إن كنت من الصادقين قال الله للنبي: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال قتادة: يعني: اقترب منكم.

قال محمدٌ: (رَدِفَ لكم) اللام فيه زائدة عند أهل اللغة؛ المعنى: ردِفكم؛ كما تقول: ركبكم، وجاء بعدكم[1].

﴿بعض الذي تستعجلون﴾ قال الحسن: يعني: قيام الساعة الذي يهلك به آخر كفار هذه الأمة ﴿وإن ربك لذو فضلٍ على الناس﴾ فبفضل الله يتقلَّب الكافر في الدنيا، ويأكل ويشرب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ يعني: المشركين من عداوة رسول الله ﴿وما يعلنون﴾ من الكفر.

﴿وما من غائبةٍ في السماء والأرض إلا في كتابٍ مبين﴾ بيِّن؛ يعني: اللوح

---

(١) ينظر: البحر (٧/ ٩٥)، الدر المصون (٥/ ٣٢٦).

المحفوظ ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾ يعني: الذين أدركوا النبي عليه السلام ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ يعني: ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرفوا من كتاب اللَّه، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند اللَّه.

﴿إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ يعني: الذين يلقون اللَّه بكفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ يقول: إن الأصم[١] لا يسمع الدعاء إذا ولَّى مدبرًا.

قال قتادةُ: هذا مثل ضربه اللَّه، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يَفْهَمُه؛ كما لا يسمع الميت، ولا يسمع الأصمُّ الدعاء إذا ولَّى مدبرًا.

﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ يعني: الذين يموتون على كفرهم ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ يعني: من أراد اللَّه أن يؤمن؛ وهذا سمْعُ القبول، فأما الكافر تسمع أذناه ولا يعقله[٢] قلبه.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أي: وجب الغضب ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ وفي بعض القراءة: (تحدِّثهم)[٣] ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ قال بعضهم: تقول: إن الناس كانوا بي لا يوقنون.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة؛ أن ابن عباسٍ كان يقول: «هي دابة ذات

---

(١) في «ر»: الأصنام.

(٢) في «ر»: يسمع.

(٣) وهي قراءة يحيى بن سلام. ينظر: البحر (٧/ ٩٧)، تفسير الطبري (٢٠/ ١١).

زَغَبٍ[١] وريشٍ، ولها أربع قوائم، تخرج من بين أودية تهامة»[٢].

سعيد (ل٢٥٢) عن قتادة، عن العلاء بن (زيادٍ)[٣] أن عبد اللَّه بن عمرو، قال: «لا تقوم الساعة؛ حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، فيعرفوا مؤمنيهم من كافريهم. قالوا: كيف ذلك؟! قال: إن الدابة تخرج حين تخرج وهي دابة الأرض؛ فتمسح كل إنسان على مسجده[٤]، فأما المؤمن فتكون نكتةً بيضاء؛ فتفشو في وجهه حتى يبيضّ لها وجهُه، وأما الكافر فتكون نكتةً سوداء؛ فتفشو في وجهه حتى يسودَّ لها وجهه؛ حتى إنهم ليتبايعون في أسواقهم يقول هذا: كيف تبيع هذا يا مؤمن؟ ويقول هذا: كيف تبيع هذا يا كافر؟ فما يرُدُّ بعضُهم على بعض»[٥].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى

---

(١) هو صغار الريش والشعر، الواحدة: زَغَبَة. لسان العرب (زغب).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٥٧ رقم ٧٠٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
وروا عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٨) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥) - عن معمر عن قتادة به.

(٣) في «ر»: زيد. والعلاء بن زياد هو أبو نصر العدوي البصري، ترجمته في التهذيب (٢٢/ ٤٩٧ - ٥٠٦).

(٤) أي: على مكان سجوده.

(٥) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٥٤ - ١٢٥٥ رقم ٦٩٧) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٨) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥ - ١٦) - عن معمر عن قتادة عن عبد اللَّه بن عمرو مختصرًا.

ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمةٍ فوجًا﴾ يعني: كفار كل أمة ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: لهم وَزَعَةٌ تردُّ أولاهم على أخراهم ﴿حتى إذا جاءوا قال﴾ الله ﴿أكذَّبتم بآياتي ولمْ تحيطوا بها علمًا﴾ أي: لم تحيطوا علمًا بأن ما عبدتم من دوني خلقوا معي شيئًا، ولا رزقوا معي شيئًا، وإن عبادتكم إياهم لم تكن منكم بإحاطة علمِ علمتُموه، إنما ذلك كان منكم على الظنّ ﴿أمَّاذا كنتم تعملون﴾ يستفهمهم، وهو أعلم بذلك منهم؛ يحتجُّ عليهم ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي: حقَّ الغضب ﴿بما ظلموا﴾ أشركوا.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وهذه النفخةُ الأولى.

يحيى: عن خالد، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عُمارةَ بن غُراب قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إلا من شاء الله﴾: الشهداء؛ يقولون: ما أحسن هذا الصوت»[1].

﴿وكل أتوه داخرين﴾ أي: صاغرين؛ يعني: النفخة الآخرة.

يحيى: عن المبارك، عن الحسن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بين النفختين

---

(١) لم أقف عليه، وعمارة بن غراب تابعي ليست له صحبة، ترجمته في التهذيب (٢١/ ٢٥٨)، وأسد الغابة (٤/ ١٤٢)، والإصابة (٨/ ٢٤).

أربعون سَنَةً؛ الأولى يميت اللَّه بها كلَّ حي، والأخرى يحيي اللَّه بها كلَّ ميت»[١].

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ ساكنةً ﴿وهي تمر مرَّ السحاب﴾ تكون كالعِهْنِ المنفوش[٢] وتكون كثيبًا مَهِيلًا[٣]، وتُبَسُّ بسًّا[٤]؛ كما يُبَسُّ السَّوِيقُ[٥]. وتكون سرابًا[٦]، ثم تكون هباءً منبثًا[٧]؛ وذلك حين تذهبُ من أصولها، فلا يرى منها شيءٌ؛ فتصير الأرض كلها مستوية ﴿صنع اللَّه الذي أتقن كل شيء﴾.

قال محمدٌ: القراءة (صُنْعَ اللَّه) بالنصْب[٨]؛ على معنى: المصدر؛ كأنه قال: صَنَعَ اللَّهُ ذلك صُنْعًا[٩].

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٨٥ رقم ٧٢١) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
وعزاه ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٧٧) لابن المبارك في الرقائق.
وروى البخاري (٨/ ٤١٤ رقم ٤٨١٤) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ - ٢٢٧١ رقم ٢٩٥٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما بين النفختين أربعون - قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت - ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذَّنَب؛ ومنه يُركب الخلق يوم القيامة».

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ القارعة: ٥.

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿وكانت الجبال كثيبًا مهيلًا﴾ المزمل: ١٤.

(٤) يريد قوله تعالى: ﴿وبُسَّت الجبال بسًّا﴾ الواقعة: ٥.

(٥) وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسمي بذلك؛ لانسياقه في الحلق. والجمع: أسوقة. لسان العرب (سوق).

(٦) يريد قوله تعالى: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابًا﴾ النبأ: ٢٠.

(٧) يريد قوله تعالى: ﴿فكانت هباءً منبثًّا﴾ الواقعة: ٦.

(٨) وهي قراءة العامَّة، وليس فيها إلا هذه القراءة. ينظر البحر (٧/ ١٠٠).

(٩) وهو قول سيبويه والمبرد والنحاس وأبي علي. ينظر كشف المشكلات (٢/ ١٠١٧)، البحر (٧/ ١٠٠)، إعراب القرآن (٢/ ٥٣٧)، مجمع البيان (٤/ ٢٣٧).

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿من جاء بالحسنة﴾ بـ «لا إله إلا اللّه» مخلصًا ﴿فله خيرٌ منها﴾ فيها تقديم: فله منها خيرٌ؛ أي: حظ؛ يعني: الجنة ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ يعني: الشرك ﴿فكُبَّت وجوههم في النار﴾ أي: ألقوا فيها على وجوههم ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا؛ يقال لهم ذلك في الآخرة ﴿إنما أُمرت﴾ أي: قل: يا محمدُ: إنما أمرت ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني: مكة ﴿الذي حرمها﴾.

﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أي: لا أستطيع أن أكرهكم ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ في الآخرة على ما قال في الدنيا من وَعْده؛ في تفسير الحسن ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ .

* * *

تفسير سورة القَصَص وهي مكِّيَّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

قوله: ﴿طسم تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب المبين﴾ البيِّن ﴿نتلو عليك من نبإ موسى﴾ من خبر موسى ﴿وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾ يصدقون ﴿إن فرعون عَلَا في الأرض﴾ أي: بغى ﴿وجعل أهلها شيعًا﴾ أي: فِرَقًا ﴿يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾ يعني: بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يَدي فرعون، والطائفة التي كان يذبح: الأبناء، والطائفة التي كان يستحيي: النساء، وقد كان يفعل هذا فرعون.

﴿و﴾نحن ﴿نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال قتادة: أي: ولاة (في الأرض)[1] (ل٢٥٣) ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه، ففعل اللَّه ذلك بهم ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿ما كانوا

(١) في «ر»: الأمر .

يحذرون﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن حازرًا حزر(١) له، فقال: إنه يُولَدُ في هذا العام غلامٌ يسلبك مُلْكك، فتتبع أبناءهم يقتلُهم حذرًا ممّا قال له الحازر.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أي: قذف في قلبها، وليس بوحي النبوة ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ الطلب ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر ﴿ولا تخافي﴾ عليه الضَّيْعَة ﴿ولا تحزني﴾ أن يُقْتل ﴿إنا رادوه إليك﴾ قال قتادةُ: فجعلته في تابوتٍ، ثم قذفته في البحر ﴿فالتقطه آلُ فرعون﴾ قال يحيى: بلغني أن الغسَّالات على النيل الْتَقَطْنه ﴿ليكون لهم عدوًّا﴾ في دينهمْ ﴿وحزنًا﴾ يحزنهم به.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ليكون لهم عدوًّا وحزنًا﴾ أي: ليصير الأمر إلى ذلك؛

---

(١) أي: خمَّن. لسان العرب (حزر).

لا أنهم طلبوه وأخذوه لذلك، ومثله من الكلام قولهم للذي كسب مالًا؛ فأدّاه ذلك إلى الهلاك: إنما كسب فلانٌ لِحَتْفِه، وهو لم يطلب المال لحَتْفِه، ولكن صار الأمر إلى ذلك وهذه اللام يسميها بعض النحويين لام الصيرورة[١].

﴿وقالت امرأة فرعون قرة عينٍ لي ولك﴾ تقوله لفرعونَ. قال قتادة: أُلْقِيَتْ عليه[٢] رحمتُها حين أَبْصَرَتْه ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون﴾ أن هلاكهم على يديه وفي زمانه ﴿وأصبح فؤادُ أم موسى فارغًا﴾ تفسير قتادة: أي: فارغًا من كل شيءٍ، غير ذكر موسى لا تذكُر غيره ﴿إن كادت لتبدي به﴾ قال قتادة: لتبيِّن أنه ابنُها من شدة وَجْدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالإيمان.

قال محمدٌ: الربطُ على القلب: إلْهَامُ الصَّبْرِ وتشديده وتقويته[٣].

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ لأخت موسى ﴿قصِّيه﴾ أي: اتبعي أثره ﴿فبصرت به عن جُنُبٍ﴾ أي: من بعيد ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته؛ جعلت تنظر إليه، وكأنها لا تريده ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ قال قتادة: جعل لا يؤتى بامْرأةٍ إلا لم يأخذ ثديها ﴿فقالت هل أدُلكم﴾ ألا أدلكم ﴿على أهْل بيتٍ يكفلونه لكم﴾ أي: يضُمُّونه فيرضعونه ﴿ولتعلم أن وعد اللَّه حق﴾ يعني: الذي قذف في قلبها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ

---

(١) وتسمى هذه اللام لام العاقبة. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٤٣)، البحر (٧/ ١٠٥)، مجمع البيان (٤/ ٢٤٠)، البيان (٢/ ٢٢٩).

(٢) في «ر»: عليها.

(٣) لسان العرب ، المعجم الوسيط (ربط).

ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ولما بلغ أشُدّه﴾ تفسير مجاهد: بلغ عشرين سنة ﴿واستوى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾.

﴿ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها﴾ تفسير الحسن: يوم عيدٍ لهم، وهم في لَهْوهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ (قبطي)[1] من قوم فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ قال قتادة: أراد القبطي أن يُسَخِّرَ الإسرائيليّ؛ ليحمل حطبًا لمطبخ فرعون فأبى فقاتله، فوكزه موسى ولمْ يتعمَّد قتله، ولم يكن يحل قتل الكافر يومئذٍ.

قال محمدٌ: يقال: لكزه ووكزه (ولَهزه)[1] بمعنًى واحدٍ: إذا دفعه[2].

---

(١) سقط من «ر».

(٢) ويقال: لكزه: ضربه بجُمعْ كفه في صدره.
ولهزه: ضربه بجمع كفه في لهازمه ورقبته.
ووكزه: ضربه بجمع كفه في ذقنه.
ينظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط (لكز، لهز، وكز).

﴿قال﴾ موسى ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌّ مضلٌّ مبين﴾ بين العداوة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾ يعني: بقتل القبطي ﴿فلن أكون ظهيرًا﴾ أي: عوينًا ﴿للمجرمين﴾.

قال قتادة: يقول: فلن أعين بعدها على فجرةٍ ﴿فأصبح في المدينة خائفًا يترقَّب﴾ من قَتْله النفس، يترقَّب أن يُؤْخذ.

قال محمدٌ: معنى (يترقب): ينتظر سُوءًا ينالُه(١).

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصْرِخُه﴾ أي: يستعينه ﴿قال له موسى﴾ للإسرائيلي ﴿إنك لغويٌّ مبين﴾ أي: بين الغواء [ثم أدركت موسى الرأفة عليه](٢) ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما﴾ (ل٢٥٤) بالقبطي خلَّى الإسرائيلي عن القبطي ﴿وقال يا موسى﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلَّا أن تكون جبَّارًا﴾ أي: قتَّالًا.

قال محمدٌ: وقيل المعنى: فلما أن أراد المستصرخ أن يبطش موسى بالذي هو عدوٌّ لهما، ولم يفعل موسى، وقال للمستصرخ: ﴿إنك لغوي مبين﴾ قال له المستصرخ: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني . . .﴾ الآيةَ، فاللَّه أعلم.

وأصل الجبَّار في اللغة: المتعظِّم(٣) الذي لا يتواضع لأمر اللَّه - عز وجل - [في الأرض](٤).

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ

---

(١) لسان العرب (رقب).
(٢) طمس في الأصل. و المثبت من «ر».
(٣) وهو أيضًا المتكبِّر المتسلِّط. والجمع: جبابرة. لسان العرب (جبر).
(٤) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى﴾ أي: يسرع ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾.

قال محمدٌ: (يأتمرون) هو يفتعِلون من الأمر؛ المعنى: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك[1].

قال قتادة: وذلك أن القبطي [الآخر][2] لما سمع قول الإسرائيلي لموسى: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس - أفشى عليه، فائتمر الملأ من قوم فرعون ليقتلوه، فبلغ ذلك مؤمن آل فرعون وهو الذي جاء من أقصى المدينة، فأخبر موسى.

﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفًا يترقب﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما توجَّه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ يعني: الطريق إلى مدين، وكان خرج ولا يعرف الطريق إلى مدين.

﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ وفي بعض القراءة (تذودان الناس عن

---

(١) ينظر: الدر المصون (٥/ ٣٣٧).
(٢) في الأصل: الأخير.

شيائهما)[١] أي: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس ﴿قال﴾ لهما موسى ﴿ما خَطْبُكما﴾ ما أمْرُكما ﴿قالتا لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرعاءُ﴾ أي: حتى يسقي الناسُ، ثم نَتَتَبَّع فُضَالَتهم؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: من قرأ: (حتى يُصْدِرَ) بضم الياء وكسر الدال[٢]، فالمعنى: لا نَقْدر أن نَسْقِيَ حتى يردَّ الرِّعاءُ غنمَهم وقد شربتْ[٣]، والرعاء جمع: راعٍ[٤].

﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خيرٍ فقير﴾ يعني: الطعام.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال الحسن: ويقولون: هو شُعَيْبٌ، وليس بشعيبٍ، ولكنه كان سيد أهل الماء يومئذٍ. وقال ابن

---

(١) لم أجد هذه القراءة، وكل ما وجدته من قراءات لها هو قراءة «امرأتين حابستين تذودان» بدون نسبة. ينظر جامع القرطبي (١٣/ ٢٦٨).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وأبا عمرو؛ فقد قرأا ﴿يَصْدُر﴾. ينظر السبعة (٤٩٢)، البحر (٧/ ١١٣)، التيسير (١٧١)، النشر (٢/ ٣٤١).

(٣) ينظر: البحر (٧/ ١١٣)، إعراب القرآن (٢/ ٥٥٠)، البيان (٢/ ٢٣١).

(٤) يقال فيه: رِعاء، ورُعاة ورُعْيان. كل ذلك جمع (راع) ينظر لسان العرب (رعى).

عباسٍ: اسْمُ ختن موسى: يثرى ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ تفسير بعضهم في قوله: (القوي): أنه سألهما: هل ها هنا بئرٌ غير هذه؟ فقالتا: نعم، ولكن عليها صخرة لا يرفعُها إلا أربعون رَجُلًا، فرفعها موسى وحده.

وتفسير الحسن: أن الأمانة التي رأت منه؛ أنها حين جاءته تدعوه. قال لها: كوني ورائي - وكره أن يستدبرها.

﴿ستجدني إن شاء اللَّه من الصالحين﴾ أي: في الرفق بك ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ﴾ يعني: أي الأجلين قضيت، و(ما) زائدة[١] ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا سبيل عليَّ.

قال محمدٌ: (عُدوَان) منصوبٌ بـ (لا)[٢] وأصل الكلمة من العداء؛ وهو الظلم[٣]؛ كأنه قال: أي الأجلين قضيت فلا تعتدِ عليَّ؛ بأن تلزمني أكثر منه.

﴿واللَّه على ما نقول وكيل﴾ أي: شهيد .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال ابن عباسٍ: قضى أوفاهما وأبرَّهما: العَشر.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٠٥)، البحر (٧/ ١١٥ - ١١٦)، إعراب القرآن (٢/ ٥٥١)، البيان (٢/ ٢٣١).

(٢) ينظر المراجع السابقة.

(٣) يقال: عَدَا عليه يَعْدُو عَدْوًا وعُدُوًّا وعَدَاءً وعُدْوانًا وعِدْوانًا: ظلمه وتجاوز الحد. لسان العرب (عدو).

﴿وسار بأهله﴾ قال مجاهد: أقام بعد أن قضى الأجل عشر سنين ﴿آنس من جانب الطور نارًا﴾ قد مضى تفسيره[١] ﴿أو جذوة من النار﴾ يعني: أَصْل شرر[٢] ﴿لعلكم تصطلون﴾ وكان (شَاتِيًا)[٣] ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى﴾.

قال محمدٌ: (أن) في موْضع نصْب؛ المعنى: نودي بأنه يا موسى، وكذلك ﴿وأن ألْق عصاك﴾ عطفٌ عليها[٤].

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كأنها جانٌّ﴾ كأنها حيَّة ﴿ولَّى مدبرًا﴾ هاربًا منها ﴿ولم يعقب﴾ أي: يرجع؛ في تفسير مجاهد ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ اسلك؛ أي: أدخلها في جيبك [أي: قميصك][٥] ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾.

---

(١) مريم ٦٤، وطه: ٨٠.
(٢) في «ر»: أصل الشجرة.
(٣) في «ر»: شتاء.
(٤) ينظر الدر المصون (٥/٣٤١).
(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمد: يقال: سَلَكْت (ل٢٥٥) يدي وأَسْلَكْتُها[١].

﴿واضمم إليك جناحك﴾ يعني: يدك ﴿من الرهب﴾ [أي: من الرعب][٢] يقول: اضممها إلى صدرك؛ فيذهب ما فيه من الرعب، وكان قد دخله فزع من آل فِرعون ﴿فذانك برهانان من ربك﴾ أي: بيانان؛ يعني: العصا واليد.

﴿فأرسله معي رِدْءًا﴾ أي: عونًا ﴿يصدقني﴾ أي: يكون معي في الرسالة ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾.

قال محمدٌ: يقال: رَدَأْته على كذا؛ أي: أعنته[٣]، ومن قرأ (يصدقني) بالجزم فهو على جواب المسألة[٤]: أرسلْه يُصَدِّقْني، ومن رفع (يصدقُني) فالمعنى: ردءًا مُصدِّقًا لي[٥].

وذكر ابن مجاهد أن نافعًا وحده قرأ (رِدًا) منونَةً بغير همزٍ، وأن سائر القراء يقرءون: (ردءًا) بالهمز[٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

---

(١) وسَلَكْتها. بمعنًى واحد. لسان العرب (سلك).

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٣) يقال: رَدَأْته أرْدَؤه: أعنته وقويته. لسان العرب (ردأ).

(٤) أي: على جواب الأمر.

(٥) قرأ بالرفع عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر: السبعة (٤٩٤)، التيسير (١٧١) النشر (٢/ ٣٤١)، وينظر في التوجية النحوي: إعراب القرآن (٢/ ٥٥٣)، البحر (٧/ ١١٨).

(٦) ينظر: السبعة (٤٩٤)، البحر (٧/ ١١٨)، التيسير (١٧١).

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي: إني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة؛ يعني: الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري﴾ قال الحسن: تعمَّد الكذب ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي: فاطبخ لي آجُرًا[1]؛ فكان أول من طبخ الآجُرّ ﴿فاجعل لي صرحًا﴾ أي: ابن لي قصرًا؛ فبنى له صرحًا عاليًا، وقد علم فرعون أن موسى رسولُ اللَّه، وهذا القول منه كذبٌ .

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ يوم القيامة ﴿فانظر﴾ يا محمدُ ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي: دمَّر اللَّه عليهم، ثم صيرهم إلى النار .

﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي: يتبعهم من بعدهم من الكفار ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني: الغرق الذي عذَّبهم به ﴿ويوم القيامة

---

(١) هو اللَّبِن المحترق المعَدّ للبناء. وهو معرب. ويقال فيه: الآجُرُ والآجَرُ، والآجِرُ والآجُرُون والآجِرون. المعجم الوسيط، القاموس المحيط (أجر).

هم من المقبوحين﴾ يقول: أهل النار مشوهون سُودٌ زُرْقٌ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة؛ وهو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام ﴿بصائر للناس﴾ .

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ يعني: غربيّ الجبل ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ يعني: الرسالة ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: لمْ تشاهد ذلك ﴿ولكنا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر﴾ كان بين عيسى ومحمد خمسمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ أي: لمْ تكن يا محمد مقيمًا بِمَدْيَن؛ فتعلم كيف كان أمرهم، فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ قال بعضهم: نودي: يا أُمَّة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشًا؛ في تفسير السُّدي ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكَّروا.

قال محمدٌ: من قرأ (رحمةً) بالنصب[1]، فالمعنى: فعلنا ذلك للرحمة؛ كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخير؛ أي: لابتغاء الخير[2].

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ عيسى وأبو حيوة (رحمةٌ) بالرفع، ينظر: البحر (٧/ ١٢٣)، الكشاف (٣/ ١٨٢).

(٢) أي: مفعول لأجله. ينظر الدر المصون (٥/ ٣٤٦).

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبةٌ﴾ يعني: العذاب ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بالذي هُمْ عليه من الشرك ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولًا ...﴾ الآية، يقول: ولو أنا عذَّبناهم لاحتجوا، فقالوا: ربنا لولا: هلا ﴿أرسلت إلينا رسولًا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ فقطع اللَّه عُذْرَهُمْ بمحمَّدٍ؛ فكذبوه. قال اللَّه: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني: القرآن ﴿قالوا لولا أوتي﴾ يعنون: النبي عليه السلام ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ أي: هلَّا أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً؛ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة.

قال اللَّه: ﴿أو لَمْ يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حُجَّةٌ؛ في تفسير الحسن ﴿قالوا ساحران[1] تظاهرا﴾ موسى ومحمد؛ في تفسير الحسن؛ وهذا قول مشركي العرب ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يعني: بالتوراة والقرآن.

---

(١) قرأ الكوفيون ﴿سِحْران﴾ بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون ﴿ساحران﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء. النشر (٢/٣٤١ - ٣٤٢) وإتحاف الفضلاء (٤٣٦ - ٤٣٧).

قال الله: ﴿قل فأتوا بكتابٍ من عند الله هو أهدى منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه﴾ .

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ ليأتوا به، ولا يأتون به؛ ولكنها حجَّةٌ عليهم ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (ل٢٥٦) يعني: المشركين الذين يمُوتُون على شركهم.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ولقد وصَّلنا لهم القول﴾ أخبرناهم بأنا أهلكنا من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسُلَهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم فيؤمنوا ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به﴾ بالقرآن ﴿يؤمنون﴾ يعني: من كان مستمسكًا بأمر موسى وعيسى، ثم آمن بمحمدٍ ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ من قبل القرآن به ﴿مُسْلمين﴾ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ على دينهم ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ تفسير السُّدي: يدفعون بالقول المعروف والعفو الأذى والأمر القبيح ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة الواجبة ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ يعني: الشتمَ والأذى من كفَّار قومهم ﴿أعرضوا عنه﴾ أي: لم يردُّوا عليهم ﴿وقالوا﴾ للمشركين: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ

عليكم﴾ كلمة حلم عن المشركين، وتحية بين المؤمنين ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ أي: لا نكون منهم.

قال محمدٌ: وقيل: معنى ﴿سلام عليكم﴾ ها هنا؛ أي: بيننا وبينكم المُسالمة، وكان هذا قبْل أن (يؤمروا بقتالهم)[1].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ نزلت في أبي طالبٍ، حيث أراده النبي عليه السلام على أن يقول: لا إله إلا اللَّه؛ فأَبَى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي: من قُدِّرَ له الهدى ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾ يعني: التوحيد ﴿نتخطف من أرضنا﴾ لقلّتنا في كثرة العرب، وإنما ينفي الحرب عنَّا أنَّا على دينهم؛ فإن آمنا بك واتبعناك خشينا أن يتخطفنا الناس؛ قال اللَّه للنبي: ﴿أو لم نمكِّن لهم حرمًا آمنًا . . .﴾ الآية. يقول: قد كانوا في حرمي يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون، فيخافون إن آمنوا أن أسلِّط عليهم من يقتلهم ويَسْبيهم؟! ما كنت لأفعل ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: من لمْ يؤمن منهم ﴿وكم أهلكنا من

(١) في «ر»: يؤمر بالقتال.

قرية بطرت معيشتها﴾ [هو كقوله: ﴿فكفرت بأنعم الله﴾[١].

قال محمد: قيل: إن معنى ﴿بطرت معيشتها﴾ أي:][٢] أشِرت في معيشتها، ونصب (معيشتها) بإسقاط (في)[٣].

﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ أي: معذِّبهم؛ يعني: هذه الأُمَّة ﴿حتى يبعث في أمها﴾ يعني: مكَّة ﴿رسولًا﴾ والرسول: محمدٌ ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون ﴿وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ الجنة ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، ثم قال على الاستفهام:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أفمن وعدناه وعدًا حسنًا﴾ يعني الجنة ﴿فهو لاقيه [كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين][٤]﴾ أي: أنهما لا يستويان. يقال: نزلت في النبي عليه السلام وفي أبي جَهْل بن هشام ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ الغضب؛ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان: ﴿ربنا

---

(١) النحل: ١١٢ .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٥٥ - ٦٥٦)، البيان (٢/ ٢٣٥)، البحر (٧/ ١٢٦)، مجمع البيان (٤/ ٢٥٩).

(٤) سقط من الأصل.

هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم﴾ أضللناهم ﴿كما غوينا﴾ ضللنا ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ أي: بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به، وإنما دعوناهم بالوَسْوَسة؛ كقول إبليس: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾(1).

﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب.

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ يستفهمهم؛ يحتجُّ عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العباد عن أعمالهم إلا الله وحده ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الحُجَجُ؛ في تفسير مجاهد ﴿يومئذٍ فهم لا يتساءلون﴾ أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبهم شيئًا؛ في تفسير الحسن.

---

(1) إبراهيم: ٢٢ .

﴿فأما من تاب﴾ من شِرْكه ﴿وآمن﴾ أي: أخلص الإيمان للَّه ﴿وعمل صالحًا﴾ في إيمانه ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ و(عسى) من اللَّه واجبة ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ من خلقه للنبوة.

﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: أن يختاروا هم [الأنبياء (ل٢٥٧) فيتبعونهم][1].

﴿سبحان اللَّه﴾ (ينزِّه نفسه)[2] ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾.

[﴿قل أرأيتم إن جعل اللَّه عليكم الليل سرمدًا﴾ أي: دائمًا لا ينقطع، أمره يقوله للمشركين ﴿إلى يوم القيامة من إله غير اللَّه يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾][3].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قل أرأيتم إن جعل اللَّه عليكم النهار سرمدًا﴾ أي: دائمًا لا ينقطع، أمره أن يقوله للمشركين ﴿من إله غير اللَّه يأتيكم بليلٍ تسكنون فيه﴾ أي: يسكن فيه الخَلْق.

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) سقط من «ر».
(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالنهار؛ وهذا رحمة من اللَّه للمؤمن والكافر؛ فأما المؤمن فتتم عليه رحمة اللَّه في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فهي رحمةٌ له في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

﴿ونزعنا من كل أمةٍ شهيدًا﴾ أي: أحضرنا رسولًا ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم بأن اللَّه أمركم بما كنتم عليه من الشرك ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم التي كانوا يعبدونها.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إنَّ قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابنَ عَمِّه؛ أَخِي أبيه ﴿فبغى عليهم﴾ كان عاملًا لفرعون؛ فتعدَّى عليهم وظلمهم ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أي: من الأموال؛ يعني: قارون ﴿ما إن مفاتحه﴾ يعني: مفاتح خزائنه؛ في تفسير بعضهم ﴿لتنوء بالعصبة﴾ أي: لتثقل العصبة ﴿أولي القوة﴾ يعني: الشدة؛ وهم ها هنا أربعون رجلًا.

قال محمدٌ: يقال: نَأَتْ بالعصبة؛ أي: مالتْ بها، وأَنَأَت العُصْبةُ؛

أي: أمالتها[١].

قوله: ﴿لا تفرح﴾ لا تبطر ﴿إن اللَّه لا يحب الفرحين﴾ يعني: البطرين؛ وهم المشركون الذين لا (يشكرون)[٢] اللَّه فيما أعطاهم.

قال محمدٌ: من الفرح ما يكون معناه: الأَشَر والبَطَر. قال الشاعر:

ولستُ بمفْرَاحٍ إذا الدَّهرُ سَرَّني ... ولا جَازِعٍ من صَرْفِهِ المتحوِّلِ

يقول: لستُ بأَشِرٍ ولا بَطِرٍ؛ ليس هو من الفرح الذي معناه السرور.

﴿وابتغ فيما آتاك اللَّه﴾ من هذه النعم ﴿الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ يقول: اعملْ في دنياك لآخرتك.

﴿وأحسن﴾ فيما افترض اللَّه عليك ﴿قال﴾ قارون ﴿إنما أوتيته﴾ يعني: ما أُعطي من الدنيا ﴿على علمٍ عندي﴾ أي: بقوتي وعلمي.

قال محمدٌ: قيل: إنه كان [أَقْرأ بني إسرائيل للتوراة][٣] ولذلك ادعى أن المال أعطيه لعلمه. قال اللَّه: بل هي فتنةٌ: بلية.

﴿أو لَمْ يعلم﴾ يعني: قارون ﴿أن اللَّه قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا﴾ من الجنود والرجال؛ أي: بلى قد علم ﴿ولا يُسْأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ المشركون لتعلم ذنوبهم من عندهم ﴿فخرج على قومه﴾ يعني: قارون ﴿في زينته﴾ تفسير الكلبي: أنه خرج وعليه ثيابٌ حمرٌ على بغلةٍ بيضاء، ومعه أربعمائة جارية عليهنَّ ثيابٌ حمرٌ على بغالٍ بيضٍ ﴿قال

---

(١) مأخوذ من النَّأي؛ وهو البعد. ينظر لسان العرب (نأى).

(٢) في «ر»: يشركون. وهو تحريف عن الصواب.

(٣) مطموس في الأصل، والمثبت من «ر» وفي تفسير ابن كثير: أنه كان عالمًا بالكيمياء. (٦/ ٢٦٤).

الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ وهم المشركون ﴿يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون. . .﴾ الآية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ويلكم ثواب اللَّه﴾ يعني: الجنة ﴿خيرٌ﴾ ﴿ولا يُلقاها﴾ يُعطاها؛ يعني: الجنة ﴿إلا الصابرون﴾ وهم المؤمنون.

﴿فخسفنا به﴾ بقارون ﴿وبداره﴾ يعني: مسكنه، فهو يخسف به كل يوم قامةً إلى يوم القيامة؛ في تفسير قتادة ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنَّ اللَّه﴾ أي: أن اللَّه ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ .

﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ أي: وإنه لا يفلح الكافرون.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ويكأن اللَّه﴾ قال أبو عبيدَة: سبيلها سبيلُ: (ألم تر) وقد رأيتُ بين النحويين وأصحاب اللغة في هذه اللفظة (ويكأنه) اختلافًا كثيرًا؛ فاللَّه أعلم بما أراد[1].

---

(١) قرأ الكسائي بالوقف على (وي)، وقرأ أبو عمرو بالوقف على (ويك)، وقرأ الأصبهاني، وورش بتسهيل الهمزة، ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٤٤)، التبيان (٨/ ١٦٠)، النشر (٢/ ١٥١).

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

﴿لا يريدون علوًا في الأرض﴾ يعني: شركًا ﴿ولا فسادًا﴾ قتل الأنبياء والمؤمنين ﴿من جاء بالحسنة﴾ لا إله إلا اللَّه ﴿فله خيرٌ منها﴾ أي: فله منها خير.

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ بالشرك ﴿فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ يقول: جزاؤهم النار خالدين فيها.

﴿إن الذي فرض﴾ يعني: أنزل ﴿عليك القرآن لرادك إلى معادٍ﴾ .

قال يحيى: بلغني «أن النبي ﷺ حين هاجر نزل عليه جبريل وهو بالجحفة موجّه من مكة إلى المدينة، فقال: أشتقتَ يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها فقال: نعم. فقال: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى مولدك[(١)] الذي خرجت منه، ظاهرًا على أهله»[(٢)].

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ أي: محمد جاء بالهدى، فآمن به المؤمنون (ل٢٥٨) ﴿ومن هو﴾ أي: أعلم بمن هو ﴿في ضلالٍ مبينٍ﴾.

---

(١) أي: مكان مولدك.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٣٠٢٦ رقم ١٧٢٠٥) عن الضحاك بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٢) لابن مردويه عن علي بن الحسين بن واقد بنحوه أيضًا.
وروى البخاري (٨/ ٣٦٩ رقم ٤٧٧٣) عن ابن عباس «﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة».

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك﴾ يعني النبي عليه السلام.

﴿أن يلقى إليك الكتاب﴾ يعني: أن ينزّل عليك [وقوله: ﴿ترجو﴾ يقوله للنبي عليه السلام][1] ﴿إلا رحمة من ربك﴾ يقول: [ولكن][2] نزل عليك الكتاب رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيرًا﴾ عَوِينًا ﴿للكافرين﴾.

﴿كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه﴾ يعني: إلا هو.

قال محمدٌ: ﴿وجهه﴾ منصوبٌ على الاستثناء، المعنى: إلا إياه[3]؛ وهو مذهب يحيى.

﴿له الحكم﴾ القَضاء ﴿وإليه ترجعون﴾.

* * *

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) طمس بالأصل، والمثبت من «ر»..
(٣) ينظر الدر المصون (٥/٣٥٦)، البحر المحيط (٧/١٣٧).

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكيّة كلها إلا عشر آيات مدنية من أولها إلى قوله: ﴿وليعْلمن المنافقين﴾[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿الم﴾ قد مضى (القول فيه)[(٢)] في أول سورة البقرة ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ يعني: يبتلون بالجهاد في سبيل اللَّه؛ هم قومٌ كانوا بمكّة ممن أسلم كان قد وُضِعَ عنهم الجهاد والنبي عليه السلام بالمدينة بعد ما افْتُرِض الجهاد، وقُبِلَ منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولا

---

(١) اختلف في عد ﴿الم﴾ آية، أو بعض آية، فمن عدها آية، صارت هذه الآيات إحدى عشرة آية، واللَّه أعلم.

(٢) في «ر»: تفسيره.

يجاهدوا، ثم أُذِنَ لهم في القتال حين أخرجهم أهل مكة؛ فلما أُمروا بالجهاد كرهوا القتال ﴿ولقد فتنا﴾ اختبرنا ﴿الذين من قبلهم فليعلمن اللَّه الذين صدقوا﴾ بما أظهروا من الإيمان ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ يعني: الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر وهم المنافقون، وهذا علمُ الفعال.

قال محمدٌ: معنى علم الفعال: العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء، وقد علم اللَّه الصادق والكاذب قبل خلقهما.

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني: الشرك ﴿أن يسبقونا﴾ حتى لا نَقْدر عليهم فنعذبهم أي: قد حسبوا ذلك وليس كما ظنوا ﴿ساء ما﴾ أي: بئس ما ﴿يحكمون﴾ أن يظنوا أن اللَّه خلقهم، ثم لا يبعثهم فيجزيهم بأعمالهم، ثم قال: ﴿من كان يرجو لقاء اللَّه﴾ يقول: من كان يخشى البعث، وهذا المؤمن ﴿فإن أجل اللَّه لآتٍ﴾ يعني: البعث ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ يقول: يُعْطيه اللَّه ثواب ذلك.

﴿إن اللَّه لغنيٌّ عن العالمين﴾ أي: عن عبادتهم .

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ يعني: جميع الناس بوالديه ﴿حسنًا﴾ أي: برًّا ﴿وإن جاهداك لتشرك بي﴾ أي: أراداك على أن تشرك بي ﴿ما ليس لك به علمٌ﴾ أي: أنك لا تعلم أن معي شريكًا؛ يعني: المؤمنين ﴿فلا تطعهما﴾ .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟

سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ (يعني: مع الصَّالحين)(١) وهم أهل الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ رجعت القصةُ إلى الكلام الأول ﴿الم أحسب الناس﴾(٢) إلى قوله: ﴿وليعلمن الكاذبين﴾(٣) فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة، فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي: إذا أُمِرَ بالجهاد في سبيل الله فدخل عليه فيه أذى، رفض ما أُمِرَ به. وأقام عن الجهاد، وجعل ما يدخل عليه من البلية في القتال إذا كانت بلية كعذاب الله في الآخرة؛ لأن الله قد خوَّفه عذاب الآخرة وهو لا يُقِرُّ به ﴿ولئن جاء نصرٌ من ربك﴾ يعني: نصرًا على المشركين ﴿ليقولون﴾ يعني: جماعتهم ﴿إنا كنا معكم﴾ يطلبون الغنيمة، قال الله: ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي: أنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله وبرسوله وهم يظهرون الإيمان ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ أي: ما كان فيه من إثم فهو [علينا](٤) وهذا منهم إنكارٌ للبعث والحساب.

قال محمدٌ: (ولنحملْ) هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء(٥)، المعنى: إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم أي إن كان فيه إثمٌ فنحن نحملُه وإلى هذا

---

(١) سقط من «ر».
(٢) العنكبوت: ٢ .
(٣) العنكبوت: ٣ .
(٤) في الأصل: عليهم. والمثبت من «ر».
(٥) ينظر: البيان (٢/ ٢٤١)، الدر المصون (٥/ ٣٦١).

(ل٢٥٩) ذهب يحيى.

﴿وما هم﴾ يعني: الكافرين ﴿بحاملين من خطاياهم﴾ يعني: خطايا المؤمنين ﴿من شيء﴾ لو أتبعوهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾.

﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني: آثام أنفسهم ﴿وأثقالًا مع أثقالهم﴾ يقول: يحملون من ذنوب من اتبعهم على الضلالة، ولا ينقص ذلك من ذنوب الذين اتبعوهم شيئًا.

يحيى: عن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه السلام: «أيُّما داعٍ دعا إلى هدى[1] فاتُّبع عليه، كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقصَ من أجورهم[2] شيءٌ، وأيُّما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع عليها، كان له مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»[3].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

---

(١) في «ر»: الهدى.

(٢) في «ر»: أجرهم.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠٤ - ٥٠٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٥٢ رقم ٧) من طريق سفيان بن حسين عن الحسن به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٩٧) ومسلم (٤/ ٢٠٦٠) رقم ٢٦٧٤) وأبو داود (٥/ ١٩٣ - ١٩٤ رقم ٤٦٠١) والترمذي (٥/ ٤٢ رقم ٢٦٧٤) وابن ماجه (١/ ٧٥ رقم ٢٠٦) وابن حبان (١/ ٣١٨ رقم ١١٢) وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١) وابن ماجه (١/ ٧٤ رقم ٢٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١١٦ رقم ٢٦٧٧) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

﴿فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا﴾ قال كعب: لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم لبث بعد الطوفان ستمائة سنة ﴿فأخذهم الطوفان...﴾ إلى قوله: ﴿آية للعالمين﴾ قد مضى تفسير هذه القصة في سورة هود(١).

قال محمدٌ: والطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا مهلكًا للجماعة؛ كالغرق المشتمل على جماعة والقتل الذريع والموت الجارف.

﴿إنما تعبدون من دون اللَّه أوثانًا وتخلقون إفكًا﴾ أي: تقولون كذبًا ﴿وإن تكذبوا فقد كذَّبَ أممٌ من قبلكم﴾ أي: فأهلكهم اللَّه، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لمْ يؤمنوا ﴿وما على الرسول إلا البلاغُ المبين﴾ أي: ليس عليك أن تكره الناس على الإيمان.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

---

(١) هود: ٣٦ - ٤٧ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أو لم يروا كيف يبدئ اللَّه الخلق﴾ بلى قد رأوا أن اللَّه قد خلق العباد ﴿ثم يعيده﴾ يخبر أنه يبعث العباد ﴿إن ذلك على اللَّه يسير﴾ خلقهم وبعثهم ﴿ثم اللَّه ينشيء﴾ يخلق ﴿النشأة الآخرة﴾ يعني: البعث ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ يعني: ما أنتم بسابقي اللَّه بأعمالكم الخبيثة فتفوتونه هربًا؛ يقوله للمشركين.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ رجع إلى قصة إبراهيم ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾ أي: فيما صنع اللَّه لإبراهيم خليله وما نجاه من النار، وإنما يعتبر المؤمنون.

قال محمدٌ: من قرأ (جوابَ) بالنصب[1] جعل (أن قالوا) اسم كان[2].

---

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ الحسن وعمرو بن دينار (جواب) بالرفع. ينظر: البحر (٧/ ١٤٨)، جامع القرطبي (١٣/ ٣٣٨).

(٢) ينظر: الدر المصون (٥/ ٣٦٤).

﴿ثم قال إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم﴾ أي: يحب بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا.

قال محمدٌ: (مودّة) منصوبٌ بمعنى: اتخذتم هذا للمودَّة[1].

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ أي: يتبرأ بعضكم من بعضٍ ﴿وقال إني مهاجرٌ إلى ربي﴾ إبراهيم يقوله؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ﴿وآتيناه أجره﴾ في الدنيا فليس من أهل دين إلا وهمْ يتولَّوْنه ويحبونه.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ولوطًا﴾ أي: وأرسلنا لوطًا ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ يعني: إتيان الرجال في أدْبَارهم ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾.

قال محمدٌ: (أئنكم) لَفْظُه لَفْظُ الاستفهام، والمعنى معني التقرير والتوبيخ.

﴿وتقطعون السبيل﴾ كانوا يتعرضون الطريق يأخذون الغرباء؛ فيأتونهم في أَدْبارهم، ولا يفعله بعضهم ببعض ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ في مجمعكم المنكر؛ يعني: فعلهم ذلك .

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٦٨)، البحر (٧/ ١٤٨ - ١٤٩)، جمع البيان (٤/ ٢٧٨)، البيان (٢/ ٢٤٢ - ٢٤٣).

أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولما أن جاءت رسُلُنا﴾ يعني: الملائكة ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ﴿قالوا إنا مهلكو أهْل هذه القرية﴾ يعنون: قرية لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ مشركين ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرْعًا﴾ لَمَّا تخوَّفه عليهم من فعل قومه، وهو يظن أنهم آدميُّون.

﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ الملائكة قالته للوط ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رِجْزًا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يشركون ﴿ولقد تركنا منها آية (ل ٢٦٠) بينة﴾ أي: [عبرة][١] ﴿لقومٍ يعقلون﴾ وهم المؤمنون، وقد مضى تفسير قصة قوم لوط[٢].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) ينظر الأعراف (٨٠ - ٨٤)، هود: (٧٧ - ٨٣)، الحجر: (٦١ - ٧٤)، الشعراء: (١٦٠ - ١٧٤)، النمل: (٥٤ - ٥٨).

﴿وإلى مدينَ﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيبًا﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿فقال يا قوم اعبدوا اللّه وارجوا اليوم الآخر﴾ أي: صدقوا به ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ العذاب؛ في تفسير الحسن ﴿فأصبحوا في دراهم جاثمين﴾ أي: هالكين.

﴿وعادًا وثمودًا﴾[1] أي: وأهلكنا عادًا وثمودًا ﴿وقد تبيَّن لكم من مساكنهم﴾ يعني: ما رأوا من آثارهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ في الضلالة.

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وقارون﴾ أي: وأهلكنا قارون ﴿وفرعون وهامان وما كانوا سابقين﴾ أي: يسبقوننا؛ حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فكلًا أخذنا بذنبه﴾ يعني: من أهلك من الأمم السابقة ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا﴾ يعني: قوم لوطٍ الذين رُجِموا بالحجارة؛ من كان خارجًا من مدينتهمْ، وأهل السفر منهم.

﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني: مدينة قوم لوطٍ وقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ قوم نوحٍ، وفرعون وقومه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ

---

(١) بالتنوين وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم ذكر القراءات فيها في سورة الفرقان.

مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون اللَّه أولياء﴾ يعني: أوثانهم التي عبدوها من دون اللَّه ﴿كمثل العنكبوت اتخذث بيتًا وإن أوهن البيوت﴾ أضعف البيوت ﴿لبيْت العنكبوت﴾ أي: إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئًا كما لا يكنُّ بيت العنكبوت من حرٍّ ولا برد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئًا ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي: نَصِفها ونبيّنها ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ يعني: المؤمنين ﴿خلق اللَّه السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبرة للمؤمنين، أي: أن الذي خلق السمٰوات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة.

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ تفسير الكلبي: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فُحْشًا ولا منكرًا ﴿ولذكر اللَّه أكبر﴾ تفسير الحسن: قال اللَّه: ﴿فاذكروني أذكركُمْ﴾[1] فإذا ذكر اللَّهَ العَبدُ ذكره اللَّه، فذكْرُ اللَّهِ العبْدَ أكبرُ من ذكر العبد إياه.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ

(١) البقرة: ١٥٢ .

أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال بعضهم: يعني: من قاتلك منهم ولم يعطك الجزية فقاتله، وإنما أُمِرَ بقتالهم بالمدينة، وهذا مما نَزَلَ بمكة؛ ليعملوا به بالمدينة [نسختها آية القتال][1].

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني: من آمن منهم ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب ﴿من يؤمن به﴾ يعني: القرآن ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾ لو كنت تقرأ وتكتب، و(المبطلون) في تفسير بعضهم: من لمْ يؤمنْ من أهل الكتاب.

قال محمدٌ: المعنى على هذا التفسير: أي: أنهم يجدونك في كتبهم أُمِّيًا فلو كنت تكتب لارتابوا.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر». وانظر الناسخ والمنسوخ (٧٣).

﴿بل هو آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني: (النبي)[١] والمؤمنين ﴿وقالوا لولا﴾ هلَّا ﴿أنزل عليه آياتٌ من ربه﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات، قال اللَّه: ﴿قل إنما الآياتُ عند اللَّه﴾ إذا أراد اللَّه أن ينزل آيةً أنزلها ﴿أو لمْ يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم﴾ أي: تتلوه وأنت لا تقرأ ولا تكتب، فكفاهم ذلك لو عقلوا ﴿قل كفى باللَّه بيني وبينكم شهيدًا﴾ أني رسوله وأن هذا الكتاب من عنده؛ وأنكم على الكفر ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ والباطل: إبليس.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كان النبي عليه السلام يخوفهم العذاب إن لمْ يؤمنوا؛ فكانوا يستعجلون به استهزاءً وتكذيبًا. قال اللَّه: ﴿ولولا أجلٌ مسمى﴾ (ل٢٦١) النفخة [الأولى][٢] ﴿لجاءهم العذاب﴾ إن اللَّه أخَّر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى؛ بها يكون هلاكهم ﴿يوم يغشاهم

(١) سقط من «ر».
(٢) طمس في الأصل.

العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ كقوله: ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواش﴾[١].

﴿ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي: ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ أمرهم في هذه الآية بالهجرة إلى المدينة ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي: في تلك الأرض التي آمرُكم أن تهاجروا إليها؛ يعني: المدينة.

قال محمدٌ: (فإياي) منصوبٌ بفعلٍ مضمر الذي ظهر تفسيره؛ المعنى: فاعبدوا إياي: فاعبدون[٢].

﴿لنبوئنهم﴾ أي: لنسكننّهم ﴿من الجنة غرفًا . . . نعم أجرُ العاملين﴾ نعم ثواب العاملين في الدنيا؛ يعني: الجنة ﴿وكأين﴾ أي: وكم ﴿من دابة لا تحمل رزقها﴾ يعني: تأكل بأفواهها، ولا تحمل شيئًا لغدٍ.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض. . .﴾ إلى قوله: ﴿فأنى يؤفكون﴾ يقول: فكيف يصرفون بعد إقرارهم بأن اللَّه خلق هذه الأشياء [﴿اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي: يقتر. ﴿إن اللَّه بكل

(١) الأعراف: ٤١ .

(٢) ينظر الدر المصون (٥/٣٦٨).

شيء عليم﴾.

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيي به الأرض من بعد موتها ليقولن اللَّه قل الحمد للَّه بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي: أنهم قد أقروا بأن اللَّه خالق هذه الأشياء][1]، ثم عبدوا الأوثان من دونه؟!.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وما هذه الحياةُ الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ﴾ أي: إن أهل الدُّنيا أهل لهوٍ ولعب؛ يعني: المشركين هم أهلُ الدنيا لا يقرون بالآخرة ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ أي: يبقى فيها أهلُها لا يموتون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني: المشركين لعلموا أن الآخرة خَيرٌ من الدنيا ﴿دَعوا اللَّه مخلصين له الدين﴾ إذا خافوا الغرق ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ كقوله: ﴿بدَّلوا نعمة اللَّه كفرًا﴾[2].

﴿وليتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا صاروا إلى النار؛ وهذا وعيدٌ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

---

(١) لحق غير واضح بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) إبراهيم: ٢٨ .

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا﴾ أي: بلى قد رأوا ذلك ﴿ويتخطَّفُ الناس من حولهم﴾ يعني: أهل الحرم، يقول: إنهم آمنون، والعرب حولهم يقتل بعضهم بعضًا ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أفبإبليس يصدقون؟! أي: بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان، وهي عبادته ﴿وبنعمة اللَّه يكفرون﴾ يعني: ما جاء به النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الهدى، وهذا على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا.

﴿ومن أظلم ممن افترى على اللَّه كذبًا﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿أو كذب بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءه﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي: منزل ﴿للكافرين﴾ أي: بلى فيها مثوى لهم ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ يعني: عملوا لنا. ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ يعني: سبل الهدى.

﴿وإن اللَّه لمع المحسنين﴾ يعني: المؤمنين.

* * *

تفسير سورة الروم وهي مكيَّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ (٧)﴾

قوله: ﴿الم﴾ قد مضى القولُ فيه ﴿غُلبتْ الروم﴾ غلبتهم فارس ﴿في أدنى الأرض﴾ أرض الروم بأذرعات من الشام؛ بها كانت الوقعة، فلما بلغ ذلك مشركي العرب شمتوا، وكان يعجبهم أن يظهر المجوسُ على أهل الكتاب، وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس؛ لأن الروم أهل كتاب، قال اللَّه: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضع سنين للَّه الأمرُ من قبل ومن بعد﴾ من قبل أن تهزمَ الروم، ومن بعد ما هزمَتْ ﴿ويومئذٍ﴾ يوم يغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر اللَّه ينصر من يشاء . . .﴾ إلى قوله: ﴿لا يعلمون﴾ فقال أبو بكر للمشركين: لمَ تشمتون؟ فو اللَّه لتظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين. وقال أُبي بن خلف: أنا أبايعك ألا تظهر الروم على فارس إلى ثلاث سنين. فتبايعا على خَطَرٍ[1] بسبعٍ من الإبل. ثم رجع أبو بكر إلى رسول اللَّه فأخبره، فقال رسول اللَّه ﷺ: اذهبْ فبايعه

---

(١) الخَطَر: هو ما يُرَاهن عليه. لسان العرب (خطر).

إلى سبع سنين، مُدَّ في الأجل وزِدْ في الخَطَرِ [ولم يكن حرام ذلك يومئذ، وإنما حرم القمار - وهو الميسر - بعد][1] غزوة الأحزاب، فرجع أبو بكر إليهم (ل٢٦٢) قال: اجعلوا (الوعد)[2] إلى سبع سنين وأزيدكم في الخطر. ففعلوا فزادوا فيه ثلاثًا فصارت عشرًا من الإبل، وصارت السنون سبعًا؛ فلما جاءت سبعُ سنين ظهرت الروم على فارس، وكان اللَّه وعِد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم على المشركين، فظهرت الروم على فارس، والمؤمنون على المشركين في يومٍ واحدٍ يوْم بَدْر، وفرح المسلمون بذلك؛ وبأنَّ اللَّه صدق قوله وصدق رسوله[3].

قال محمدٌ: (وَعْدَ اللَّه) منصوبٌ على أنه مصدرٌ مؤكد؛ المعنى: وعد اللَّه وعدًا[4].

﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا﴾ قال الحسن: يقول: يعلمون حين زرعهم، وحين حصادهم، وحين نتاجهم ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ لا يقرون بها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الوقت.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٢٠) عن ابن مسعود بنحوه، وانظر تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٥٤ - ٥٥).

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٨١)، البحر (٧/ ١٦٢)، البيان (٢/ ٢٤٩).

أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿أو لمْ يتفكروا في أنفسهم ما خلق اللَّه السمٰوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: لو تفكروا في خَلْق السمٰوات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة ﴿وإن كثيرًا من الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾ .

﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: بطشًا ﴿وأثاروا الأرض﴾ أي: حرثوها ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أكثر مما عمر هؤلاء ﴿فما كان اللَّه ليظلمهم﴾ يعني: كفار الأمم الخالية فيعذبهُمْ على غير ذنْب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم وتكذيبهم؛ أي: قد [ساروا][(١)] في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لمْ يؤمنوا.

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿السوأى﴾ يعني: جهنم ﴿أن كذبوا بآيات اللَّه﴾ يعني: بأن كذبوا.

قال محمدٌ: من قرأ: (عاقبةُ) بالرفع[(٢)] جعل (السوأى) خبرًا لكان[(٣)]، وأصل الكلمة الفُعْلَى من السوء[(٤)] قال الشاعر:

---

(١) في الأصل (صاروا).

(٢) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمر، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥٠٦)، النشر (٢/ ٣٤٤)، البحر (٧/ ١٦٤)، التيسير (١٧٤).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٨٢)، البحر (٧/ ١٦٤)، مجمع البيان (٤/ ٢٩٦)، البيان (٢/ ٢٤٩).

(٤) والسُّوأى مؤنث الأسوأ. ينظر لسان العرب (سوء).

أم كيف يجزونني السوأى من الحسن[1]

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله: ﴿اللَّه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني: البعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ أي: ييأسُ المشركون من الجنة ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ يعني: أوثانهم ﴿شفعاء﴾ ﴿يومئذٍ يتفرقون﴾: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السَّعير.

﴿فهم في روضةٍ يحبرون﴾ يُكرمون.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿فسبحان اللَّه حين تمسون﴾ الصلوات الخمس كلها في هذه الآية؛ في تفسير الحسن.

---

(١) هذا عجز بيت للشاعر أُفنون التَّغلبي، وصدره:

أنى جزوا عامرًا سوءى بفعلهم .... إلـخ

وهو من بحر البسيط. ينظر شرح شواهد المغني (٥٣)، الخصائص (٢/ ١٨٤)، (٣/ ١٠٧)، وأمالي ابن الشجري (١/ ٣٧)، الحجة لابن خالويه (٤/ ١٢٨).

﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ صلاة الفجر ﴿وعشيًا﴾ صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ صلاة الظهر.

قال محمدٌ: تقول: أظهرنا؛ أي: دخلنا في الظَّهيرة؛ وهو وقت الزوال[1].

قال يحيى: «نزلت هذه الآية بعد ما أُسْرِيَ بالنبي عليه السلام وفرضت عليه الصلوات الخمس، وكل صلاةٍ ذكرت في المكي من القرآن قبل أن تفترض الصلوات الخمس فهي ركعتان غدوةً[2]، وركعتان عشيَّةً»[3].

﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ يحييها بالنبات بعد إذ كانت يابسة.

﴿وكذلك تخرجون﴾ يعني: البعث؛ يرسل الله مطرًا مَنِيًّا كَمَنِيِّ الرجال، فتنبت به جُسْمانُهم ولُحمانُهم؛ كما تنبت الأرض الثرى.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم

---

(١) وقيل: أظهرنا: سِرْنا في الظهيرة. لسان العرب (ظهر).

(٢) ويقال فيها: الغداة، وهي الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (غدو).

(٣) وهي الوقت من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العَتَمة. وصلاتا العشي: صلاة الظهر وصلاة العسر. لسان العرب، المعجم الوسيط (عشى).

مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ومن آياته﴾ تفسير السُّدي: يعني: ومن علامات الرب أنه واحدٌ ﴿أن خلقكم من ترابٍ﴾ يعني: الخلق الأول: خلق آدم ﴿ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون﴾ تَنْبَسِطُون ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني: المرأة هي من الرجل ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: تستأنسوا بها ﴿وجعل بينكم مودّة﴾ محبَّة ﴿ورحمة﴾ يعني: الولدُ.

﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ تفسير الكلبي: اختلاف ألسنتكم للعرب كلامٌ، ولفارس كلامٌ، وللروم كلامٌ (سائرهم من الناس)(١) كلامٌ ﴿وألوانكم﴾ أبيض وأحمر وأسود.

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ (ل٢٦٣) كقوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾(٢) من رزقه بالنهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن اللَّه ما أنزل عليهم ﴿يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومعرته، وطمعًا للمقيم في المطر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ وهم المؤمنون عقلوا عن اللَّه ما أنزل عليهم.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ

---

(١) في «ر»: ولسائرهم.
(٢) القصص: ٧٣ .

أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ كقوله: ﴿إن اللّه يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا﴾[١].

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ يعني: النفخة الآخرة، وفيها تقديم: إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون[٢] ﴿كل له قانتون﴾ تفسير الكلبي: كل له مطيعون في الآخرة؛ فلا يقبل ذلك من الكفار.

﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ بعد الموت؛ يعني: البعث.

﴿وهو أهون عليه﴾ أي: وهو أسرعُ عليه بَدْء الخلق خلقًا بعد خلق، ثم يبعثهم بمرةٍ[٣] واحدة.

قال محمدٌ: قال أبو عبيدة: المعنى: وهو هَيِّنٌ عليه[٤]؛ كما قالوا: اللّه أكبر بمعنى الكبير، وكما قالوا: أجهل؛ بمعنى: جاهل، وأنشد:

وقد أُعْتِبُ ابن العَمّ إن كان ظالمًا ... وأَغْفِرُ عنه الجهْل إن كان أَجْهَلا[٥]

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا

---

(١) فاطر: ٤١.
(٢) ينظر: مجمع البيان (٤/ ٣٠٠)، البحر (٧/ ١٦٨)، البيان (٢/ ٢٥٠).
(٣) أي: مرة، وهو تعبير لغوي فصيح.
(٤) أي: أن (أفعل) بمعنى (فعيل)، وهو كثير في الكلام.
(٥) البيت من بحر الطويل، ويروى البيت: ولا أعتب ... إن كان عاتبًا ... إلخ. ينظر مجمع الأمثال (١/ ٣٦٩).

رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ أي: ليس له نِدٌّ ولا شِبْهٌ ﴿ضرب لكم مثلًا من أنفسكم﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿هل لكم﴾ يعني: ألكم؟ ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ يعني: عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي: هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿تخافونهم﴾ تخافون لائمتهم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ يعني: كخيفة بعضكم بعضًا؛ أي: أنه ليس أحدٌ منكم هكذا؛ فأنا أحقُّ ألَّا يشرك بعبادتي غيري ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيِّنها ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ أتاهم من اللَّه بعبادة الأوثان ﴿فمن يهدي من أضل اللَّه﴾ أي: لا أحد يهديه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي: وجْهتك ﴿للدين حنيفًا﴾ أي: مخلصًا.

﴿فطرتَ اللَّه التي فطر﴾ خلق ﴿الناس عليها﴾.

قال محمدٌ: (فطرتَ اللَّه) نصبٌ بمعنى: اتبع فطرةَ اللَّه[1].

(١) إعراب القرآن (٢/ ٥٨٨)، البحر (٧/ ١٧١)، مجمع البيان (٤/ ٣٠٢).

قال يحيى: وهو قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم...﴾[(١)] الآية. إن أول ما خلق اللَّه القلم؛ فقال: اكْتب. قال: رب ما أكتبُ! قال: ما هو كائن. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فأعمال العباد تُعْرَضُ كلَّ يوم اثنين وخميس عرضة (فيجدونها)[(٢)] على ما في الكتاب. ثم مسح بعد ذلك على ظهر آدم فأخرج (منها)[(٣)] كل نسمة هو خالقها، فأخرجهم مثل الذَّرِّ. فقال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ ثم أعادهم في صلب آدم، ثم يكتب العبد في بطن أمه: شقيًا أو سعيدًا، على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقيًا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أُخذ عليه في صُلْب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيدًا عُمِّر حتى يجري عليه القلم [فيؤمن][(٤)] فيصير سعيدًا، ومن مات صغيرًا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم؛ فيكونون مع آبائهم في [الجنة من ملوك][(٤)] أهل الجنة، ومن كان من أولاد المشركين، فمات قبل أن يجري عليه القلم، فليس يكونون مع آبائهم في النار؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أُخذ عليهم في صلب آدم، ولم ينقضوا الميثاق.

قال يحيى: وقدْ حدثني الوليد بن (...)[(٥)] عن الربيع بن صبيح، عن يزيد

---

(١) الأعراف: ١٧٢، ﴿ذرياتهم﴾ على الجمع، وهي قراءة: نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الكوفيون وابن كثير: ﴿ذريتهم﴾ بالإفراد. ينظر: النشر (٢/ ٢٧٣)، البحر (٤/ ٤١٨ - ٤١٩)، الدر المصون (٣/ ٣٦٩ - ٣٧٠).

(٢) في «ر»: فيحمدونه.

(٣) أي: من المَسْحة التي مسحها على ظهر آدم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) لم استطع قراءتها من الأصل، وفي «ر»: «الوليد عن ابن بزع» ولم اهتد لضبط هذا الإسناد، واللَّه أعلم.

الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: «سُئِلَ رسولُ اللَّه عن أولاد المشركين؟ فقال: لم تكن لهم حسناتٌ؛ فيجزوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولمْ تكن لهم سيئاتٌ؛ فيُعَاقبوا بها فيكونوا من أهل النار؛ فهم خدمٌ لأهل الجنة»[1].

---

(١) رواه الطيالسي (٢٨٢ رقم ٢١١١) عن الربيع بن صبيح به.
ورواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٠٨) من طريق الثوري عن الربيع بن صبيح به.
وروى أبو يعلى (٧/ ١٣٠ - ١٣١ رقم ٤٠٩٠) وابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١١٨) وغيرهم من طريق الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال رسول اللَّه ﷺ: «الأطفال خدم أهل الجنة».
ورواه البزار - كما في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٥) - والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٩٤ رقم ٥٣٥٥) من طريق مبارك بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس مثله.
وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص٥٨٤): يزيد الرقاشي واهٍ.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١٩): رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفي إسناد أبي يعلى: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق. ووثقه ابن عدي، وبقية رجالهما رجال الصحيح.
وقال ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٩٠): حديث ضعيف، أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى.
وروى البخاري في تاريخه (٦/ ٤٠٧ - ٤٠٨) والبزار - كما في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٤) - والطبراني في الكبير (٧/ ٢٤٤ رقم ٦٩٩٣) والروياني في مسنده (٢/ ٦٤ رقم ٨٣٨) وغيرهم من طريق عيسى بن شعيب ، عن عباد بن منصور، عن أبي رجاء، عن سمرة بن جندب ﵁ قال النبي ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، وفيه عباد ابن منصور، وثقه يحيى القطان، وفيه ضعف، وبقة رجاله ثقات.
وقال ابن حجر في الفتح (٣/ ٢٩٠): وإسناده ضعيف.
وقال ابن منده في المعرفة (٢/ ٢٦١ - ١) - كما في السلسة الصحيحة (٣/ ٤٥٢ رقم ٤٦٨) - حدث إبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أبي مالك قال: «سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين، قال: هم خدم أهل الجنة».
قال أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/ ٣٠٠٧ رقم ٦٩٨١): كذا قال عن أبي مالك؛ والمشهور عن يزيد عن سنان عن أنس بن مالك . قال ابن حجر في الإصابة (١٢/ ٦): وهو كذلك.

يحيى: (عن ابن أبي ذئب)[١] عن الزهري [عن عطاء بن يزيد][٢] عن أبي هريرة قال: «سُئِلَ رسول اللَّه عن أولاد المشركين، فقال: اللَّه أعلم (ل٢٦٤) بما كانوا عاملين»[٣].

قال يحيى: يعني: لو بلغوا.

قوله: ﴿لا تبديل لخلق اللَّه﴾ يعني: لدين اللَّه كقوله ﴿من يهدِ اللَّه فهو المهتدي﴾ لا يستطيع أحدٌ أنْ يضله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

﴿منيبين إليه﴾: أي مقبلين بالإخلاص.

قال محمدٌ: قال الزَّجاج: (منيبين إليه) نصْبٌ على الحال[٤] بفعل (فأقم وجهك) قال: وزعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم؛ لأن

---

(١) في «ر»: عن أبي دينار. وهو تحريف.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه الطيالسي (٣١٤ رقم ٢٣٨٢) عن ابن أبي ذئب به.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٩) ومسلم (٤/ ٣٥٣ رقم ٢٦٥٨) والبغوي في شرح السنة (١/ ١٥٣ رقم ٨٣) من طريق ابن أبي ذئب.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٦٨) والبخاري (٣/ ٢٨٩ رقم ١٣٨٤) ومسلم (٤/ ٣٥٣ رقم ٢٦٥٨) والنسائي (٤/ ٥٨ رقم ١٩٤٨) وابن حبان (١/ ٣٤٠ رقم ١٣١) والبغوي في شرح السنة (١/ ١٥٣) وغيرهم من طرق عن الزهري به.
وقال البغوي: هذا حديث متفق على صحته.
وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وغيره من الصحابة ﷺ.
وانظر الكلام على أولاد المشركين مفصلا في التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١١١ - ١٣٣) وطريق الهجرتين لابن القيم (٥٧٠ - ٥٩٥) وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٩٠ - ٢٩١) وغيرها.

(٤) وفي ذلك تفصيل نحوي، حيث اختلف النحاة في عامل النصب في الحال. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٨٩)، مجمع البيان (٤/ ٣٠٤)، البحر (٧/ ١٧١).

مخاطبة النبي عليه السلام تدخل فيها الأمة[1].

﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا﴾ فرقًا؛ يعني: أهل الكتاب ﴿كل حزبٍ﴾ كل قومٍ ﴿بما لديهم﴾ أي: بما هم عليه ﴿فرحون﴾ أي: راضون.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وإذا مسَّ الناس ضرٌّ دَعَوا ربهم منيبين إليه﴾ أي: مخلصين في الدعاء ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمةً﴾ يعني: كشف عنهم ذلك ﴿إذا فريقٌ منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي: يكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا ﴿فتمتعوا﴾ إلى موتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانًا﴾ أي: حُجَّة ﴿فهو يتكلَّم﴾ أي: فذلك السلطان يتكلم ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: لمْ تنزل عليهم حُجَّةٌ بذلك تأمرهم أن يشركوا ﴿وإذا أذقنا الناس رحمةً﴾ يعني: عافيةً وسعةً ﴿فرحوا بها وإن تصبهم سيئة﴾ يعني: شدة عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ ييأسون من أن يصيبهم رخاء بعد

(١) ينظر الكلام على ذلك من الدر المصون (٥/ ٣٧٨)، كشف المشكلات (٢/ ١٠٥٠).

تلك الشدة؛ يعني: المشركين ﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾.

قال الحسن[١]: بعض هذه الآية تطوع، وبعضها مفروض؛ فأما قوله: ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ فهو تطوع، وهو ما أمر اللَّه به من صله القرابة، وأما قوله: ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ فيعْني: الزكاة.

قال يحيى: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لمْ تكنْ شيئًا معلومًا.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وما آتيتم من ربًا لِتُرْبُوا[٢] في أموال الناس فلا يربوا عند اللَّه﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم: قال: تلك الْهديَّة تهْدِيها ليُهْدَى إليك خيْرٌ منها ليس لك فيها أجرٌ، وليس عليك فيها وزرٌ، وبعضهم يقرؤها: ﴿لِيْربُوا﴾ أي: ليربو ذلك الربا ﴿وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه اللَّه﴾ يعني: تريدون به اللَّه ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يعني: الذين يضاعف اللَّه لهم الحسنات.

قال محمدٌ: يقال: رجلٌ مُضْعِفٌ؛ أي: ذو أضعافٍ من الحسنات؛ كما يقال: رجلٌ موسِرٌ؛ أي: ذو يسارٍ[٣].

---

(١) في «ر»: محمد. وأظنها الصواب، واللَّه أعلم.

(٢) هكذا في الأصل و«ر»: (لِتُربُوا) وهي قراءة نافع وحده من السبعة ، وقرأ الباقون (لِيَرْبُوا) ينظر: السبعة (٥٠٧)، البحر (٧/ ١٧٤)، التيسير (١٧٥)، النشر (٢/ ٣٤٤).

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف)، و(يسر).

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢)﴾

﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ تفسير بعضهم: الفسادُ: الهلاكُ، يعني: من أُهلِك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسُلَهم أهلكهم اللَّه في بر الأرض وبحرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل من بعدَهُمْ أن يرجعوا عن شركهم إلى الإيمان ويتعظوا بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ كان عاقبتهم أنْ دَمّر اللَّهُ عليهم ثم صيّرهم إلى النار.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ (٤٥) وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدين القيم﴾ الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يومٌ لا مَردَّ له من اللَّه﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يومئذٍ يصدعون﴾ يتصدعون؛ أي: يتفرقون: فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿من كفر فعليه كفْرُه﴾ يُثاب عليه النار ﴿ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون﴾ يعني: يُوَطِّئُون في الدنيا القرار في الآخرة ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي:

بفضله يدخلهم الجنة .

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ يعني: المطر ﴿ولتجري الفلك﴾ يعني: السفن ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ويجعله كسفًا﴾ أي: قطعًا ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السحاب.

﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله لمبلسين﴾ أي: يائسين عاجزين.

قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ (ل٢٦٥) هو كلامٌ من كلام العرب مثنى مثل قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾[١] .

قال محمدٌ: تكرير (قبْل) على جهة التوكيد[٢] .

﴿فانظر إلى آثار رحمت اللَّه﴾ يعني: المطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد

---

(١) هود: ١٩، ويوسف: ٣٧، وفصلت: ٧ . ووردت في الأصل: ﴿وهم بآياتنا هم كافرون﴾ .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر من إعراب القرآن (٢/ ٥٩٤)، مجمع البيان (٤/ ٣٠٩)، البحر (٧/ ١٧٨).

موتها﴾ يعني: النبات؛ أي: فالذي أنبت هذا النبات بذلك المطر قادرٌ على أن يبعث الخلق (يوْمَ)(١) القيامة .

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ولئن أرسلنا ريحًا﴾ فأهلكنا به ذلك الزرع ﴿فرأوه﴾ يعني: الزرع ﴿مصفرًا لظلوا من بعده﴾ [لصاروا](٢) من بعد ذلك المطر ﴿يكفرون﴾.

﴿فإنك لا تُسمع الموتى﴾ يعني: الكفار الذين يموتون على كفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ [يقول: إن الصم لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين](٢) وهذا مَثَلُ الكفار أنهم إذا تولوا عن الهدى لمْ يسمعوه سَمْعَ قبول.

قال: ﴿وما أنت بهاد العُمْي﴾ يعني: الكفَّار هم عُمْيٌ عن الهدى ﴿إن

---

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.
(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

تسمع﴾ إن: يقبل منك ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾.

قال محمدٌ: (إن تسمع) أي: ما تُسْمِع[(١)].

﴿اللَّه الذي خلقكم من ضُعْفٍ﴾[(٢)] يعني: نطفة الرجل ﴿ثم جعل من بعد ضعفٍ قوة﴾ يعني: الشبيبة[(٣)].

﴿يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في الدنيا في قبورهم ﴿غير ساعَةٍ كذلك كانوا يؤفكون﴾ يُصَدُّون في الدنيا عن الإيمان بالبعث ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب اللَّه إلى يوم البعث﴾ وهذا من مقاديم الكلام[(٤)]. يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب اللَّه والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم القيامة؛ يعني: لُبْثهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بُعِثوا ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم﴾ في الدنيا ﴿لا تعلمون﴾ أن البعث حقٌّ ﴿فيومئذٍ لا ينفع الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ لا يُرَدون إلى الدنيا فيعتبون؛ أي: يؤمنون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي: ليذَّكروا ﴿ولئن

---

(١) (إن) المخففة نافية بمعنى (ما). انظر في ذلك مغني اللبيب (١/ ٣٠).

(٢) بضم الضاد، قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، واختلف عن حفص، وقرأ الباقون بالضم. النشر (٢/ ٣٤٥) وإتحاف الفضلاء (٤٤٥).

(٣) أي: الشباب. لسان العرب (شبب).

(٤) أي: أن الكلام به تقديم وتأخير. ينظر الكلام عليه من الدر المصون (٥/ ٣٨٣).

جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهُمْ بآية ﴿كذلك يطبع اللَّه على قلوب الذين لا يعلمون﴾ يعني: الذين يلقون اللَّه بشركهم ﴿فاصبر إن وعد اللَّه حقٌّ﴾ الذي وعدك أنه سينصُرك على المشركين.

﴿ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون﴾ أي: لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك إليه من تَرْك دينك.

* * *

تفسير سورة لقمان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

قوله: ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ هذه آيات الكتاب الحكيم المحكم؛ أُحكِمَتْ آياتُه بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿هدى ورحمةً للمحسنين﴾ للمؤمنين.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿ورحمةً﴾(١) بالنصب فعلى الحال(٢).

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ المفروضة ﴿ويؤتون الزكاةَ﴾ المفروضة ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ تفسير السُّدي: يختار باطل الحديث على القرآن.

وقال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار؛ وكان رجلًا راويةً لأحاديث الجاهلية وأشعارهم ﴿ليضل عن سبيل الله بغير علمٍ﴾ أتاه من

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة، فقد قرأها بالرفع. ينظر: البحر (٧/ ١٨٣)، السبعة (٥١٢)، النشر (٢/ ٣٤٦)، التيسير (١٧٦).

(٢) البحر (٧/ ١٨٣)، إعراب القرآن (٢/ ٥٩٩)، البيان (٢/ ٢٥٣).

الله بما هو عليه من الشرك ﴿ويتخذها﴾ يتخذ آيات الله القرآن ﴿هُزُوًا﴾.

قال محمدٌ: من قرأ: (ويتخذُها) بالرفع[1] فعلى الابتداء[2].

﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرًا﴾ أي: جاحدًا ﴿كأن لمْ يسمعها﴾ أي: قد سمعها بأذنيه، ولم يقبلها قلْبه وقامت عليه بها الحجة. ﴿كأن في أذنيه وقرًا﴾ صممًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿خلق السمٰوات بغير عمدٍ ترونها﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن: خلق السمٰوات ترونها بغير عمَدٍ، وتفسير ابن عباسٍ: لها عمدٌ ولكن لا ترونها[3] ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال أَثْبتَ بها الأرض ﴿أن تميد بكم﴾ أي: لئلا تحرّك بكم ﴿وبث فيها﴾ خلق ﴿من كل دابة﴾.

﴿فأروني ماذا خلق﴾ يقوله للمشركين (ل٢٦٦) ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿بل الظالمون﴾ المشركون ﴿في ضلالٍ مبين﴾ بيِّن.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ

---

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم. وقرأ حمزة والكسائي بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٢)، البحر (٧/ ١٨٤)، النشر (٢/ ٣٤٦)، التيسير (١٧٦).

(٢) ينظر البحر (٧/ ١٨٤).

(٣) ينظر: البحر (٧/ ١٨٦)، مجمع البيان (٤/ ٣١٤ - ٣١٥)، البيان (٢/ ٢٥٤).

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ قال مجاهد: يعني: الفقه والعقل، والإصابة في القول في غير نبوةٍ ﴿أن اشكر للَّه﴾ النعمة.

﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ وهو المؤمن ﴿ومن كفر﴾ يعني: كفرها ﴿فإن اللَّه غنى﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه ﴿إن الشرك لظلمٌ عظيم﴾ يعني: يظلم به المشرك نفسه وينقُصها.

﴿حملته أمه وهنًا على وهن﴾ أي: ضعفًا على ضعف.

قال محمدٌ: المعنى: لزمها لحملها إيَّاه أن تضعف مرَّة بعد مرَّة.

﴿وإن جاهداك﴾ يعني: أراداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي أنك لا تعلم أن لي شريكًا؛ يعني: المؤمن ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليَّ﴾ طريق من أقبل إليَّ بقلبه مخلصًا ﴿يا بُنى﴾ رجع إلى كلام لقمان ﴿إنها إن تك مثقال حبة﴾ أي: وزن حبةٍ ﴿من خردل﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (مثقالُ) بالرفع[1] مع تأنيث (تَكُ) فلأن مثقال حبة من

---

(١) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥١٣) البحر (٧/ ١٨٧)، النشر (٢/ ٤٢٣)، التيسير (٥٥١).

خردل راجع إلى معنى خردلة؛ فهو بمنزلة: إن تكُ حبةٌ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ[١].

قال يحيى: بلغنا أنها الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قرارُ الأرض[٢].

﴿أو في السمٰوات أو في الأرض يأت بها اللَّه﴾ أي: احذر؛ فإنه سيحصي عليك عملك ويعلمُه؛ كما علم هذه الحبة من الخردل ﴿إن اللَّه لطيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وأمُر بالمعروف﴾ بالتوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ والعزم أن يصبر ﴿ولا تصاعر[٣] خدك للناس﴾ لا تعرض بوجهك عنهم استكبارًا.

قال محمدٌ: ومن قرأ (تُصَعِّر)[٤] فعلى وجه المبالغة، وأصل الكلمة من قولهم: أصاب البعير صَعَرٌ؛ إذ أصابه داءٌ فلوى منه عنقه[٥].

---

(١) ينظر: البحر (٧/ ١٨٧)، إعراب القرآن (٢/ ٦٠٢)، البيان (٢/ ٥٥٢).
(٢) هذا من الإسرائيليات، والله أعلم.
(٣) هذه قراءة نافع، وأبي عمرو ، والكسائي، وحمزة. ينظر البحر (٧/ ١٨٨)، السبعة (٥١٣)، النشر (٢/ ٣٤٦).
(٤) وهذه قراءة باقي السبعة.
(٥) الصَّعَر: داء في العنق لا يُستطاع معه الالتفات. المعجم الوسيط (صعر).

قال المتلمِّسُ[١]:

وكنا إذا الجبار صعَّر خدّه أقمنا له من رأسه فتقوَّمَا[٢]

قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ أي: تعظُّمًا ﴿إن اللَّه لا يحب كل مختال فخور﴾ أي: متكبر فخور، يعني: يُزْهَى بما أعطِيَ، ولا يشكر اللَّه ﴿واقصد في مشيك﴾ كقوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحًا﴾ ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات﴾ يعني: أقبح ﴿لصوت الحمير﴾.

قال محمدٌ: معنى (اغضض): انقُصْ[٣]؛ المعنى: عَرَّفه قبح رفع الصَّوْت في المخاطبة والملاحاة[٤] بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ألَمْ تروا أن اللَّه سخَّر لكم ما في السمٰوات﴾ يعني: شمسها وقمرها ونجومها، وما ينزل منها من ماء ﴿وما في الأرض﴾ من شجرها وجبالها

---

(١) هو جرير بن عبد العزى من بني ضبيعة شاعر جاهلي، وهو خال طرفة بن العبد، توفي حوالي (٥٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٢/ ١١٩).

(٢) البيت من بحر الطويل، ويروى: أقمنا له من مَيْله فتقوما. ينظر: البحر (٧/ ١٨٢)، مجاز القرآن (٢/ ١٢٧) منسوبًا لعمرو بن حُنَي التغلبي، وفي لسان العرب (صعر) منسوبًا إلى المتلمس، وهو كذلك في ديوانه: (٢٤).

(٣) لسان العرب (غضض).

(٤) المنازعة والمخاصمة. لسان العرب (لحى).

وأنهارها وبحارها وبهائمها ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ أي: في باطن أمركم وظاهره ﴿ومن الناس من يجادل في اللَّه﴾ فيعبد الأوثان دونه ﴿بغير علم ولا هدى﴾ أتاه من اللَّه ﴿ولا كتاب منير﴾ بيِّن بما هو عليه من الشرك.

﴿بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون: عبادة الأوثان ﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي: أيتبعون ما وجدوا عليه آباءهم، ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير؛ أي: قد فعلوا .

﴿ومن يسلم وجهه﴾ يعني: وجهته في الدين ﴿إلى اللَّه وهو محسنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ لا إله إلا اللَّه ﴿وإلى اللَّه عاقبة الأمور﴾ يعني: مصيرها في الآخرة .

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿نمتعهم قليلًا﴾ في الدنيا؛ يعني: إلى موتهم.

﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه﴾ يقول: لو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ يكتب بها علمه، والبحر يمده من بعده سبعة

أبحر؛ يُستَمَدُّ منه للأقلام لانكسرت الأقلام ونَفِدَ البحر ولمات الكُتَّاب، وما نفدت كلماتُ اللَّه يعني بما خلق.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿والبحرُ﴾ بالرفع فهو على الابتداء(١).

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ قال المشركون: يا محمد، خلقنا اللَّه (ل٢٦٧) أطوارًا: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا، ثم أنشأنا خلقًا آخر كما تزعم، وتزعم أنَّا نبعث في ساعةٍ واحدة؟! فأنزل اللَّه جوابًا لقولهم: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ إنما يقول له كن فيكون.

قال محمدٌ: من قرأ (فيكون) بالرفع فعلى معنى: فهو يكون)(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) وقراءة الرفع هي قراءة السبعة إلا أبا عمرو؛ فقد قرأ بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٣)، البحر (٧/ ١٩١)، النشر (٢/ ٣٤٧).

وينظر في توجيه الرفع نحويًا من. إعراب القرآن (٢/ ٦٠٦)، البحر (٧/ ١٩٠ - ١٩١)، البيان (٢/ ٢٥٦).

(٢) هكذا في الأصل و«ر» وهو يشعر أن قوله ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ جزء من إحدى آيات سورة لقمان، وليس كذلك؛ ولا أدري ما سبب هذا الإقحام وسبب التعليق على قراءاته!

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أَخْذُ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿ليريكم من آياته﴾ يعني: جري السفن.

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهو المؤمن ﴿وإذا غشيهم موجٌ كالظلل﴾ كالجبال .

﴿فمنهم مقتصد﴾ هذا المؤمن، وأما الكافر فعاد في كفره ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ أي: غدَّار ﴿كفور﴾ يقول: أخلص له في البحر للمخافة من الغرق، ثم غدر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

﴿واخشوا يومًا لا يجزي والدٌ عن ولده﴾ أي: لا يفديه من عذاب اللَّه .

﴿إن وعد اللَّه حقٌّ﴾ يعني: البعث والحساب، والجنة والنار. ﴿ولا يغرنكم باللَّه الْغَرور﴾ الشيطان، وتقرأ: (الغُرُور)[1] برفع الغين؛ يعني: غرور الدنيا، وهو أباطيلها .

﴿إن اللَّه عنده علم الساعة﴾ علمُ مجيئها ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى وكيف صوَّره ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت إن اللَّه عليم﴾ بخلقه ﴿خبيرٌ﴾ بأعمالهم.

---

(١) وهي قراءة سماك بن حرب، وأبي حيوة، وابن السميفع. ينظر البحر (٧/ ١٩٤)، جامع القرطبي (١٤/ ٨١)، المحتسب (٢/ ١٧٢).

تفسير الم السجدة وهي مكِّيَّة كلُّها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾

قوله: ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربِّ العالمين﴾ أي: لا شك فيه أنه من رب العالمين.

قال محمدٌ: ﴿تنزيل﴾ رفعٌ على خبر الابتداء على إضمار: الذي تتلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء ﴿لا ريب فيه﴾[1].

﴿أم يقولون افتراه﴾ يعني: المشركين يقولون: إن محمدًا افترى القرآن، أي: قد قالوه وهو على الاستفهام ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني: قريشًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا ﴿في ستة أيام﴾ اليومُ منها ألف سنة.

﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يمنعكم من عذابه إذ أراد عذابكم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لكم عنده؛ حتى لا يعذبكم.

---

(١) ينظر: الدر المصون (٥/ ٣٩٣).

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ أي: ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ثم يعرج إليه﴾ أي: يصعد؛ يعني: جبريل إلى السماء ﴿في يومٍ كان مقداره ألف سنة﴾ من أيام الدنيا.

قال يحيى: بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فينزل مسيرة خمسمائة سنة، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم وفي أقل من يوم، وربُّما سئل النبي عليه السلام عن الأمر يحضره، فينزلُ في أسرع من الطرف.

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ وهذا تبعٌ للكلام الأول ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ثم قال: ﴿ذلك عالمُ الغيب والشهادة﴾ يعني: نفسه و﴿الغيب﴾: السِّر و﴿الشهادة﴾: العلانية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني: آدم ﴿ثم جعل نسله﴾ نسل آدم بعدُ ﴿من سلالةٍ من ماءٍ مهين﴾ ضعيف؛ يعني: النطفة ﴿ثم سواه﴾ يعنى: سوى خلقه كيف شاء ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ أي: أقلكم من يشكر ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي: إذا كنا رُفاتًا وترابًا ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ وهذا استفهامٌ على إنكار؛ أي: أنا لا نبعث بعد الموت ﴿قل يتوفاكم﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ جُعلت الأرض لملك الموت مثل الطَّسْتِ يقبض أرواحهم، كما يلتقط

الطير الحَبَّ.

قال يحيى: وبلغني أنه يقبض روح كل شيءٍ في البر والبحر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم﴾ خزايا نادمين ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحًا إنا موقنون﴾ بالذي أتى به محمدٌ أنه حقٌّ .

﴿ولكن حقَّ القول منى﴾ أي: سبق ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني: المشركين من الفريقين ﴿فذوقوا﴾ يعني: عذاب جهنم ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ (ل٢٦٨) يعني: بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ أي: تركناكم في العذاب .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ تفسير الحسن قال: يعني: قيام الليل ﴿يدعون ربهم خوفًا﴾ من عذابه ﴿وطمعًا﴾ في رحمته؛ يعني: الجنة.

قال محمدٌ: معنى ﴿تتجافى﴾: تفارق(١).

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ على قَدْرِ أعمالهم.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا﴾ يعني: مشركًا ﴿لا يستوون﴾.

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها﴾ يقول: إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلَهَبِهَا؛ حتى إذا كانوا في أعلاها رجوا أن يخرجوا منها فضربوا بمقامع من حديد؛ فهَوَوْا إلى أسفلها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ الأقرب؛ يعني: بالسَّيْف يَوْمَ بدْرٍ؛ في تفسير الحسن ﴿دون العذاب الأكبر﴾ عذاب النار ﴿لعلهم﴾ لعل من يبقى

---

(١) لسان العرب (جفو).

منهم ﴿يرجعون﴾ من الشرك إلى الإيمان .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن﴾ يا محمدُ ﴿في مرية من لقائه﴾ تفسير الكلبي: فلقيه النبي في السماء السادسة ليلة أسري به ﴿وجعلناه هدى﴾ يعني: موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾.

﴿وجعلنا منهم أئمةً﴾ يعني: أنبياء ﴿يهدون﴾ أي: يدعون ﴿بأمرنا﴾.

﴿إن ربك هو يفصل بينهم . . . ﴾ الآية، يفصل بين المؤمنين والمشركين ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الإيمان والكفر؛ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أو لَمْ يَهْدِ لهم﴾ يعني: يبيِّن لهم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ يعني: ما قصَّ مما أهلك به الأمم السَّالفة؛ حين كذبوا رسُلَهُمْ ﴿يمشون في مساكنهم﴾ أي: يمرون؛ منها ما يُرَى، ومنها ما لا يُرَى؛ كقوله: ﴿منها قائم﴾ تراه ﴿وحصيد﴾[1] لا تراه ﴿أفلا يسمعون﴾ يعني: المشركين ﴿إلى الأرض الجرز﴾ يعني: اليابسة؛ أي: فالذي أحيَا هذه الأرض بعد موتها قادرٌ على أن يحييهم بعد موْتهم .

---

(١) هود: ١٠٠ .

﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ يعني: القضاء بعذابهم؛ قالوا ذلك استهزاءً وتكذيبًا بأنه لا يكون ﴿قل يوم الفتح﴾ القضاء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانُهم﴾ ليس أحدٌ من المشركين يرى العذاب إلَّا آمن؛ فلا يقبل منهم.

﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ بهم العذاب ﴿إنهم منتظرون﴾ نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم(١).

* * *

(١) قيل: نسختها آية السيف، وقيل: هي غير منسوخة؛ إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٤)، نواسخ القرآن (٤٨٨)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٢).

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)﴾

قوله: ﴿يا أيها النبي[1] اتق اللَّه ولا تطع الكافرين﴾ في الشرك باللَّه ﴿والمنافقين﴾ أي: ولا تطع المنافقين ﴿ما جعل اللَّه لرجلٍ من قلبين في جوفه﴾ تفسير الكلبي: أن رجلًا من قريش يقال له: جميل كان حافظًا لما سمع، فقالت قريش: ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحدٍ؛ إنّ له لقلبين! فأكذبهم اللَّه في ذلك.

﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ يعني: إذا قال

(١) قرأ نافع ﴿النبيء﴾ بالهمز. النشر (٢/ ٣٤٧) و إتحاف الفضلاء (٤٥١).

الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، لمْ تكن مثل أمه في التحريم أبدًا، ولكن عليه كفارة الظهار ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وكان الرجل في الجاهلية يكون ذليلًا فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابنًا أصبح أعزّ أهله؛ وكان زيد بن حارثة منهم كان رسول اللَّه ﷺ تبنَّاه يومئذٍ على ما كان يُصْنَعُ في الجاهلية، وكان مولى لرسول اللَّه؛ فلما جاء الإسلام أمرهم اللَّه أن يلحقوهم بآبائهم؛ فقال: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ يعني: ادّعاءهم هؤلاء، وقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي.

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللَّه﴾ أي: أعدل ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ يقول: قولوا: [ولّينا فلان][1]، وأخونا فلان.

﴿وليس عليكم جناحٌ﴾ إثمٌ ﴿فيما أخطأتم به﴾ (ل ٢٦٩) إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى [الذي][1] تبنّاه ناسيًا؛ فليس عليه في ذلك إثمٌ ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أن تدعوهم إلى غير آبائهم .

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ تفسير مجاهد: يعني: هو أبوهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي: هن في التحريم مثل أمهاتهم.

يحيى: عن سفيان الثوري، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن

---

(١) مطموس في الأصل، ومثبت من «ر».

عائشة «أن امرأةً قالت لها: يا أُمه. فقالت: لستُ لك بأم! إنما أنا أم رجالكم»[(١)].

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب اللَّه من المؤمنين والمهاجرين﴾ تفسير قتادة: كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيءٍ حتى يهاجروا﴾[(٢)] فتوارث المسلمون بالهجرة وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئًا، ثم نسخ ذلك في هذه السورة فصارت المواريثُ بالملل.

﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم﴾ يعني: من أهل الشرك ﴿معروفًا﴾ يعني: بالمعروف: الوصيَّةَ، ثم رجع إلى قوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب اللَّه﴾ فقال: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ أي: مكتوبًا: لا يرث كافرٌ مسلمًا، وقد قال النبي عليه السلام: «لا يرثُ المسلم الكافر»[(٣)].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٧) عن الفضل بن دكين عن سفيان الثوري به.
ورواه ابن سعد أيضًا (٨/ ١٧٨ ، ٢٠٠) عن الواقدي عن الثوري به، وزاد: قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد اللَّه بن موسى المخزومي فقال أخبرني مصعب بن عبد اللَّه بن أبي أمية عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «أنا أم الرجال منكم والنساء».
ورواه ابن سعد (٨/ ٦٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٠) من طريق أبي عوانة عن فراس به.
ورواه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/ ٩٣٦) من طريق خرقاء عن عائشة رضي الله عنها.
(٢) الأنفال: ٧٢.
(٣) رواه البخاري (١٢/ ٥١ رقم ٦٧٦٤) ومسلم (٣/ ٨٨ رقم ١٦١٤) عن أسامة بن زيد.

﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال مجاهد: يعني: في ظهر آدم ﴿ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾ بتبليغ الرسالة.

كان قتادة إذا تلا هذه الآية: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ قال: قال رسول الله: «كنت أول النبيين في الخَلْقِ، وآخرهم في البعث»[1].

قوله: ﴿ليسئل الصادقين﴾ يعني: النبيين ﴿عن صدقهم﴾ أي: عن تبليغ الرسالة إلى قومهم من الله .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٥)من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا.
ورواه الطبري أيضًا (٢١/ ١٢٥ - ١٢٦) من طريق أبي هلال عن قتادة مرسلا .
ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٨) - من طريق شيبان عن قتادة مرسلا.
وقد وصله عن قتادة سعيدُ بن بشير وخليدُ بن دعلج.
فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٩) - وابن عدي في الكامل (٣/ ٤٨٨ - ٤٨٩، ٤/ ٤١٦ - ٤١٧) وتمام الرازي في الفوائد (٢/ ١٥ رقم ١٠٠٣) وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٤٢ رقم ٣) وابن شاهين في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٥) - والبغوي في تفسيره (٦/ ٣٢١) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﵁ .
ورواه ابن عدي في الكامل (٣/ ٤٨٨ - ٤٨٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٨) - من طريق خليد بن دعلج عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﵁ .
وقال ابن عدي: وهذا يرويه عن قتادة سعيدُ بن بشير وخليدُ بن دعلج.
وقال ابن كثير في تفسيره: سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا، والله أعلم.
وقال ابن كثير - في البداية والنهاية - عن المرسل: وهذا أثبت وأصح، والله أعلم، وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح؛ لأن علم الله - تعالى - بذلك سابق قبل خلق السمٰوات والأرض لا محالة، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى، والله أعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إذ جاءتكم جنودٌ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿فأرسلنا عليهم ريحًا﴾ قال مجاهد: وهي الصَّبا، كانت تكبُّهم على وجوههم وتنزع الفساطيط[1] حتى أظعنتْهم ﴿وجنودًا لمْ تروها﴾ يعني: الملائكة.

﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ تفسير الحسن: جاءوا من وجهين: من أسْفل المدينة، ومن أعلاها ﴿وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾ من شدة الخوف ﴿وتظنون باللَّه الظنونا﴾ يعني: المنافقين ظنوا أن محمدًا سيُقْتل وأنهم سيهلكون. قال اللَّه: ﴿هنالك ابتُلي المؤمنون﴾ أي: اخْتُبِرُوا ﴿وزلزلوا زلزالًا شديدًا﴾ أي: حُركوا[2] بالخوف، وأصابتهم الشّدة ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ﴾ وهم المنافقون، المرضُ في تفسير قتادة: النفاق ﴿ما وعدنا اللَّه ورسوله﴾ فيم يزعم أنه رسوله ﴿إلا غرورًا﴾ أي: وعدنا اللَّه النصْر فلا تُرانا نُنْصَر وتُرانا نقتل ونُهْزَم، ولم يكن فيما وعدهم اللَّه ألَّا يقتل منهم أحدٌ، وألَّا يُهزَموا في بعض الأحايين، وإنما وعدهم النصر في العاقبة .

---

(١) واحدها: فسطاط، وهو البيت يُتّخذ من الشّعَر. لسان العرب (فسط).
(٢) في «ر»: خرجوا.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ قال الكَلْبي: لما رأى المنافقون الأحزاب جَبُنُوا، فقال بعضهم لبعضٍ: لا واللَّه ما لكم مقام مع هؤلاء؟ فارجعوا إلى قومكم - يعنون: المشركين - فاستأمنُوهمْ.

﴿إن بيوتنا عورةٌ﴾ أي: خالية نخاف عليها السَّرَق[1]. قال اللَّه: ﴿وما هي بعورةٍ﴾ إن اللَّه يحفظها ﴿إن يريدون إلا فرارًا ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ يقول: لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه من نواحيها ﴿ثم سُئلوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿لأتوْها﴾ لجاءوها وتقرأ: (لآتوها) بالمد[2]، المعنى: لأعطوْها .

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد كانوا عاهدوا اللَّه من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي: ينهزمون ﴿وكان عهد اللَّه مسئولًا﴾ يعني: يسألهم عن العهد الذي لمْ يفوا به.

---

(١) السَّرَق والسَّرِقة بمعنًى. لسان العرب (سرق).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير ﴿لأتوها﴾ بغير مدٍ، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون بالمد. النشر (٢/٣٤٨) إتحاف الفضلاء (٤٥٣).

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد اللَّه قال: «بايعْنا رسول اللَّه على أن لا نفر، ولمْ نبايعْه على الموت»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٥٥) ومسلم (٣/ ١٤٨٣ رقم ١٨٥٦/ ٦٧) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٤ رقم ١١٥٠٩) والدارمي (٢/ ٢٩٠ رقم ٢٤٥٤) وأبو عوانة في صحيحه (٤/ ٤٢٧ رقم ٧١٩١) والطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٧) وابن حبان (١١/ ٢٣١ رقم ٤٨٧٥) وغيرهم من طريق الليث بن سعد عن أبي الزبير به.
ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨١) والحميدي (٢/ ٥٣٦ رقم ١٢٧٥) ومسلم (٣/ ١٤٨٣ رقم ١٨٥٦/ ٦٨) والترمذي (٤/ ١٢٨ رقم ١٥٩٤) والنسائي (٧/ ١٤٠ - ١٤١- رقم ٤١٦٩) وأبو يعلى (٣/ ٣٦٩ رقم ١٨٣٨) وأبو عوانة (٤/ ٤٢٧ رقم ٧١٨٩، ٧١٩٠) والطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٧) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزبير سمع جابرًا رضي الله عنه به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣٩٦) من طريق موسى بن عقبة عن أبي الزبير به.
ورواه أبو يعلى (٣/ ٤٢٠ رقم ١٩٠٨، ٤/ ١٩٧ - ١٩٨ رقم ٢٣٠١) والطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٧) من طريق أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه.
ورواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٨٧) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه.
ورواه ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٠٠) من طريق وهب بن منبه عن جابر رضي الله عنه.
ورواه الترمذي (٤/ ١٢٧ رقم ١٥٩١) والطبراني في الأوسط (٢/ ٢١٠ رقم ١٧٥٧، ٦/ ٣٠٦ رقم ٦٤٨٢) عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر رضي الله عنه.
وقال الترمذي: وقد رُوي هذا الحديث عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال جابر بن عبد اللَّه. ولم يُذكر فيه أبو سلمة.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا عيسى، تفرد به سعيد.
وله شاهد عن معقل بن يسار، رواه مسلم (٣/ ١٤٨٥ رقم ١٨٥٨).
وروى البخاري (٦/ ١٣٦ - ١٣٧ رقم ٢٩٦٠) ومسلم (٣/ ١٤٨٦ رقم ١٨٦٠) عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة - يعني: ابن الأكوع - : «على أي شيء بايعتم رسول اللَّه ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت».
وروى البخاري (٦/ ١٣٦ رقم ٢٩٥٩) ومسلم (٣/ ١٤٨٦ رقم ١٨٦١) عن عبد اللَّه بن زيد نحوه.
والمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولابد. انظر فتح الباري (٦/ ١٣٧) وغيره، واللَّه أعلم.

﴿وإذًا لا تمتعون﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلًا﴾ يعني: إلى آجالكم ﴿قل من ذا الذي يعصمكم﴾ (ل٢٧٠) أي: يمنعكم ﴿من اللَّه إن أراد بكم سوءًا﴾ يعني: القتل والهزيمة؛ في تفسير السُّدي ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ قال السُّدي: يعني: النصر والفتح .

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿قد يعلم اللَّه المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمّ إلينا﴾ يأمر بعضهم بعضًا بالفرار؛ وهو التعويق ﴿ولا يأتون البأس﴾ يعني: القتال ﴿إلا قليلًا﴾ أي: بغير حِسْبة، وإنما قلَّ؛ لأنه كان لغير اللَّه.

قال محمدٌ: المعنى: إلا إتيانًا قليلًا[١]؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿أشحة عليكم﴾ يقول: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئًا ﴿فإذا جاء الخوف﴾ يعني: القتال ﴿رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾ خوفًا من القتال ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم﴾ أي: صاحوا عليكم ﴿بألسنةٍ حدادٍ﴾ قال محمدٌ : قيل: المعنى خاطبوكُمْ أشدَّ مخاطبة

---

(١) وقيل: إلا زمانًا قليلًا. ينظر: التبيان (١٠٥٣)، مجمع البيان (٣٤٧/٤).

وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مِسْلاقٌ وسلَّاقٌ إذا كان بليغًا[١].

﴿أشحةً على الخير﴾ الغنيمة ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ أي: لم تؤمن قلوبهم ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يود﴾ المنافقون ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: في البادية مع الأعراب ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وهو كلام موصول.

قال محمدٌ: قوله: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قيل: المعنى: يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا؛ لجُبْنهم وخوفهم.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وذكر اللَّه كثيرًا﴾ وهذا ذكر التطوع ليس فيه وقتٌ.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه تحازبوا على اللَّه ورسوله ﴿قالوا هذا ما وعدنا اللَّه ورسوله﴾ كان أنزل اللَّه في سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ...﴾[٢] إلى قوله: ﴿ألا إن نصر اللَّه قريب﴾ فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي عليه السلام: ما أصابنا هذا بَعْدُ؛ فلما كان يوم الأحزاب أنزل اللَّه: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب...﴾ إلى قوله: ﴿إيمانًا وتسليمًا﴾ يعني: تصديقًا وتسليمًا لأمر اللَّه.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن

---

(١) ومِسْلَقٌ أيضًا. لسان العرب (سلق).

(٢) البقرة: ٢١٤.

يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) ﴾

﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه﴾ حين بايعوه على ألَّا يفروا وصدقوا في لقائهم العَدُوَّ؛ وذلك يوم أحد.

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يعني: أجله؛ في تفسير بعضهم ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أجله ﴿وما بدلوا تبديلًا﴾ كما بدَّل المنافقون .

قال محمدٌ: أصل النَّحب: النَّذْرُ[١]؛ كأنَّ قومًا نذورا إن لقوا العدو أن يقاتلوا؛ حتى يُقْتلُوا أو يفتح اللَّه، فقتلوا فقيل: فلانٌ قضى نحبه؛ إذا قُتِلَ.

﴿ليجزي اللَّه الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء﴾ أي: يموتوا على نفاقهم فيعذبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ فيرجعوا من نفاقهم .

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧) ﴾

﴿وردّ اللَّه الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا﴾ يعني: لم يصيبوا ظفرًا ولا غنيمة من المسلمين، وكان ذلك عندهم خيرًا لو نالوه ﴿وكفى اللَّه المؤمنين القتال﴾ بالريح والجنود التي أرسل عليهم ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ يعني: عاونوهم ﴿من أهل الكتاب﴾ يعني: قريظة والنضير ﴿من صياصيهم﴾ يعني: حصونهم.

---

(١) لسان العرب (نحب).

قال محمدٌ: أصل الكلمة: قرون البقر؛ لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها، فقيل للحصون: صياصي؛ لأنها تمنع وصيصية الديك شوكته؛ لأنه يتحصن بها[1].

﴿وأرضًا لم تطئوها﴾ وهي خيبر؛ فتحت عَنْوَةً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ...﴾ إلى قوله: ﴿أجرًا عظيمًا﴾ قال قتادة: إنما خيّرهن بين الدنيا والآخرة، ولم يخيرهن الطلاق ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ يعني: الزنا؛ في تفسير السُّدي ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ قال الحسن: يعني: في الآخرة.

قال محمدٌ: معنى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي: يُجْعَل مِثْلين؛ الضعف في اللغة: المثل، يقال: هذا ضِعْف هذا؛ أي: مثله[2].

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) والجمع أيضًا: صَيَاصٍ. لسان العرب (صيص).
(٢) لسان العرب (ضعف).

﴿ومن يقنت منكن للّه ورسوله﴾ أي: تطع اللّه ورسوله ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ قال الحسن: يعني: في الآخرة ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا ﴿لها رزقًا كريمًا﴾ يعني: الجنة.

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول﴾ قال الكلبي: (ل٢٧١) هو الكلام الذي فيه ما يَهْوى المرِيبُ.

قال محمدٌ: قال: ﴿كأحدٍ من النساء إن اتقيتن﴾ ولمْ يقل: كواحدة لأن أحدًا معنى عام من المذكر والمؤنث والواحد والجماعة[١].

﴿فيطمع الذي في قلبه مرضٌ﴾ أي: فجورٌ؛ في تفسير بعضهم.

قال الحسن: وكان أكثر من يصيب الحدود في زمان النبي عليه السلام المنافقون.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وقرن في بيوتكن﴾ من قرأها بالفتح[٢]؛ فهو من القرار[٣].

قال محمدٌ: والأصل فيه: (اقرَرْنَ) فحذف الراء الأولى لثقل التضعيف،

---

(١) أي: يستوي فيه المفرد والمفردة وفروعهما. وأصله (وحد). ينظر لسان العرب (وحد).

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بكسر القاف. ينظر: السبعة (٥٢٢)، البحر (٧/ ٢٣٠)، التيسير (١٧٩)، النشر (٢/ ٣٤٨).

(٣) يقال: قَرَّ بالمكان قَرًّا وقَرَارًا وقُرورًا؛ أي: أقام وسكن. لسان العرب (قرر).

وألقى حركتها على القاف؛ فصارت: (وقرن)[١].

قال يحيى: وتقرأ: (وقِرْن) بكسر القاف، وهو من الوقار.

قال محمدٌ: وقَر في منزله يَقِرُ وقُورًا[٢].

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: قبلكم؛ في تفسير الحسن، وليس يعني: أنها كانت جاهليّة قبلها؛ كقوله: ﴿عادًا الأولى﴾[٣].

وبعضهم يقول: يعني الجاهليّة التي وُلِدَ فيها إبراهيم قبل الجاهلية التي وُلد فيها محمدٌ ﴿وأقمْن الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وآتين الزكاة﴾ يعني: المفروضة ﴿وأطعْن اللّه ورسوله﴾ فيما أمركن ﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس﴾ يعني: الشيطان.

وقال بعضهم: الرجس: الإثم.

وقال محمدٌ: الرجْس في اللغة: كل مستنكر مُسْتَقْذر من مأكول أو عملٍ أو فاحشة[٤]، و(أهْلَ البيت) منصوبٌ على وجهين: على معنى: أعنى أهل البيت، وعلى النداء[٥].

﴿ويطهركم تطهيرًا﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي داود، عن أبي الحمراء، قال:

---

(١) وقيل: حذفت الراء الثانية، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف، فحذفت همزة الوصل استغناءً عنها فصارت (قرن) ينظر الدر المصون (٥/ ٤١٥).

(٢) يقال: وقر فلان وقارًا وقِرَة: رزن. ويقال: وقر في بيته وَقْرًا ووُقورة: أقام. لسان العرب (وقر).

(٣) النجم: ٥٠ .

(٤) والجمع: أرْجَاس. لسان العرب (رجس).

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٦٣٦)، البحر (٧/ ٢٣١)، البيان (٢/ ٢٦٩).

«رابطت المدينة سبعة أشهر مع النبي ﷺ، وسمعت النبي إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة - ثلاثًا - ﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾»[1].

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/ ١٤٤ رقم ٣٦٩٩ / ٢) - والطبري في تفسيره (٢٢/ ٦) وابن عدي في الكامل (٨/ ٣٢٩) وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/ ١٩٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٨٧٠) رقم ٦٧٥٢) من طريق يونس بن أبي إسحاق به.

ورواه ابن أبي شيبة - كما في المطالب (٤/ ١٤٤ رقم ٣٦٩٩/ ١) - وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/ ١٩٩ - ٢٠٠) من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن نافع - وهو أبو داود - به.

ورواه عبد بن حميد (١٧٣ رقم ٤٧٥) عن الضحاك بن مخلد عن أبي داود به.

ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/ ٢٤٨ رقم ٧٧٥) من طريق أبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد - عن عبادة بن مسلم عن أبي داود به. وعلقه البخاري في الكنى (٢٥ - ٢٦) عن الضحاك به.

ورواه الطبراني في الكبير (٣/ ٥٦ رقم ٢٦٧٢، ٢٢/ ٢٠٠ رقم ٥٢٥) من طريق منصور بن أبي الأسود عن أبي داود به.

وقال أبو أحمد في الكنى (٤/ ٢٠٠) قال محمد بن إسماعيل الجعفي: أبو الحمراء يقال له صحبة، ولا يصح حديثه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٠٠): أبو داود الأعمى هو نفيع بن الحارث، كذاب.

وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٢١): رواه الطبراني، وفيه أبو داود الأعمى، وهو كذاب.

وقال ابن حجر في المطالب (٤/ ١٤٥): أبو داود هو نافع - وقيل: نفيع الأعمى - كذبه قتادة، وهو ضعيف جدًا.

وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي (٥/ ٣٢٨ رقم ٣٢٠٦) - وقال: حسن غريب - وأحمد (٣/ ٢٥٩، ٢٨٥)، وعبد بن حميد (٣٦٧ - ٣٦٨ رقم ١٢٢٣)، والطبري في تفسيره (٢٢/ ٦) والطبراني (٣/ ٥٦ رقم ٢٦٧١) والحاكم (٣/ ١٥٨) وصححه على شرط مسلم.

وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ هو كلامٌ واحِدٌ؛ كقوله: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[1] والإسلام هو اسم الدين، قال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾[2] وهو الإيمان بالله ﴿والقانتين والقانتات﴾ القنوت: الطاعة ﴿والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات﴾ على ما أمرهم الله به ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ وهو الخوف الثابت في القلب ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿والصائمين والصائمات﴾.

قال يحيى: بلغني أنَّه من صام رمضان وثلاثة أيامٍ من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ مما لا يحل لهن.

﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات﴾ يعني: باللسان؛ وليس في هذا الذكر وَقْتٌ .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ

---

(١) الذاريات: ٣٦ .
(٢) آل عمران: ٨٥ .

فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللَّه ورسوله أمرًا﴾ يعني: إذا فرض اللَّه ورسوله شيئًا ﴿أن تكون لهم الخيرة﴾ يعني: التخيُّر ﴿من أمرهم﴾ ﴿ومن يعصى اللَّه ورسوله فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا﴾ أراد رسول اللَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يزوج زينب بنت جحش زيْدَ بن حارثة؛ فأبت وقالت: أُزوِّج نفسي رجلًا كان عَبْدَك بالأمْسِ. وكانت ذات شرَفٍ، فلما أُنزلت هذه الآية جعلت أمرها إلى رسول اللَّه فزوجها إياه، ثم صارت سُنَّةً بعدُ في جميع الدين، ليس لأحدٍ خيارٌ على قضاء رسول اللَّه وحُكْمه.

قال محمدٌ: كانت زينب بنت جحش بنت عمة رسول اللَّه ﷺ.

﴿وإذ تقول للذي أنعم اللَّه عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق اللَّه﴾ [قوله: ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني: زيدًا][1].

قال اللَّه للنبي: ﴿وتخفى في نفسك ما اللَّه مبديه﴾ أي: مظهره ﴿وتخشى الناس واللَّه أحق أن تخشاه﴾ أي: تخشى عيبة[2] الناس ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطرًا﴾ الوطر: الحاجة ﴿زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم﴾ قال المشركون للنبي: يا محمد، زعمت أنَّ حليلة الابن لا تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد! فقال اللَّه: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج . . .﴾ الآية (ل٢٧٢) قال الكلبي: إن رسول اللَّه أتى زَيْدًا زائرًا فأبصرها قائمةً فأعجبته، فقال رسول اللَّه: سبحان اللَّه مقلب القلوب.

---

(١) من «ر».
(٢) العَيْبةُ والعَيْبُ بمعنًى. لسان العرب (عيب).

فرأى زيدٌ أن رسول اللَّه هَوِيَها[(١)]. فقال: يا رسول اللَّه، ائذن لي في طلاقها؛ فإن فيها كِبْرًا، وإنها لتؤذيني بلسانها! فقال له رسول اللَّه: اتق اللَّه وأمسك

---

(١) هذا القول لا يصح - واللَّه أعلم - رواية ولا دراية، وهو في غاية النكارة:
فأما رواية فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٩١): ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارًا عن بعض السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها؛ فلا نوردها. اهـ.
وقال ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٨٤): وردت آثارٌ أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. اهـ.
وأما دراية فقال القرطبي في تفسيره (١٤/ ١٩١): فأما ما رُوي أن النبي ﷺ هَوِي زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المُجّان لفظ: عَشِق - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. اهـ
وقال البغوي في تفسيره (٦/ ٣٥٥): وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين زين العابدين: ما يقول الحسن في قوله: ﴿وتخفي في نفسك ما اللَّه مبديه وتخشى الناس واللَّه أحق أن تخشاه﴾ قلت: يقول: لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي اللَّه، إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق اللَّه. فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، كان اللَّه تعالى - قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدًا سيطلقها، فلما جاء زيد. وقال: إني أريد أن أطلقها. قال: أمسك عليك زوجك، فعاتبه اللَّه، وقال: لِمَ قلتَ: أمسك عليك زوجك؟! وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك.
وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة؛ لأن اللَّه علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه، فقال: ﴿زوجناكها﴾ فلو كان الذي أضمره رسول اللَّه ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها؛ لكان يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره؛ فدل على أنه إنما عُوتب على إخفاء ما أعلمه اللَّه أنها ستكون زوجة له، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد: التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي، وهذا قول حسن مرضٍ، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها، لا يقدح في حال الأنبياء؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم؛ لأن الود وميل النفس من طبع البشر، وقوله: «أمسك عليك زوجك واتق اللَّه» أمر بالمعروف، وهو خشية لا إثم فيه. اهـ.
وهذا القول الذي حسَّنه البغوي وارتضاه - وهو حقيق أن يُحسَّن ويرتضى - قال عنه القرطبي في تفسره (١٤/ ١٩٠ - ١٩١): وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين؛ كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. اهـ.

عليك زوجك. فأمسكها زيدٌ ما شاء اللَّه ثم طلقها، فلما قضتْ عدتها أنزل اللَّه نكاحها رسول اللَّه من السماء، فقال: ﴿وإذ تقول للذي أنعم اللَّه عليه . . .﴾ إلى قوله: ﴿زوجناكها﴾ فدعا رسول اللَّه عند ذلك زيدًا؛ فقال: ائت زينب، فأخبرها أن اللَّه قد زوَّجنيها. فانطلق زيدٌ، فاستفتح الباب؛ فقيل: من هذا؟ قال: زيد. قالتْ: وما حاجة زيد إليَّ وقد طلَّقني؟! فقال: إن رسول اللَّه أرسلني إليكِ؛ فقالت: مرحبًا برسول رسول اللَّه، ففُتح له؛ فدخل عليها وهي تبكي، فقال زيدٌ: لا يبكي اللَّه عَيْنكِ، قد كنتِ نعمتْ المرأة - أو قال: الزوجة - إن كنت لتبرين قسمي، وتطيعين أمري، فقد أبدَلكِ اللَّه خَيْرًا مني. قالت: مَنْ؛ لا أبا لك؟ فقال: رسول اللَّه. فخرَّتْ ساجدةً.

قوله: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض اللَّه له﴾ يعني: أحلَّ ﴿سُنَّة اللَّه في الذين خلَوا من قبل﴾ أي: أنَّه ليس على الأنبياء حرجٌ فيما أحلَّ اللَّه لهم، وقد أحلَّ لداود مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبْعمائة سُرِّيَّة.

قال محمدٌ: نصب (سُنَّةَ) على المصدر؛ المعنى: سنَّ اللَّه سُنَّةً(١).

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم﴾ يعني: أن محمدًا لمْ يكن أبًا لزيدٍ، وإنما كان زيدٌ دَعِيًّا له ﴿ولكن رسول اللَّه وخاتم النبيين﴾.

(١) ينظر. إعراب القرآن (٢/ ٦٣٨)، البيان (٢/ ٢٧٠)، البحر (٧/ ٢٣٦).

قال محمدٌ: من قرأ (رسولَ اللَّه) بالنصب[1] فعلى معنى: ولكن كان رسول اللَّه[2].

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا اللَّه ذكرًا كثيرًا﴾ يعني: باللسان، وهذا ذكرٌ ليس فيه وقتٌ.

يحيى: عن خِداش، عن ميمون بن عجلان، عن ميْمون بن سِيَاه، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون اللَّه لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات»[3]. من حديث يحيى بن محمد.

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلة برفع (رسول). ينظر: البحر (٧/ ٢٣٦)، الإعراب للنحاس (٢/ ٦٣٩) جامع القرطبي (١٤/ ١٩٦).

(٢) ينظر: البحر (٧/ ٢٣٦)، التبيان (١٠٥٨)، إعراب القرآن (٢/ ٦٣٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٤٢) وأبو يعلى (٧/ ١٦٧ رقم ٤١٤١) والبزار - كشف الأستار (٤/ ٤ رقم ٣٠٦١) - والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٥٤ رقم ١٥٥٦) وابن عدي في الكامل (٨/ ١٦٠) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٧ - ١٠٨) والضياء في المختارة (٧/ ٢٣٤ - ٢٣٦ رقم ٢٦٧٥ - ٢٦٧٨) من طريق ميمون بن عجلان به.
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٣ - ٤٠٤): رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي، وأبو يعلى والبزار والطبراني.
وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٣٥٢): أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني، بسند ضعيف.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٦). رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه ميمون المرئي، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٣٧٧ رقم ٦٠٥١): هذا إسناد رجاله ثقات.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢١٢ رقم ٦٠٣٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/ ١٣١١ رقم ٣٢٩٠) عن سهل - وقيل: سهيل - بن الحنظلية العبشمي رضي الله عنه.
ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/ ٣٠٨ رقم ٩٥٢٩) عنه موقوفًا.
ورواه البيهقي في الشعب (٢/ ٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٥٣٠) عن أبي الوازع جابر بن عمرو عن عبد اللَّه بن مغفل رضي الله عنه.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلًا﴾ تفسير ابن عباس: هذا في الصلاة المكتوبة ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ تفسير ابن عباس قال: صلاة الله: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار.

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ﴾ يقول: تحييهم الملائكة عن الله بالسلام ﴿وأعدّ لهم أجرًا كريمًا﴾ يعني: الجنَّة.

﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمَّتك تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلَّغتهم ﴿ومبشرًا﴾ في الدنيا بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿وداعيًا إلى الله بإذنه﴾ يعني: بالوحي ﴿وسراجًا منيرًا﴾ مضيئًا ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلًا كبيرًا﴾ يعني: الجنة ﴿ودع أذاهُمْ﴾ قال مجاهد: يقول: اصبْر عليه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات . . .﴾ إلى قوله: ﴿فمتعوهن﴾ المتاع منسوخٌ إذا كان قد سمَّى لها صداقًا إلا أن يكون لمْ يُسمِّه لها، فيكون لها المتعة ولا صداق لها إذا طلقها قبل أن يدخل بها نسختها الآية التي في

البقرة ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن...﴾ إلى قوله: ﴿فنصف ما فرضتم﴾[1] هذا قول العامة أنها منسوخة.

وكان الحسن يقول: لها المتاع؛ وليستْ بمنسوخة وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامرأته توارثا ولها الصداق كاملًا، وإنما يكون لها النصف إذا طلقها ﴿وسرحوهن سراحًا جميلًا﴾ إلى أهليهن لا تكون المرأة والرجل في بيت واحد وليس بينهما حرمةٌ .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ يعني: صدُقاتهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء اللَّه عليك وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي خالصة لك﴾ (ل٢٧٣) يقوله للنبي عليه السلام ﴿من دون المؤمنين﴾ لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي في تفسير الحسن؛ إن النبي عليه السلام قد تطوع لتلك المرأة التي وهبَتْ نفسها، فأعطاها الصداق.

ومقرأ العامة: (أن وهبت) بفتح (أن) وتفسيرها على هذا المقرإ: كانت امرأةً واحدة، ومن قرأ بكسر الألف فعلى المستقبل[2].

---

(١) البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) إنما قراءة العامّة: ﴿إن وهبت﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الحسن والشعبي وعيسى بفتح الهمزة. =

قال محمدٌ: ومن قرأ ﴿أن﴾ بالفتح فالمعنى: لأنْ، و﴿خالصةً﴾ منصوبٌ على الحال.

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي: أوحينا ﴿في أزواجهم﴾ [ألا تنكح إلا بولي وشهداء وصداق، ولا ينكح الرجل أكثر من أربع][1] ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يقول: يتزوج أربعًا إن شاء، ويطأ بملك يمينه ما شاء ﴿لكيلا يكون عليك حرجٌ﴾ أي: إثمٌ.

﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿ترجي من تشاء منهن﴾ رجع إلى قصة النبي.

تفسير الحسن: يذكر النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ المرأة للتزويج ثم يُرْجيها؛ أي: يتركها، فلا يتزوَّجها، وكان إذا ذكر امرأةً ليتزوجها لمْ يكن لأحدٍ أن يعرض لذكرها؛ حتى يتزوجها أو يتركها.

﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي: تتزوّج من تشاء ﴿ومن ابتغيت ممّن عزلْت فلا جناح عليك﴾ يقول: ليستْ [عليك][2] لهن قسْمةٌ ﴿ذلك أدنى أن تقرّ

= ينظر: البحر (٧/ ٢٤٢)، إتحاف الفضلاء (٣٥٦)، المحتسب (٢/ ١٨٢)، جامع القرطبي (١٤/ ٢٠٩) الإملاء (٢/ ١٠٤) وينظر التوجيه النحوى من إعراب القرآن (٢/ ٦٤٢)، مجمع البيان (٤/ ٣٦٤)، البيان (٢/ ٢٧١)، البحر (٧/ ٢٤٢).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) من «ر».

أعينهن﴾ إذا علمن أنه من قبل اللَّه ﴿ولا يحزنّ﴾ على أن تُخصَّ واحدة منهن دون الأخرى ﴿ويرضين بما آتيتهنّ﴾ من الخاصّة التي تخص منهن لحاجتك.

﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدَّل بهن من أزواج﴾ يعني: أزواجه التسعَ، قال الحسن: لمّا خيَّر رسول اللَّه نساءه، فاخترن اللَّه ورسوله قصره عليهن ﴿ولو أعجبك حُسْنُهنّ﴾ يعني: حسن غيرما أحل اللَّه له من النساء؛ على ما مضى من تفسير الحسن ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يطأ بملك يمينه ما شاء ﴿وكان اللَّه على كل شيءٍ رقيبًا﴾ يعني: حفيظًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه﴾ قال مجاهد: يعني: متحيِّنين حينه[1].

قال محمدٌ: المعنى: غير منتظرين وقت إدْراكه؛ وهو معنى قول مجاهد

---

(١) الإنَى في اللغة: الحين. لسان العرب (أنى).

و﴿غير﴾ منصوبة على الحال[1].

﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أي: تفرّقوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ يعني: بعد أن تأكلوا ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ يُخبرهم أن هذا يؤذى النبي.

﴿وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ يعني: من الريبة والدَّنس؛ في تفسير السُّدي ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا﴾ قال ناسٌ من المنافقين: لو قد مات محمدٌ تزوَّجْنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية، وقال: ﴿إن تبدوا شيئًا أو تخفوه﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات تزوجنا نساءه.

﴿فإن الله كان بكل شيءٍ عليمًا﴾ ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي في الحجاب فقال:

﴿لا جناح عليهن في آبائهن ...﴾ إلى قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ يعني: المسلمات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممَّن يدخل على أزواج النبي في الحجاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ يعني: إن الله يغفر للنبي، وتستغفر له الملائكة ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ يعني: استغفروا له ﴿وسلموا تسليمًا﴾.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٦٤٥)، البحر (٧/ ٢٤٦)، البيان (٢/ ٢٧٢).

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن أبي هاشم - صاحب الرمان - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «جاءني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية، بينما نحن عند رسول الله إذ قال رجلٌ: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللَّهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللَّهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد»(١).

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليَّ (ل ٢٧٤) الصلاة يوم الجمعة»(٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٤١، ٢٤٣، ٣٤٤) والبخاري (٦/ ٤٦٩ - ٤٧٠ رقم ٣٣٧٠) ومسلم (١/ ٣١٦ - ٣١٧ رقم ٤٠٦) والحميدي (٢/ ٣١٠ - ٣١١ رقم ٧١١، ٧١٢) وعبد الرزاق (٣/ ٢١٢ رقم ٣١٠٥) وعبد بن حميد (١٤٤ رقم ٣٦٨) والطيالسي (١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٠٦١) والدارمي (١/ ٣٥٦ رقم ١٣٤٢) وأبو داود (٢/ ٥٤ - ٥٥ رقم ٩٦٨ - ٩٧٠) والترمذي (٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣ رقم ٤٨٣) والنسائي (٣/ ٤٧ - ٤٨ رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٨)، وابن ماجه (١/ ٢٩٣ رقم ٩٠٤) وغيرهم من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به.
ولم أجد الحديث من طريق أبي هاشم صاحب الرمان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والله أعلم.
وللحديث طرق عن كعب بن عجرة، وعن عدة من الصحابة أيضًا، انظر: «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص٥٢ - ٥٩).

(٢) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٣/ ٨ رقم ٣٣٤٧) - وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٥١٧) من طريق أبي حرة عن الحسن به.
وعزاه السخاوي في القول البديع (ص٢٣٤) لسعيد بن منصور في سننه.
وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلا، انظر القول البديع (ص٢٣٠ - ٢٣٥).

﴿٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨﴾

﴿إن الذين يؤذون اللَّه ورسوله﴾ هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول اللَّه، ويستخفون بحقه، ويرفعون أصواتهم عنده ويكْذبون عليه ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يعني: جَنَوْا؛ وهم المنافقون ﴿فقد احتملوا بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بيّنًا.

يحيى: عن النَّضْر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك «أن رسول اللَّه عليه السلام خرج يومًا فنادى بصوتٍ أسْمَع العواتق في الخدور: يا معشر من أسلم بلسانه ولمْ يُسلمْ بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تغتابوهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع اللَّه عورته، ومن تتبع اللَّه عورته فضحه في بيته»(١).

---

(١) أبان بن أبي عياش واهٍ، ولم أجد الحديث من هذا الطريق. وقد اختلف على أبان فيه أيضًا.
فرواه معمر عن أبان وغيره مرسلاً. خرجه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/ ١٧٦ رقم ٢٠٢٥١).
ورواه فضيل بن عياض وحماد بن زيد عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن عبد اللَّه عن أبي برزة. قاله الدارقطني في العلل (٦/ ٣١٠).
وتابع الأعمشُ أبانَ على هذا الوجه.
خرجه الإمام أحمد (٤/ ٤٢٠ - ٤٢١) وأبو داود (٥/ ٣٠٥ رقم ٤٨٤٦) وأبو يعلى (١٣/ ٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٧٤٢٣، ٧٤٢٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٨) والروياني في مسنده (٢/ ٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ١٣١٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٨١٤ رقم ١٤٩٧، ١٤٩٨)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٦ رقم ٦٧٠٤) وفي السنن (١٠/ ٢٤٧) وغيرهم من طريق أبي بكر ابن عياش عن الأعمش به.
قال البخاري في التاريخ (٣/ ٤٨٧): سعيد بن عبد اللَّه بن جريج عن أبي برزة عن النبي ﷺ «لا تغتابوا المسلمين» قاله أبو بكر بن عياش عن الأعمش. وقال يوسف بن راشد: حدثنا ابن

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب الرداء؛ يعني: يتقنَّعن به ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أي: يعرف أنهن حرائر مسلمات عفائف فلا يؤذين؛ أي: فلا يعرض لهن بالأذى، وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرضون النساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم يكن تُعرْف الحرة من الأمة بالليل؛ فلقي نساء المؤمنين منهُمْ أذًى شديدًا؛ فذكرن ذلك لأزواجهن، فرُفع ذلك إلى النبي؛ فنزلت هذه الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطَّاب رأى أمةً عليها قناع، فعلاها بالدّرة، وقال: اكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر!»(١).

مغراء، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني رجل من البصرة عن أبي برزة عن النبي ﷺ وقال ابن فضيل عن الأعمش عن عبد الرحمن بن جريج عن أبيه عن النبي ﷺ ولا يصح. اهـ.
وقال الدارقطني في العلل (٦/ ٣٠٩ - ٣١٠): حدث به كذلك أبو بكر بن عياش وعبد الله ابن عبد القدوس وفضيل بن عياض.
وقال ثابت بن محمد عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة.
وخالفهم عبد الرحمن بن مغراء؛ فرواه عن الأعمش عن رجل لم يسمه عن أبي برزة.
والقول قول أبي بكر بن عياش وفضيل ومن تابعهما. اهـ.
قلت: تابع عبدَ الرحمن بن مغراء قطبةُ عند الإمام أحمد (٤/ ٤٢٤) وحفص بن غياث عند ابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٩).
وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر تخرج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٤٤ - ٣٤٦).
(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور .

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿لئن لمْ ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة﴾ وهم المنافقون يرجفون بالنبي وأصحابه يقولون: يهلك محمدٌ وأصحابه! ﴿لنغْرينّك بهم﴾ أي: لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلًا ملعونين﴾.

قال محمدٌ: ﴿ملعونين﴾ منصوبٌ على الحال[1]؛ المعنى: لا يجاورونك إلا وهم ملعونون.

﴿سُنة اللَّه في الذين خلوا من قبل﴾ أي: من أظهر الشرْكَ قبل، وهذا إذا أُمِر النبيون بالجهاد.

قال محمدٌ: ﴿سنةَ اللَّه﴾ مصدر؛ المعنى: (سنّ)[2] اللَّه سُنة.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٦٥٠)، البحر (٧/ ٢٥١)، البيان (٢/ ٢٧٢).

(٢) في الأصل (سنَن)، وهو خطأ؛ لأن مصدره (تسنين). والمثبت من «ر» وهو الصواب.

﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند اللَّه﴾ أي: لا يعلم متى مجيئُها إلا اللَّه ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا﴾ أي: أنها قريبٌ ﴿يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا﴾ وإنما صارت ﴿الرسولا﴾ و ﴿السبيلا﴾؛ لأنها مخاطبة وهذا جائزٌ في كلام العرب، إذا كانت مخاطبة.

قال محمدٌ: الاختيار عند أهل العربيّة: (السبيلا) بالألف وأن يوقف عليها؛ لأن أواخر الآي وفواصلَها يجري فيها ما يجري في أواخر أبيات الشعر ومصارعها[(١)]؛ لأنه إنما خوطِبَ العرب بما يعقلونه في الكلام المؤلَّف، فيدل بالوقف على هذه الأشياء وزيادة الحروف نحو ﴿الظنونا﴾ و ﴿السبيلا﴾ و﴿الرسولا﴾ أن ذلك الكلام قد تمَّ وانقطع وأن ما بعده مستأنف.

﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿ساداتِنا﴾[(٢)] والسادة جماعة واحدة، والسادات جماعة الجماعة[(٣)] ﴿وكبراءنا﴾ أي: في الضلالة ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي: مِثْلَيْن. ﴿والعنهم لعنًا كبيرًا﴾ وتقرأ (كثيرًا)[(٤)].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ

---

(١) في «ر»: مصارفها.

(٢) وهي قراءة ابن عامر، وقرأ باقي السبعة (سادتنا). ينظر: السبعة (٥٢٣)، البحر (٧/ ٣٥٢)، النشر (٢/ ٣٤٩).

(٣) ينظر: الدر المصون (٥/ ٤٢٦)، لسان العرب (سود).

(٤) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ عاصم وحده (كثيرًا).
ينظر: السبعة (٥٢٣)، البحر (٧/ ٢٥٢)، التيسير (١٧٩)، النشر (٢/ ٣٤٩).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى . . .﴾ الآية.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك «أن اليهود كانوا يقولون: إن موسى آدَرُ[1]، وكان إذا دخل الماء ليغتسل وضعَ ثوبه على صخرة. قال: فدخل الماء يومًا ووضع ثوبه على صخرة فتدهْدهتْ[2]، فخرج يتبعُها فرأوه، فبرّأهُ اللَّه مما قالوا»[3].

﴿وقولوا قولًا سديدًا﴾ أي: عدلًا؛ وهو: لا إله إلا اللَّه ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ لا يقبل العمل إلا ممّن قال: لا إله إلا اللَّه، مخلصًا من قلبه.

﴿إنا عرضنا الأمانة. . .﴾ الآية، تفسير الكلبي عرضَ العبادة على السمٰوات والأرض والجبال أن يأخذوها بما فيها، قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جوزيتن (ل٢٧٥) وإن أسأتن عوقبتن ﴿فأبين أن يحملنها﴾ وعرضها على الإنسان - والإنسان: آدم - فقبلها.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن «أنه قرأ هذه الآية: ﴿إنا عرضنا الأمانة. . .﴾ إلى قوله: ﴿ليعذب اللَّه المنافقين والمنافقات والمشركين

---

(١) من الأُذرة؛ وهي انتفاخ الخصيتين لتسريب سائل في غلافهما أو كبر الضفن من تجمع سائل بداخله. والجمع: أُدْر. المعجم الوسيط (أدر).

(٢) أي: تدحرجت. لسان العرب (دهده).

(٣) روى البخاري (٦/ ٥٠٢ رقم ٣٤٠٤) ومسلم (١/ ٢٦٧ رقم ٣٣٩) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه.

والمشركات﴾ فقال: هما اللذان ظلماها، هما اللذان خاناها: المنافق والمشرك»[1].

﴿وكان الله غفورًا﴾ لمن تاب من شركه ﴿رحيمًا﴾ للمؤمنين.

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/٥٨) من طريق أبي الأشهب به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٤٥) لعبد بن حميد في تفسيره.

فهرس الموضوعات